جامعة بنغازي

كلية الآداب



الدراسات العليا

قسم: التاريخ　　　　شعبة: الإسلامي

تاريخ المغرب الأقصى الاقتصادي والاجتماعي في عصر المرابطين

448 - 541هـ / 1056- 1146م

قدمت هذه الدراسة استكمالاً لمتطلبات درجة الإجازة العالية "الماجستير"

بكلية الآداب قسم التاريخ بتاريخ 2012/09/17 م

إعداد الطالب :

حماد فضل الله الصالحين صالح

إشراف الأستاذ الدكتور :

علي حسين الشطشاط

أستاذ التاريخ الإسلامي

كلية الآداب . جامعة بنغازي

تاريخ المناقشة :

2012/09/17 م

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَالْبَٰقِيَٰتُ

الصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾

صَدَقَ اللهُ الْعَظِيمُ

سورة الكهف ،الآية، 45.

الإهداء

إلى روح والدي وإلى والدتي وإخوتي

شكر وتقدير

إن الحمد لله نحمده حمداً كثيراً، حمداً لا ينقطع مددُه ولا يفنى عددُه، ونصلي ونسلم على أشرف الكائنات وأطهرها سيدنا محمد ﷺ ، إن خير الكلام كلام الرحمنُ الرحيم قال تعالى: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾[1] صدق الله العظيم

أما بعد :

فإنه لا يشكر الله من لا يشكر الناس، فبجليل الوقار ووافر العرفان وعظيم الامتنان،أمنحُ شكري إلى أستاذي الفاضل الدكتور (علي حسين الشطشاط) الذي منّ الله علي بأن يكون أستاذي في مرحلة الدبلوم ،ومشرفاً علي في مرحلة إعداد الرسالة ، ولا يفوتني أن أشكر الأساتذة الأجلاء والأصدقاء النجباء الذين كانوا عونا لي وسببا في إتمام هذه الرسالة فكانت نصائحهم وإرشاداتهم وخبراتهم خير معين لي في مسيرتي العلمية وإن تقاصر الشكر عن أن أدراج الأسماء فإنهم باقون أهل للوفاء، كما أن الثناء يطال أساتذتي في قسم التاريخ الذين منَّ الله علي بالتتلمذ على أيديهم ، فَلِلّهِ الشكر من قبل ومن بعد .

[1] سورة النمل، الآية، 19.

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الفصل الثالث: التركيبة السكانية

الفصل الرابع :العادات والتقاليد

المقدمة

بِسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ والصلاة، والسلام على أشرف الأنبياء المرسلين ، نبينا محمدﷺ، وعلى واله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

تعتبر فترة حكم دولة المرابطين من أزهى الفترات التي عاشتها بلاد المغرب الأقصى، حيث نعمت البلاد بنوع من الأمن والاستقرار مما كان لهما أعظم الأثر في الازدهار الاقتصادي والاستقرار الاجتماعي، فهي دولة مجاهده لعبت دورا مهما وخطيرا في التاريخ الإسلامي بصفة عامة وتاريخ المغرب الأقصى بصفة خاصة، وقد جاءت دولة المرابطين إلى المغرب الأقصى في وقت كان فيه المغرب أحوج ما يكون لمنقذ يوحد أجزاءه المتناثرة ويخلص سكانه من التناحر والتباغض والاصطدام في ساحات الحروب، وهنا تتضح (أهمية الموضوع) ولأهمية الموضوع فقد أجريت كثير من الدراسات حول تاريخ دولة المرابطين وأحوالها وتاريخها السياسي والمظاهر الحضارية بصورة عامة، ولكن قل ما وجدة دراسة تتناول دراسة جانب محدد من تاريخها كدراسة الجوانب الأخرى مثل الجانب الاقتصادي والاجتماعي أو ما شابه ذلك، ولعل مرد ذلك راجع إلى صعوبة تناول مثل هذه الموضوعات في تاريخنا الإسلامي، وبحثها وندرة مادتها التاريخية، ذلك أن دراسة هذه الجوانب الدقيقة تحتاج إلى مزيد من التشجيع والجهد والمشقة، وهذا ما دفعني بإلحاح لدراسة هذا الموضوع واختياره ، كما دفعتني أسباب أخرى لاختيار هذا الموضوع منها :

- محاولة استرداد جزء من سالف عظمة الأمة الإسلامية ورسالتها السامية التي تعد ميداناً مهماً من ميادين التاريخ الإسلامي، والتي مازالت تحتاج للدراسة والبحث والتمحيص.

- استرداد سيرة المرابطين لكونها تعد من أهم الأزمنة في تاريخ المغرب الأقصى وتتطلب عملا جديا هادفا، فهي سيرة حضارة إسلامية مغربية ولها تأثير على تاريخ

هذه المنطقة، ولذلك يجب أن تأخذ مثل هذه المواضيع ما تستحقه من عناية واهتمام من قبل كل الدارسين والباحثين .

- والسبب الأخير هو أن بعض الأبحاث والدراسات المتعلقة بدولة المرابطين كثيرا ما اهتمت بدراسة بعض الجوانب من تاريخ دولة المرابطين والموحدين معا فدفعني هذا لدراسة هذا الموضوع في عصر المرابطين دون غيره.

أما عن أهداف الدراسة فأهمها :

- إبراز الصورة الحضارية على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي في عصر المرابطين.

- توضيح مدى تأثر الحياة الاقتصادية في مجال الزراعة والصناعة والتجارة والنظام المالي في المغرب الأقصى بقيام دولة المرابطين .

- تسليط الضوء على الأحوال الاجتماعية في تاريخ البلاد في عصر المرابطين والتقصي عن كيفية التنظيم الاجتماعي ومدى التأثير القبلي، الذي كان سائدا آنذاك ومحاولة إعطاء صورة واضحة عن المجتمع والطوائف الموجودة في المغرب الأقصى في القرن الخامس الهجري بما في ذلك من عادات وتقاليد .

- تغطية ومعالجة النقص لهذه الآونة فيما يخص الجانب الاقتصادي والاجتماعي في عصر المرابطين، ومحاولة إيضاح كثيرا مما يكتنف حقائقها التاريخية، وكذلك إلى جانب إثراء المكتبة التاريخية بالأبحاث الرصينة .

- تزويد القراء واطلاعهم على المواضيع الحضارية التي تعرّفهم بماضي أجدادهم الذي يعتزون بحضارته الرائدة على أرضنا الطيبة .

- إظهار أن الحضارة الإسلامية كانت في تقدم مستمر ومتواصلة العطاء وأن الإسلام قد أعطى للحضارة أهمية بالغة في ماضيها المجيد .

- إيضاح دور المرابطين السياسي في المغرب الأقصى والجهد الذي بذلوه من أجل تحقيق وحدة البلاد.

وفي هذا البحث اخترت المنهج السردي التحليلي القائم على استرداد المعلومات ثم تحليلها، ونقد الروايات المبالغ فيها التي كثيراً ما أوردها بعض المؤرخين.

أما عن الصعوبات التي واجهتني في إعداد هذا البحث يأتي في أولها ندرة المصادر التي تمكنني من كشف النقاب عن المظاهر الاقتصادية والاجتماعية، ولا الشك أن ما صادف هذا العمل من مشاق وصعوبات هو فقره للمادة التاريخية وإهمال المصادر عن ذكر العديد من القضايا المتعلقة به حتى أن هذه الصعوبات كادت أن تجهد البحث لولا عثوري على مصنفات أنارت الزوايا المظلمة من الموضوع، ونجحت إلى حد ما في إبراز قضايا كادت أن تحشر في طي النسيان، فالإشارات المتعلقة بالجانب الاقتصادي والاجتماعي موجزة ومبعثرة في بطون كتب وتراجم وكتب الحسبة والفقه ومصادر تاريخية عامة ومصادر جغرافية، فهي معلومات قليلة توجد مبعثرة في صفحات الكتب، وإذ كانت هذه المعضلة تعد من المسلمات التي اعترف بها كل من عرك هذا الميدان، وهذا مما اضطرني إلى السفر خارج البلاد من أجل العثور على بعض المصادر التي تمكنني من تغطية المادة العلمية للبحث .

وفي هذا البحث رجعت إلى بعض الدراسات السابقة التي أجريت حول هذا الموضوع، ذلك انه قد أجريت كثير من الدراسات حول تاريخ المرابطين وأنارت هذه الدراسات معارف كثيرة كانت غامضة من قبل، ومن هذه الدراسات :-

1- **كتاب النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري:** للمؤلف عزالدين موسى وهو كتاب يتحدث عن الحالة الاقتصادية في المغرب والأندلس في عصري المرابطين والموحدين، غير أن المعلومات المتعلقة بدولة المرابطين قليلة وجل التركيز في هذا الكتاب على العصر الموحدي .

2- **كتاب تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر المرابطين والموحدين:** للمؤلف كمال السيد أبو مصطفى، ويتناول الكتاب تاريخ الأندلس الاقتصادي من خلال دراسة لمصادر الثروة الاقتصادية في الأندلس في عصر دولتي المرابطين والموحدين من الثروة الزراعية والغابية والحيوانية والمعدنية وأهم الصناعات إلى جانب التجارة وأهم موارد الدولة المالية وأوجه إنفاقها

3- **كتاب الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس:** ألفه حسن علي حسن وهو كتاب قيم يشمل دراسة المغرب والأندلس حضاريا من النواحي الإدارية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية في عصري المرابطين والموحدين مما يجعل فترة الدراسة تبدو أضخم، ويتيح للباحث المبتدئ الاهتمام بجانب معين من هذه الجوانب .

4- **كتاب مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين:** للمؤلف جمال طه وهو يتخذ الطابع التخصصي للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية لمدينة فاس وفيه معلومات - وان كانت قليلة فيما يخص- الحالة الاقتصادية والاجتماعية إلا أنها أفادت في بعض نواحي البحث .

5- **كتاب الحياة الاجتماعية في المغرب الأقصى في العصر الإسلامي:** للمؤلف جمال طه أيضاً ويركز على دراسة العناصر السكانية المتباينة التي قطنت أرض المغرب الأقصى إبان هذه الحقبة، وتحديد توزيعاتهم السكانية وتبادل مواقعهم وأوضاع كل الطبقات والعادات والأعراف السائدة في المغرب الأقصى .

6- **كتاب مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين:** للمؤلف إبراهيم القادري بوتشيش، ويحتوي هذا الكتاب على معلومات عن التركيبة السكانية للمجتمع المغربي والأندلسي والتأثيرات الاجتماعية المتبادلة بين السكان والتصنيف الطبقي والتكوين القبلي .

وقد اعتمدت في كتابة هذا البحث المتواضع على جملة من المصادر والمراجع والبحوث والرسائل العلمية، وفي مقدمتها :

1- كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: لابن عذاري المراكشي أبو العباس أحمد (م:سنة 695هـ/ 1295م) وهو مؤرخ مغربي عاش في أواخر عصر الموحدين، ويعتبر كتابه من أهم مصادر تاريخ المغرب والأندلس في العصر الإسلامي إن لم يكن أهمها إذ يتناول تاريخ المغرب الإسلامي منذ الفتح حتى أواخر القرن السابع، حيث يحتوي على معلومات تفصيلية عن الأمراء والحكام والدول التي حكمت بلاد المغرب منذ وصول المسلمين إليها حتى نهاية دولة الموحدين .

وقد استفدت كثيرا من القسم الخاص بالمرابطين وهو الجزء الرابع إذ أمدني بمادة وافرة عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ودونت المعلومات التي استقيتها من هذا الكتاب في كتابة التمهيد وبقية الفصول .

2- **كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس:** لمؤلفه ابن أبي زرع أبو الحسن الفاسي (م:سنة 726هـ/1325م) وعلى الرغم من أن العنوان يشير إلى أن الكتاب مخصص لدراسة تاريخ مدينة فاس إلا أن المؤلف لم يقف على تتبع مراحل تاريخ هذه المدينة، إنما تناول تاريخ المغرب الأقصى كله، فهو يتضمن تاريخ الدول الخمس التي تداولت حكم المغرب في هذه الفترة، وهي دولة الأدارسة و دولة زناته، ثم دولة المرابطين والموحدين، وأخير دولة عبد الحق أو بني مرين، وقد استفدت كثيراً من هذا الكتاب في كتابة جميع فصول البحث .

3- **كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية:** لمؤلف مجهول عاش في القرن الثامن، ويحتوي الكتاب على معلومات قَيمة عن موضوع الدراسة، وهو يعالج تاريخ المغرب ويذكر أخبار المرابطين بالتفصيل منذ قيام دولتهم في المغرب الأقصى حتى قيام ملكهم في الأندلس، وفيه أيضاً معلومات تخص الجانب الاقتصادي لهذه الدراسة ، حيث استقيت منه معلومات عن راتب الفارس المرابطي، ومعلومات تتعلق بالجانب الاجتماعي، مثل أنواع الملابس وغيرها من المعلومات التي أفادت في كتابة معظم هذه الرسالة .

4- كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب: وهو جزء من كتاب المسالك والممالك للبكري أبو عبيد الله عبدالله بن عبد العزيز(م:سنة 487هـ/1094م) وما يميز هذا الكتاب هو أن مؤلفه كان معاصرا للأحداث، خاصة أحداث الدولة المرابطية في المغرب الأقصى، وقد أفادني بمعلومات تفصيلية عن مسالك الطرق، حيث اهتم هذا الكتاب بوصف الطرق المؤدية إلى بلاد السودان وفي بلاد المغرب الأقصى، كما أفادني كثيرا في حديثي عن أصل المرابطين ونشأتهم وأهم المراكز التجارية في المغرب، ويمكنني القول بأنني استفدت منه في كتابة جميع الفصول .

5- كتاب المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس: وهو قطعة مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للرحالة المعروف الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد ابن عبد العزيز الشريف (م: سنة 558هـ/1162م) وهو كتاب يصف المدن والمراكز التجارية في المغرب الأقصى وباقي أقاليم المغرب، ويقدر المسافات بين كل مدينة وأخرى إلى جانب اهتمامه بسكان البلاد ووصف أحوالهم الاجتماعية بما في ذلك الأخلاق والعادات والتقاليد، كما أشار إلى الزروع والمنتجات والمعادن والصناعات والأسواق، وقد أمدني هذا الكتاب بمعلومات غاية في الأهمية تتعلق بجغرافية المغرب وثروتها الاقتصادية في عصر المرابطين، ولذلك لم أستثن فصلاً من فصول البحث إلا وزودته بهذه المعلومات القَيمة والجديرة بالتدوين خاصة فيما يتعلق بالجانب التجاري .

ومن المراجع والكتب الحديثة التي أنارت طريق هذه الدراسة وأوضحت المبهم فيها أذكر:

1- كتاب دولة المرابطين في المغرب والأندلس: وهو من تأليف سعدون عباس نصرالله، ويتحدث الكتاب عن مبادئ عبدالله بن ياسين وقبيلة الأمير يوسف بن تاشفين وحياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية وتدرجه في المسؤولية وأهم العمليات العسكرية التي انتهت بضم الأندلس، وأهم الأعمال الحضارية والمعارك التي خاضها المرابطون .

2- **كتاب الحضارة الإسلامية في المغرب:** من تأليف الحسن السائح، ويحتوي على معلومات عن دولة المرابطين منذ قيام دولتهم حتى سقوطها، بما فيها الحديث عن الثقافة المرابطية وأهم الأعمال العمرانية في عصر المرابطين، والقوى الحربية وخطوط المواصلات وعن الموسيقى والاقتصاد المرابطي والأسطول والبحرية واللغة المتداولة في عصرهم .

كما اعتمدت في هذه الدراسة على بعض الموسوعات والدوريات التي أفادت كثيراً في تغطية النقص لبعض جوانب البحث.

وتتكون هذه الدراسة عامة من مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة، يشمل التمهيد وصف للموقع الجغرافي للبلاد، وذلك لارتباط النواحي الجغرافية بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية، كما يشمل عرضاً موجزاً للأحوال السياسية في المغرب الأقصى في عصر المرابطين.

وجعلت الفصل الأول بعنوان **(الأحوال الزراعية والرعوية والصناعية)** وتناولت فيه الثروة الزراعية وأهم عوامل ازدهارها، من تنوع جغرافي وموارد مائية، وسياسة الدولة اتجاه الأرضي، وما يتبع ذلك من الاهتمام بوسائل الري، ثم أشرت إلى أهم المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية في بلاد المغرب الأقصى، وقد أوضحت في بداية هذا الفصل مدى ما تتمتع به هذه البلاد من غابات مما يدل على تميزها بمراعي صالحة لتربية الحيوانات، كما تحدثت أيضاً عن الثروة الحيوانية والثروة السمكية، والجانب الصناعي وما يتعلق به من عوامل مؤثرة من خامات معدنية وأيدي عاملة وأنواع الصناعات .

وقد حمل الفصل الثاني عنوان **(التجارة والنظام المالي)** وخصصته لدراسة التجارة الداخلية والخارجية، وبيّنت فيه عوامل ازدهارها في عصر المرابطين، وتطرقت إلى أهم الطرق التجارية الداخلية والخارجية، البرية منها والمائية، كذلك تطرقت إلى أهم المراكز التجارية وأنواع الأسواق والأيام التي تقام فيها، ثم أشرت إلى الصادرات والواردات من وإلى المغرب الأقصى، فحددت الأقاليم والأقطار التي صّدر

إليها واستورد منها المغرب الأقصى، وأوضحت أنواع السلع والبضائع المتبادلة، التي دخلت قائمتي الاستيراد والتصدير بين المغرب الأقصى والبلدان الأخرى، وذكرت في الجزء الأخير من هذا الفصل أهم الموارد المالية، فتحدثت عن الإدارة المالية في العصر المرابطي ثم تعرضت لمصادر بيت المال من زكاة وضرائب وجزية وقابلات ومكوس وغنائم، وأعقبت ذلك بالإشارة إلى أوجه الإنفاق، التي من أهمها: الرواتب والنفقات العسكرية ونفقات البناء وغيرها، وفي نهاية هذا الفصل تحدثت عن العملة المرابطية وأنواعها ودور سكها، وعن الأوزان والمكاييل التي عرفها سكان البلاد في هذا العصر.

أما الفصل الثالث فكان بعنوان **(التركيبة السكانية)** وحددت فيه أهم العناصر السكانية في المجتمع المغربي التي كانت متواجدة أثناء حكم المرابطين في المغرب الأقصى فكان منها المغاربة والعرب والفئات الأخرى التي كان لها أثر في بناء المجتمع في هذه البلاد، كما قمت بدراسة أهم الطبقات الاجتماعية كل حسب مستواه المعيشي والسياسي ومرتبته، وأول هذه الطبقات الطبقة الحاكمة ثم طبقة الفقهاء والعلماء والقضاة وطبقة العامة، وأشرت إلى وضع المرأة الاجتماعي، وكذلك أوضاع أهل الذمة إبان العصر المرابطي.

أما الفصل الرابع فقد أفردته لدراسة **(مظاهر الحياة الاجتماعية)** وهكذا هو عنوانه، وكان الاهتمام فيه موجهاً للتعرف على كيفية التكوين الأسري في عصر المرابطين، وما يتعلق به من مراسم الزواج والتقاليد المتعارف عليها في المغرب الأقصى، وأوضحت أيضاً أنواع المجالس المختلفة في المغرب الأقصى، وأشرت إلى أهم الاحتفالات التي اهتم بها أهالي البلاد؛ كالاحتفالات الدينية والعسكرية، وختمت الفصل بالحديث عن أهم وسائل التسلية ولاسيما الغناء والموسيقى، مع ذكر أهم الأطعمة المعروفة في المغرب الأقصى، كذلك الملابس التي اشتهر بها المرابطون أو الأهالي القاطنين في البلاد.

وفي الختام أدعو الله خالص الدعاء أن أكون قد وفقت في كل ما كتبته وأرجو أن أكون قد وصلت لما فيه منفعة العلم من خلال تدويني المتواضع والبسيط

لهذه الرسالة، كما أتمنى أن أكون قد أضفت شيئا إلى المكتبة التاريخية بما ينفع العلم.

والأمل كل الأمل معقود على لجنة المناقشة لنقد هذا العمل المتواضع و إثرائه بآرائهم وأفكارهم ومعلوماتهم بما يخدم تاريخنا الإسلامي المجيد.

التمهيد

نبذة جغرافية وتاريخية

نبذة جغرافية وتاريخية :

تتمتع بلاد المغرب الأقصى بموقع جغرافي جعلها تتفوق على سائر أقسام المغرب الإسلامي من حيث مجريات الأحداث والتطورات التاريخية[1]، فهي تقع في أقصى الزاوية الشمالية الغربية من القارة الأفريقية[2]، ولفظ مغرب لا يطلق اليوم إلا على القطر الواقع في أقصى شمالي غربي أفريقيا بين البحر المتوسط وجبل طارق شمالاً[3].

ويُعرّف المغرب الأقصى: بأنه تحده بلاد الجزائر شرقاً، وغرباً المحيط الأطلسي وشمالاً مضيق جبل طارق والبحر المتوسط إلى [*]طنجة[4]، وبشكل أوضح يمتد من البحر المتوسط شمالاً إلى جبال درن[**] جنوباً، ومن وادي نهر ملوية وممر تازا شرقاً إلى المحيط الأطلسي غربا حتى مدينة آسفي[5]، وقد ظهرت للمغرب الأقصى تسميات إدارية وهي السوس الأدنى والسوس الأقصى، ودليل ذلك قول ابن الفقيه: إن المغرب الأقصى خلف طنجة السوس الأدنى والسوس الأقصى كما ذكر أن حدوده الشمالية هي البحر الرومي (البحر المتوسط) ومن الجنوب تحده الرمال المتهيلة

---

[1] حسن، حسن علي: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس"عصر المرابطين والموحدين"، مكتبة الخانجي (الإسكندرية، 1980م) ص3.

[2] الشبيبي، محمد رضا: رحلة إلى المغرب الأقصى، مطبعة المجمع العلمي العراقي (بغداد، 1965م) ص10.

[3] الخطابي، محمد العربي: المغرب ومكانه في العالم الإسلامي، مجلة المناهل، السنة السابعة، العدد18 (الرباط، 1980م) ص 80 .

[*] طنجة: مدينة في الإقليم الرابع، طولها من جهة المغرب ثمانون درجة، وعرضها خمس وثلاثون درجة ونصف من جهة الجنوب تقع على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء، وهو البر الأعظم وبلاد البربر، وهي مدينة أزلية أثارها ظاهرة بناؤها بالحجارة قائمة على البحر، وهي على ميل من البحر وليس لها سور وهي على ظهر جبل = ياقوت الحموي، شهاب الين أبي عبدالله: معجم البلدان، دار صادر(بيروت، 1977م)43/4 .

[4] أبو الفداء، عماد الدين: تقويم البلدان، تحقيق رينوه، دون نشر(ليدن، 1302هـ) ص 122؛ السيد، محمود: تاريخ دول المغرب العربي(ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا) مؤسسة شباب الجامعة (الإسكندرية، 2006م) ص 199 .

[**] جبال درن: جبل من جبال البربر بالمغرب الأقصى فيه عدة قبائل وبلدان وقرى = ياقوت الحموي: معجم البلدان، 2/ 452 .

[5] نصرالله، سعدون عباس: دولة الأدارسة في المغرب، دار النهضة العربية (بيروت، 1987م) ص 16 .

الماثلة حاجزاً بين بلاد السودان(*) وبلاد المغاربة[1].

فالعامل الجغرافي يتطلب الإحاطة به لمعرفة تنقلات القبائل وتحركاتها وسبل عيشها فوق أرض المغرب الأقصى أو غيره[2]، كما يتطلب معرفة أهم العناصر السكانية التي عاشت في البلاد، حيث يُعرف منذ أقدم العصور أن سكانه من البربر وهو ما سيأتي ذكره بالتفصيل في الصفحات التالية، ويكفي هنا ذكر رأي ابن خلدون فيهم بقوله "هذا الجيل - أي البربر - من الأميين هم سكان المغرب القديم ملؤا البسائط والجبال من تلوله وأريافه وضواحيه وأمصاره"[3]، ولذلك فالبربر شكلوا خريطة سكان المغرب الأقصى وكانوا يمثلون السواد الأعظم من سكان هذه البلاد .

أما عن الحالة السياسة في المغرب الأقصى، فقد كان للدول الكبرى التي أقامت حضارتها فيه أثر بالغ على حالته السياسية، والاقتصادية والاجتماعية، ذلك أن هذه الدول استطاعت توحيد أكبر قسم منه تحت لواء دول إسلامية جليلة، ومن هذه الدول دولة الأدارسة التي قامت عام172هـ/788م(**)، وخَّلفت أثراً حضارياً كان عميقاً وبعيد المدى في هذه المنطقة، وعندما قامت دولة العبيديين (الدولة الفاطمية) عام 296هـ/908م(***)، قضت على دولة الأدارسة والإمارات القائمة في المغرب

(*) بلاد السودان: تبدأ حدود بلاد السودان من الشرق بمملكة كاوكه، وتمتد غرباً إلى مملكة ولاته، وفي الشمال منها الصحراء وتنتهي حدودها جنوباً إلي المحيط، وتنقسم إلى ممالك منها ولاته، وغينيا، ومالي وغيرها من مدن بلاد السودان، وهي تجاور بلاد المغرب الأقصى = الحسن الوزان، أبو محمد الفاسي: وصف أفريقيا، تحقيق محمد حاجي وأخر، دار الغرب الإسلامي (بيروت،1982 م) 1/ 29؛ 2 / 160 ، 173 .

[1] ابن الفقيه، أبوبكر أحمد بن محمد الهمذاني: مختصر كتاب البلدان، دون نشر (ليدن، 1302هـ) ص 81.

[2] محمود، حسن أحمد: قيام دولة المرابطين، مكتبة النهضة العربية (القاهرة ،1957م) ص16 .

[3] ابن خلدون، عبدالرحمن محمد: العبر وديوان المبتداء والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر (بيروت، 2000م) 6 / 116 .

(**) دولة الأدارسة: مؤسس هذه الدولة هو إدريس بن عبد الله الذي هرب بعد وقعة فخ عام 169هـ/785م من الحجاز، ذلك بعد أن التقى مع العباسيين وتقاتل معهم ثم نجح في الهرب من العباسيين إلى المغرب = للمزيد ينظر: الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل، دار المعارف (القاهرة، 1979م) 8/ 192،204.

(***) الدولة الفاطمية: هي التي دعى إليها عبد الله الشيعي الذي بنى المهدية في إفريقية ونسبت إليه، وملك من =

الأقصى لمدة قرن من الزمان[1]، ودام حكمهم مائتين وثمان سنوات هجرية وأربعة أشهر واثنين وعشرين يوماً[2]، وقد أجج الفاطميون من العصبية القبلية في المغرب إلى درجة أن القبائل دخلت مع بعضها في حروب إبادة[3]، وعاد المغرب الأقصى إلى الفوضى ونزاع القبائل فأصبح يعيش فوضى سياسية، وكانت هذه الفوضى السمة الغالبة في تاريخه، وعانى من محن سياسية جراء القوى المتصارعة على السيادة فيه، وكانت هذه الفوضى تتنافى مع القيم والتعاليم الإسلامية التي جاء بها الدين الإسلامي، فالمغرب الأقصى في أوائل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، كانت تتحكم فيه عدة طوائف تشبه الدويلات، وهي:

أ- إمارة بني زيري بن عطية في فاس وهم أمراء مغراوة[4]، وكان عصرهم عصر حروب ونزاعات، حيث تفرق الناس في عهدهم بالمغرب، وأصبحوا يشنون الغارات بعضهم على بعض، وجرت بينهم حروب كثيرة راح ضحيتها كثير من أهل البلاد، وكل هذه الصراعات كان من الطبيعي أن تكون لها أثاراً سلبية على موارد البلاد الاقتصادية من جهة، وغياب الأمن على أهل المغرب الأقصى من جهة أخرى[5] .

= بعده ولده القائم ثم المنصور ولد القائم، ثم المعز بن المنصور وهو الذي سير القائد جوهر الصقلي وملك الديار المصرية وبنى القاهرة، واستمرت دولتهم حتى انقرضت على يد السلطان صلاح الدين الأيوبي، وقد أطلق عليهم اسم العبيديين نسبة لعبد الله الشيعي= المقريزي: تقي الدين أحمد: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين، تحقيق جمال الدين الشيال، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية (القاهرة، 1996م)41/1، 42؛ العبادي، أحمد مختار: في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية(بيروت، بدون تاريخ) ص224 .

[1] مؤنس، حسين: معالم تاريخ المغرب والأندلس، مطابع المستقبل (القاهرة، 2004م) ص131، 134 .

[2] المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق محمد زينهم وآخر، مكتبة مدبولي(القاهرة، 1998م)3/ 112؛ الأحمر، رمضان محمد رمضان:الحياة الاجتماعية في مصر في عصر الدولة الفاطمية 567/358هـ-969 /1171م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بنغازي، كلية الآداب(بنغازي، 2010م) ص13.

[3] حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 153 .

[4] ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة (الرباط، 1972م) ص 102، 103، 104.

[5] حركات، إبراهيم: المغرب عبر التاريخ، دار السلمي للتأليف والترجمة (الدار البيضاء، 1965م) 1/ 153 .

ب- والإمارة الأخرى هي إمارة بني يفرن قامت في تادلا(*) وسلا(**)، وقد دخل هؤلاء في صراع مع مغراوة، فتراهم تارةً يستولون على فاس وتارةً يطردون منها[1].

ج- أما الإمارة التي قامت في درعة(***) وسجلماسة(****) فهي إمارة بني خزرون الذين استنجدوا بالدولة الجديدة (دولة المرابطين)، يطلبون منها تخليصهم من الظلم الذي وقع عليهم من جور عاملهم[2]، ومن هنا يتضح أن الفوضى عمَّت المغرب الأقصى سواءً من الإمارات المتصارعة أو من جور الحكام على الرعية[3].

د- أما الإمارة الأخرى التي كانت سببا من أسباب تفكك وحدة بلاد المغرب الأقصى، فهي إمارة برغواطة(*****) في(******)تامسنا[4]، إلى جانب الرافضة(*******)،

(*) تادلا: بفتح الدال واللام: من جبال البربر بالمغرب قرب تلمسان وفاس = ياقوت الحموي: معجم البلدان،5/2.

(**) سلا: تقع في أقصى المغرب يحاذيها البحر والنهر فالبحر شمالها والنهر غربها= ياقوت الحموي: معجم البلدان،3/ 231.

[1] ابن الخطيب: لسان الدين: كتاب أعمال الإعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام "تاريخ المغرب في العصر الوسيط"، تحقيق أحمد مختار العبادي وآخر، دون نشر(المغرب، 1964م) 164/3، 165 .

(***) درعة: مدينة صغيرة بالمغرب بينها وبين سجلماسة أربعة فراسخ وهي في غرب سجلماسة = ياقوت الحموي: معجم البلدان،451/2 .

(****) سجلماسة: وهي تقع في طرف الصحراء في جنوب المغرب في طرف بلاد السودان بنيت عام أربعين ومائة= الحميري، محمد بن عبدا لمنعم: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، هيد لبرغ (بيروت،1984م) ص305 .

[2] ابن أبي دينار، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق محمد شمام، المكتبة العتيقة (تونس، 1967م) ص 106 .

[3] ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 6/ 243، 244 .

(*****) برغواطة: مؤسس دولتهم هو صالح بن طريف من وادي برباط في الأندلس، وقيل لكل من يدخل ديانته "بربرطي" فأحالته العرب إلى برغواطي، وقد سكنت هذه القبيلة إقليم تامسنا في المغرب الأقصى، على ساحل المحيط الأطلسي = ينظر ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر ،244/6؛ سالم، سحر السيد عبد العزيز: من جديد حول برغواطة هراطقة المغرب الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة (الإسكندرية،1993م) .

(******) تامسنا: وهو إقليم في بلاد المغرب يقع على ساحل المحيط الأطلسي= الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 129؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 6 / 244 .

[4] ابن الخطيب: كتاب أعمال الإعلام، 230/3 .

(*******) الرافضة: اسم يطلق على كل من تبرأ من الشيخين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وكذلك على كل من تبرأ من الصحابة= الأصبهاني، أبو نعيم: كتاب الإمامة والرد على الرافضة، تحقيق علي بن محمد، مكتبة العلوم والحكم (المدينة المنورة، 1987م) ص22 .

وهم قوم من الشيعة(*)، انتشروا في مناطق عديدة من بلاد المغرب الأقصى فضلاً عن الوثنيين في المناطق المجاورة للصحراء، وهم أقليات متناثرة في أقصى جنوب المغرب في منطقة السوس في المغرب الأقصى[1] .

ومن هذا العرض التاريخي يتضح مدى التفكك الذي حول المغرب الأقصى إلى إمارات مبعثرة مما أضعف وحدته فكان ظهور المرابطين اكبر حدث في هذه الفترة، فمن هم المرابطين؟ وما دورهم وما الجهد الذي بذلوه من أجل توحيد المغرب الأقصى وتحسين أوضاعه الاقتصادية والاجتماعية على وجه الخصوص ؟

في الجنوب من المغرب الأقصى في الصحراء التي تنتهي ببلاد السودان أقامت فروع من قبيلة صنهاجة الجنوب أقوى قبائل المغاربة البرانس، أهمها: جزولة، لمتونة، مسوفة، جدالة، وكانوا بخلاف غيرهم من الصنهاجيين أهل بداوة، يعيشون حياة شبيهة بحياة العرب قبل الإسلام، لذلك دعوا بصنهاجة الصحراء، ولأنهم كانوا يتخذون اللثام دعوا بالملثمين أو صنهاجة اللثّام[2]، وقد اعتنقوا الإسلام بعد فتح الأندلس، وأول من تزعمهم "تيلوثات بن تلاكاكين الصنهاجي اللمتوني" ثم جاء من بعده الأمير أبو عبد الله محمد بن تيفاوت[3]، المعروف "بتارشتا أوناشرت"، وقد استشهد هذا بعد ثلاث سنوات من حكمه في إحدى الغزوات، فقام بالأمر من بعده صهره الأمير يحيى بن إبراهيم الجدالي الذي ارتحل إلى الحج[4]، وعند قضائه لفريضة الحج نزل بالقيروان أثناء طريق العودة إلى بلاده، وهناك التقى بالفقيه أبي عمران موسى ابن أبي وجاج(وكاك)

(*) الشيعة: تطلق كلمة الشيعة على فرقة من الناس أخذوا بإمامة علي رضي الله عنه وأكدوا خلافته نصا ووصية= الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم: الملل والنحل، تحقيق أبوعبد الله السعيد المندوه، مؤسسة الكتب الثقافية، ط 2 (بيروت، 1998م) 1/ 106 .

[1] السامرائي، خليل إبراهيم: تاريخ المغرب العربي، دار المدار الإسلامي (بيروت، 2004م) ص 288.

[2] ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 242،241/6؛ السلاوي، أحمد خالد الناصري: الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى، دار الكتاب(الدار البيضاء، 1954م)99/2.

[3] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص120، 121؛ خليل السامرائي: تاريخ المغرب العربي، ص 289، 290.

[4] ابن الخطيب: كتاب أعمال الإعلام، 226/3 ؛ ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ص101 .

الفاسي[1]، الذي طلب منه أن يبعث معه إلى بلاده من يفقه قومه في أمور الدين من تلاميذه[2]، وتنفيذاً لرغبة الأمير يحيى، خاطب أبو عمران أحد أصحابه ويدعى وجاج بن زلو اللمطي الصنهاجي[3] فاختار وجاج لهذه المهمة الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي، الذي مضى بصحبة يحيى بن إبراهيم إلى مضارب لمتونة، وبدأ يعلمهم حدود الإسلام ويعمل على تغيير المنكر، فضاق به النَّاس وامتنعوا عن الأخذ بعلمه[4]، ولا سيما أن عبد الله قد جاء بما اتفقت عليه الأمة الإسلامية من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ووجوب الأخذ به[5]، فلما رأى عبد الله إعراضهم عنه، عزم على الرحيل واتجه نحو جزيرة في حوض نهر السنغال وهناك أقام رباط ليرابط فيه[6]، وكان معه يحيى بن إبراهيم وسبعة رجال من جداله أقاموا معه في رباطه [7].

ولم تمضِ أيام قليلة على عبد الله بن ياسين حتى اجتمع حوله في رباطه ألف رجل أطلق عليهم اسم " المرابطين" ليكونوا أساس الدولة[8]، التي قامت على أساس التعاليم الإسلامية[9].

ومن هذه الجزيرة بدأ عبد الله دوره في تأسيس الدعوة ونشرها، وذلك بإعداد تلاميذه للدعوة من أجل الحق[10]، وقد أفلح عبد الله ورجاله في وضع الأسس القوية لدولة

---

[1] ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 6/ 243؛ الفاسي، محمد: أبو عمران الفاسي والعلاقات العلمية بين المغرب والأندلس، مجلة المناهل، السنة السابعة، العدد17 (الرباط، 1980) ص151.

[2] ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ص102؛ الأمين، محمد: المفيد في تاريخ المغرب، دار الكتاب (الدار البيضاء، بدون تاريخ) ص112 .

[3] ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 243/6.

[4] ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ص102؛ دندش، عصمت عبد اللطيف: حول رباط عبد الله بن ياسين، مجلة المناهل، السنة الخامسة، العدد11 (الرباط،1978م) ص354 .

[5] ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد: كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل، دون نشر (القاهرة،1317هـ) 171/4.

[6] السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، 8/2 .

[7] ابن الخطيب: كتاب أعمال الأعلام، 227/3، 228 .

[8] ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 6/ 243؛ ابن الخطيب: كتاب أعمال الإعلام ،3/ 228 .

[9] ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، ص 101 .

[10] ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 243/6.

المرابطين، التي ستتولى مهمة إنقاذ بلاد المغرب الأقصى من التجزئة والفرقة[1]، خاصةً أن سكان المغرب أخذوا يتطلعون إلى هذه القوة لإنقاذهم مما هم فيه من جور وعسف[2] .

وفي عام 440هـ/1048م توفى يحيى بن إبراهيم فعزم عبد الله على تقديم رجل يقوم بأمر المرابطين في حروبهم وجهادهم، فعقد أمرهم ليحيى بن عمر بن إبراهيم المدعو "بأمير الحق" في السنة نفسها[3]، وبذلك بدأت تتحدد معالم دولة إسلامية قوية ناهضة تطرق أبواب المغرب الأقصى، فكانت سجلماسة بموقعها المهم على الطريق التجاري الواصل إلى بلاد السودان، هي المحطة التالية لعبد الله بن ياسين[4]، ومن هنا بدأ المرابطون الجهاد عن طريق العقيدة وليس عن طريق العواطف، وهذا ما سيجعلهم لا يندفعون إليه في غوغائية وحماسة مرتجلة[5]، فمن جراء الظلم الذي عانى منه أهالي سجلماسة بعث فقهاؤها في عام 444هـ/1045م بكتبهم إلى عبد الله بن ياسين والأمير يحيى بن عمر يشكون إليهم ما يقع في بلادهم من ضروب الظلم والخروج عن أحكام الدين ويطلبون منهم القدوم لإشاعة العدل[6] فلبَّى المرابطون طلبهم، وقد أشار البكري إلى ذلك قائلاً "وغزا المرابطون سجلماسة بعد أن خاطبوا أهلها ورئيسهم مسعود بن وانودين المغراوي فلم يجيبوهم إلى ما أرادوا"[7]، فأعلن عبد الله بن ياسين الجهاد وخرج بجيوشه والتقى بجيوش المغراويين فيما بين درعه وسجلماسة وانتهت الحرب بنصر المرابطين على مغراوة[8]، وتقدم المرابطون وراء فلول المغراويين متجهين نحو سجلماسة

---

[1] ابن أبي دينار :المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ص103؛ خليل السامرائي: تاريخ المغرب العربي، ص 392.

[2] ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 6/ 243 .

[3] ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، ص101.

[4] ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 243/6 .

[5] الطريبق، حسن: المرابطون بالأندلس من خلال ديوان الأعمى التطيلي، مجلة المناهل، السنة الخامسة، العدد 11 (الرباط،1978م) ص377 .

[6] ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ص103؛ السلاوي: الاستقصاء لإخبار دول المغرب الأقصى، 12/1 .

[7] البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي (القاهرة، بدون تاريخ) ص167 .

[8] ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 243/6،244.

التي فتحوها بسهولة، فكان ذلك بداية الفتح المرابطي لمنطقة المغرب الأقصى[1] .

وفي عام447هـ/1055م توفى الأمير أبو زكريا يحيى بن عمر في إحدى غزواته ببلاد السودان[2]، فقدَّم الفقيه عبد الله بن ياسين مكانه أخاه الأمير أبوبكر بن عمر اللمتوني448-453هـ/1056-1061م ليتولى قيادة القوات المرابطية[3] فتأهب أبوبكر في عام 1056/448م لغزو بلاد السوس(*) والمصامدة فزحف إليها في جيش ضخم وجعل على مقدمة الجيش ابن عمه يوسف بن تاشفين(**) الذي لعب دوراً بارزاً على مسرح السياسة في بلاد المغرب والأندلس[4] .

فتح المرابطون سجلماسة التي عُين يوسف بن تاشفين والياً عليها ثم فتحوا مدينة ماسة(***)، وتارودانت(****) قاعدة بلاد السوس، وكانت بها طائفة من الشيعة البجليين نسبة إلى مؤسسها علي بن عبد الله البجلي، وقتل المرابطون أولئك الشيعة ومن بقى منهم على قيد الحياة حسن إسلامه[5] .

ثم ارتحل المرابطون برئاسة عبد الله بن ياسين إلى بلاد المصامدة وفتحوا تلك

---

[1] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 167.

[2] السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، 13/2.

[3] ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، ص29.

(*) السوس: بلد بالمغرب كانت الروم تسميها قمونية، وقيل السوس مدينتها طنجة، وهناك السوس الأقصى وبينها وبين السوس الأدنى مسيرة شهرين= ياقوت الحموي: معجم البلدان، 3/ 281 .

(**) يوسف بن تاشفين: ولد عام 400هـ/1013، وملك بلاد المغرب من بلاد العدوة من جزائر بني مزغنة إلى طنجة إلى أخر بلاد السوس الأقصى، وفتح بلاد الأندلس وهزم النصارى فيها في معركة الزلاقة وهو أول من تسمى بأمير المسلمين من ملوك المغرب= ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص 136،137،138،139، 140،141.

[4] بن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص128؛ ابن إدريس، عبد الله وآخرون: أعلام في المغرب والأندلس، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، (بدون مدينة،1982م) ص8 .

(***) ماسة: هي مدينة قرب السوس، ويضاف إليها الوادي المنصب إلى المحيط = البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص161.

(****) تارودنت : مدينة أسسها الأفارقة الأقدمون ، تقع جنوب الأطلس الكبير بعيدة عنه بما يزيد قليلا عن أربعة أميال = الحسن الوزان: وصف أفريقيا، 1 / 117 .

[5] السلاوي، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى،13/2،14.

البلاد ثم ساروا إلى أغمات(*) - وبها يومئذ أميرها لقوط بن يوسف بن علي المغراوي- فحاصرها المرابطون حصاراً شديداً حتى فر عنها أميرها مستجيراً ببني يفرن ملوك سلا وتادلا، وفي هذه الأثناء أعطى الأمير أبوبكر التعليمات بمهاجمة أغمات[1]، وقبض على لقوط المغراوي وقتله، و لأهمية أغمات بوصفها مدينة متحضرة من جهة ولقربها من الصحراء من جهة أخرى اختارها المرابطون عاصمة مؤقتة لهم[2]، وبعد الاستيلاء على بلاد السوس اتجهت القوات المرابطية لمحاربة برغواطة بقيادة عبد الله بن ياسين، وكانت برغواطة قبيلة غارقة في البدع منذ زمن طويل[3]، وكانوا يدينون بمذهب تنافي تعاليمه الإباحية أحكام الإسلام أسسه رجل يدعى صالح بن طريف البرغواطي[4].

خلاصة الحديث أن عبد الله بن ياسين لما سمع بحال برغواطة وما كان عليه أهلها من الضلالة قام بغزوهم في جمع من المرابطين[5]، وكان أمير برغواطة يومئذٍ أبو حفص بن عبد الله[6]، وقد جرت بين المرابطين وبرغواطة وقائع كثيرة مات فيها خلق كثير من الفريقين[7] وأصيب فيها الفقيه عبد الله بن ياسين[8]، بجراح بالغة توفى على إثرها في 24 جمادى الأولى عام 451 هـ/1059م، ودفن بموضع مرتفع يطل على وادي كريفلة أحد فروع وادي أبي الرقراق[9].

(*) أغمات: مدينتان سهليتان، وهما أغمات إيلان وأغمات وريكه وبينهما نحو ثمانية أميال، وفي أغمات وريكة تسكن الأعيان، ويكثر بها التجار لأنها دار التجهز للصحراء، وتقع بالقرب من وادي درعة بينها وبين نفيس مرحلة = البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص153؛ الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 46 .

[1] ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 244/6.

[2] ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، ص29؛ خليل السامرائي: تاريخ المغرب العربي، ص295 .

[3] شعيرة، محمد عبد الهادي: المرابطون تاريخهم السياسي، دار الاتحاد العربي للطباعة، ط1(القاهرة،1969م) ص64 .

[4] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص135

[5] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص130 ،131.

[6] السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، 18/2 .

[7] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص168؛ عبد الحليم، رجب محمد: دولة بني صالح في تامسنا بالمغرب الأقصى، دار الثقافة للنشر والتوزيع (القاهرة، بدون تاريخ) ص100 .

[8] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص130 ،131؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 244/6.

[9] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص132.

بعد وفاة الفقيه عبد الله بن ياسين اختار المرابطون لرئاستهم أبوبكر بن عمر بن تلاكاكين ابن تومرت بن زرياط اللمتوني[1]، فاستأنف الزحف على برغواطة وأثخن فيهم قتلاً حتى تفرقوا في الفيافي واستأصل شأفتهم[2]، ثم عاد إلى مدينة أغمات التي أصبحت مركز القيادة اللمتونية[3] .

وكانت هناك قوات قد اتجهت إلى بلاد غمارة بقيادة يوسف بن تاشفين[4]، الذي يعتبر من أشهر الأمراء المرابطين[5]، واستطاعت هذه القوات إخضاع البلاد لسيطرة المرابطين[6] .

وبعد أن استقر الأمر في بلاد المغرب عزم الأمير أبوبكر بن عمر على السفر إلى بلاد الصحراء ودعا ابن عمه يوسف بن تاشفين، وفوض إليه أمر بلاد المغرب الأقصى وأمره بقتال من بها من مغراوة وبني يفرن وسائر زناتة والمغاربة[7] .

هكذا فرضت الظروف الجديدة على المرابطين بأن يكون للصحراء جندها وللحضر جنده، ولاسيما بعد أن ترامت الأخبار باختلال أمر الصحراء بسبب الخلاف بين لمتونة وجدالة[8]، وقد انتهزت برغواطة فرصة ذهاب أبوبكر بن عمر إلى الصحراء فجمعت شتاتها وأصبحت شوكة في جنب يوسف بن تاشفين، لذلك صمم على القضاء عليها وعلى خطرها من بلاد المغرب وما جأت به من البدع [9] بعد ذلك بدأ يوسف ابن

---

[1] ابن الخطيب: كتاب أعمال الإعلام، 230/3، 231 .

[2] ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر،244/6؛ ابن الخطيب: كتاب أعمال الإعلام،،231/3.

[3] ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، ص29.

[4] خليل السامرائي: تاريخ المغرب العربي، ص296 .

[5] كريرز، كلوس وآخرون: معجم العالم الإسلامي، ترجمة كتوزه، المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع (بيروت،1998م) ص160 .

[6] خليل السامرائي، تاريخ المغرب العربي، ص296 .

[7] السلاوي: الاستقصار لأخبار دول المغرب الأقصى، 22/2؛ محمود السيد: تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، مؤسسة شباب الجامعة (الإسكندرية، 2004م) ص 6 .

[8] ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 6/ 244،245 .

[9] رجب عبد الحليم: دولة بني صالح في تامسنا، ص 101،102.

تاشفين ببناء عاصمة لدولة المرابطين فكانت مراكش، هي أول مدينة اختطها المرابطون وقد نمت واتسعت وأصبحت أكبر مدن المغرب[1].

وبعد إنشاء مراكش وجه يوسف جهوده لفتح بقية مدن المغرب، حيث زحف بجيشه نحو الغرب فتغلب على أكثر مناطقه، فهزم مغراوة وزناتة وبني يفرن، وأعلنت باقي القبائل الطاعة ليوسف بن تاشفين[2] .

في هذه الأثناء عاد الأمير أبوبكر بن عمر فتلقاهُ يوسف بن تاشفين بالهدايا الثمينة، فعرف أبوبكر أن الأمور قد استقرت ليوسف[3] فلم يلبث طويلاً حتى سلم القيادة إلى يوسف بن تاشفين[4] خوفاً من أن ينقسم المرابطون[5]، وبعد استقلال يوسف بأمر المغرب اتجه بجهوده نحو المغرب الشمالي لانتزاعه من الزناتيين[6] فاستطاع دخول مدينة فاس صلحا عام 455هـ/1062م، ثم خرجت عن طاعته، فأعاد فتحها عنوة عام 462هـ/1070م، ولم يبق بها إلا أيام قليلة، ثم عهد بالحكم فيها إلى بعض الولاة من لمتونة[7]، وما أن انسحب يوسف من فاس حتى عاد تميم بن معنصر بن حمامة صاحب مدينة فاس فدخلها في غياب يوسف، وأدى ذلك إلى رجوع العساكر المرابطية لحصار فاس من جديد، ولما اشتد الحصار على معنصر[8]، خرج بمن معه من مغراوة وبني يفرن فقتل معنصر وكثير من رجاله[9]، ومع ذلك فإن فاس ظلت صامدة، فقد تقدم مكان معنصر القاسم بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن موسى بن أبي العافية

---

[1] الحمير: الروض المعطار في خبر الأقطار، 540.

[2] ابن عذاري المراكشي، أبو العباس أحمد بن محمد: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة (بيروت،1967م) 22/4؛ خليل السامرائي: تاريخ المغرب العربي، ص 297 .

[3] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص 135 .

[4] علام، عبدالله علي: الدعوة الموحدية بالمغرب، دار المعرفة، ط1 (بدون مدينة، 1964م) ص14.

[5] فروخ، عمر: وثبة المغرب، دار الكتاب اللبناني (بيروت،1961م) ص75 .

[6] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص138؛ خليل السامرائي، تاريخ المغرب العربي، ص298.

[7] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص،139، 140.

[8] السلاوي: الاستقصار لأخبار دول المغرب الأقصى، 28/2 .

[9] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص140،141.

بمن اجتمع معه من قبائل زناته فأوقع الهزيمة بالمرابطين بالقرب من وادي يسمى صيفير[1] ووصل خبر الهزيمة إلى الأمير يوسف بن تاشفين، وهو على قلعة فازاز فرحل عنها وتوجه إلى فاس وقبل وصوله إليها استطاع إخضاع جميع بلاد الريف[*]عام(462هـ/ 1069م)[2]، ثم أكمل الوجه إلى فاس وضرب عليها الحصار عام467هـ/1074م"[3]، واستطاع دخولها عنوةً في السنة نفسها[4].

وبهذه الفتوحات وطَّد يوسف سلطانه في المغرب الأقصى عدا سبتة وطنجة، اللتين كانتا من أملاك بني حمود الإدريسيين، وكان الذي يملك هاتين المدينتين يومئذٍ الحاجب سكوت البرغواطي فلما فرغ يوسف من فتح معظم بلاد المغرب، تجرد للاستيلاء على سبتة وطنجة، فطلب من الحاجب بن سكوت البرغواطي الدخول في طاعة المرابطين[5]، ولكن الحاجب بن سكوت البرغواطي رفض الخضوع لطاعته[6] عندها سيّر الأمير يوسف جيشاً لمحاربة الحاجب بن سكوت، فعند اقتراب الجيش من تخوم طنجة خرج إليهم سكوت بمن لديه من العساكر وانتهى القتال بمقتل الحاجب سكوت البرغواطي وهزيمة جيشه، ودخل المرابطون طنجة عام 470هـ/1077م[7]، ثم توجه الأمير يوسف بن تاشفين نحو مدينة تلمسان[**] عام472هـ/1078م، وحاصرها

---

[1] ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 6/ 246؛ السلاوي: الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى، 28/2 .

[*] بلاد الريف: هي سلسلة جبال الريف: وهي متوسطة الارتفاع وتمتد في شبه قوس بين طنجة ومليلة = ينظر جلال، محمد: مراكش المغرب الأقصى، مكتبة النهضة العربية (القاهرة، بدون تاريخ) ص1 .

[2] السلاوي، الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى، 29/2 .

[3] ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،28/4؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص141 .

[4] السلاوي: الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى، 29/2؛ إسماعيل، عثمان: تاريخ شالة الإسلامية، دار الثقافة (بيروت،1975م) ص229،230 .

[5] المراكشي، عبد الواحد: مقدمة كتاب وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة،2006م) ص37.

[6] السلاوي: الاستقصار لأخبار دول المغرب الأقصى، 30/2،31 .

[7] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص 142 ، 143 .

[**] تلمسان: قاعدة المغرب الأوسط، وحد المغرب الأوسط من وادي يسمى مجمع وهو في نصف الطريق من مدينة مليانة إلى بلاد تازا من بلاد المغرب= الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 135 .

حتى استسلمت له[1]، واتخذ بالقرب منها مدينة عرفت باسم تاكرارت جعلها بمثابة الحصن الأمامي لحماية المرابطين من زناتة[2] وبذلك لم يبق ليوسف إلا الاستيلاء على سبتة[3]، التي وجه إليها جيشاً بقيادة ابنه المعز فحاصرها[4] براً وبحراً وكان يحكمها ضياء الدولة يحيى بن سكوت البرغواطي، وقد دارت معركة بحرية عام477هـ/1084م كان النصر فيها للمرابطين[5]، وبُعث بكتاب النصر للأمير يوسف بن تاشفين فخرج في حينها قاصداً سبتة[6]، وبفتح سبتة اكتملت وحدة المغرب الأقصى التي سعت إليها الدولة المرابطية .

صفوة القول: أن المغرب الأقصى كان يتمتع في ظل الدولة المرابطية بكثير من الأمن والاستقرار والرخاء بعد الفتن والحروب التي كانت تشتعل في البلاد قبل الفتح المرابطي، وقُدر للحضارة الإسلامية أن يتألق نجمها في عصر المرابطين، فشجعت الحالة السياسية في أيامهم على ازدهار الحياة الاقتصادية والاستقرار الاجتماعي، وخلال عصر الأمير يوسف بن تاشفين نعمت البلاد بحياة اقتصادية مزدهرة فضلاً عن نهضة اجتماعية شاملة[7].

[1] ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 29/4؛ محمد شعيرة: المرابطون تاريخهم السياسي، ص95.

[2] ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 247/6؛ خليل السامرائي: تاريخ المغرب العربي، ص303 .

[3] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص144 .

[4] ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 248/6؛ خليل السامرائي: تاريخ المغرب العربي، ص303 .

[5] خليل السامرائي: تاريخ المغرب العربي، ص 303 .

[6] السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى،34/2 .

[7] حسن محمود: قيام دولة المرابطين، ص 19

الفصل الأول

الأحوال الزراعية والرعوية والصناعية

أولاً: الزراعة.

ثانياً: الثروة الحيوانية.

ثالثاً: الثروة السمكية.

رابعاً: الصناعة

بعد أن وطد المرابطون سلطانهم في المغرب الأقصى نشروا الأمن في ربوعه وخلّصوا البلاد من البدع، واختارت قبائل الملثمين الأراضي الخصبة وسكنتها[1]، فضلاً عن أنهم مهدوا الطريق لربط أقاليم المغرب فيما بينها، ومن ثمّ تكونت الدولة الواحدة التي تخضع لقيادة واحدة وقانون واحد وكل ذلك ساعد على تحسين أوضاع البلاد[2]، ولاسيما الأنشطة الاقتصادية التي أصابها الاضطراب والتأخر جراء الحروب المستمرة والثورات والفتن، التي كانت قائمة قبل قدوم المرابطين للمغرب الأقصى[3]، وأدى ذلك إلى ارتفاع الأسعار واشتداد المجاعة على الأهالي، ومع قدوم المرابطين شهدت البلاد فترة من الاستقرار[4].

ولإعطاء صورة واضحة عن الأحوال الاقتصادية في هذا العصر يتطلب الإحاطة بالبيئة الطبيعية للمنطقة التي يتواجد فيها هذا المجتمع، والتعرض للأحوال الزراعية وما يتعلق بها من تنوع جغرافي وموارد مائية ومحاصيل زراعية وما يتبع ذلك من مراعي وحيوانات وصيد وصناعة .

أولاً : الزراعـــة :-

1- عوامل ازدهار الزراعة :

ازدهرت الزراعة في المغرب الأقصى في العصر المرابطي بفضل ما يتمتع به هذا الإقليم من دعائم للزراعة أهمها التنوع الجغرافي، وتوفر مصادر المياه، والاستقرار السياسي.

أ- التنوع الجغرافي :-

تتميز بلاد المغرب عامة بظاهرة جغرافية واضحة جداً، فهي تتكون من سلاسل

---

[1] الإدريسي، الشريف أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد العزيز الشريف: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، تحقيق دوزي دي غوية، دون نشر (ليدن،1863هـ) ص67 .

[2] ابن مقديش، محمود: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق علي الزاوري وآخر، دار الغرب الإسلامي (بيروت،1988 م) 431/1، 432، 433 .

[3] مجهول، تاريخ البربر المعروف بمفاخر البربر، تحقيق محمد زينهم، جهاد للنشر والتوزيع (القاهرة، 1998م) ص 19، 20، 46، 47، 48 .

[4] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص 111، 112 .

جبلية وهضاب تتخللها وديان، وتمتد هذه السلاسل الجبلية من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، وهي تسير بمحاذاة الساحل شمالاً، ثم تتجه شرقاً لتتلاشى غرب تونس[1]، و يلاحظ أن أكبر وأعلى هذه السلاسل الجبلية هو جبل درن الذي يسمى بـ (أطلس الكبرى)، وهو جبل ليس مرتفعاً جداً و به مياه وفيرة[2]، وفي الشمال من جبل درن جبال صنهاجة وهي أطلس الوسطى وإلى الشمال من جبال صنهاجة توجد جبال غمارة وهي أطلس الريف، وإلى الجنوب من جبال درن سلسلة جبلية صحراوية، وهي أطلس الصغرى أو أطلس الصحراء، كما يوجد جبل أخر يشرف على مدينة فاس يعرف بجبل زالغ [3] .

ومع امتداد هذه السلاسل الجبلية وارتفاعها كانت تتخلل المغرب الأقصى سهول واسعة، منها سهول المحيط الأطلسي، التي تنساب بين الهضاب المغربية، إضافة إلى سهل آخر يُسمى سهل الغرب، الذي يقع في مثلث مدينة الرباط وفاس وطنجة يخترقه واديان، هما وادي [*] نهر لوكوس ونهر وادي سبو الواقع قرب مدينة طنجة[4]

أما السهول الداخلية فأهمها سهل مدينتي فاس ومكناسة الذي يشغل الحوض الأوسط لنهر وادي سبو ويعد أخصب أراضي المغرب الأقصى[5].

وعن المدن التي تقع في المناطق السهلية أهمها مدينة سلا[6]، إلى جانب مدينتي

---

[1] حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 25 .

[2] ابن قنفذ، أبو العباس أحمد حسين القسنطيني: أنس الفقير وعز الحقير، تحقيق محمد الفاسي وآخر منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي(الرباط، 1965م) ص 64؛ الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 234 ،235؛ سعدون نصرالله: دولة الأدارسة في المغرب، ص 17، 18.

[3] مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة (الدار البيضاء،1985م) ص 190 .

[*] نهر لوكوس: نهر ينبع من جبال غمارة ويجري نحو الغرب عبر سهول الهبط وأزغار ماراً بالقرب من مدينة القصر الكبير، إلى أن يصب في المحيط بإقليم أزغار على تخوم الهبط= الحسن الوزان: وصف أفريقيا، 249/2.

[4] سعدون نصر الله: دولة الأدارسة في المغرب، ص 18، 19.

[5] المرجع نفسه، ص 20.

[6] ابن صاحب الصلاة، عبد الملك: تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين تحقيق عبد الهادي التازي، دون نشر (بيروت،1964م) ص 444 ، 446 .

أغمات[1] وسجلماسة[2] .

كما تعتبر مدينة مراكش أيضاً من المدن السهلية، وهي في أرض وطئة تقع في أقصى الجنوب، ليس حولها من الجبال إلا جبل واحد يسمى(جبل اجليز)[3].

وإلى جانب هذا السطح المتنوع وأثره في اختلاف حاصلات البلاد تميزت المنطقة بالمناخ الذي أثر بدوره في الزراعة، وقد تنوع المناخ تبعاً لأقاليم المغرب المختلفة من سهول ساحلية وسلسلة جبال درن ثم إقليم الصحراء[4]، كل هذا جعل أراضي المغرب الأقصى أكثر قابلية للزراعة التي يعتمد عليها اقتصاد البلد.

ب- الموارد المائية :-

تنوعت موارد المياه في المغرب الأقصى، فمنها مياه الأنهار، فالواجهة الغربية المطلة على المحيط الأطلسي تتميز بوفرة الأنهار التي تصب في هذا المحيط، وتسقي السهول الساحلية الواسعة في هذه الأرض بحيث أصبحت هذه السهول من أهم المناطق الزراعية في المغرب الأقصى، فالأنهار في بلاد المغرب الأقصى كثيرة ومتعددة وأهمها نهر وادي سبو[5] الذي ينبع من جبال صنهاجة (بني وارتين)، وهي منطقة توزيع المياه في المغرب الأقصى[6]، وهذا النهر على بعد ثلاثة أيام من مدينة فاس وفيه يصب نهر فاس[7]، وهو بذلك يشترك مع وادي مدينة فاس في جعل هذه المنطقة خصبة صالحة

---

[1] ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار،1/ 59 .

[2] الدمشقي، شمس الدين أبي عبد الله الدمشقي: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مكتبة المثنى(بغداد، 1928م) ص38؛ سعدون نصرالله: دولة الأدارسة في المغرب، ص21.

[3] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص67؛ سعدون نصر الله: دولة الأدارسة في المغرب، ص 21.

[4] حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص235 .

[5] ينظر الزهري، أبو عبد الله محمد: كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق، دون نشر(دمشق، 1968م) ص113؛ ابن سعيد، المغربي: كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للنشر (بيروت،1970م) ص 138.

[6] مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 184؛ الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 606؛ الزهري: كتاب الجغرافية، ص 115 .

[7] الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص606.

للزراعة [1]، كما يعتبر نهر وادي أم الربيع [2]، ونهر وادي أبي رقراق[3]، من الأنهار المهمة في المغرب الأقصى، فنهر وادي أم الربيع نهر كبير ينبع من الأطلس من بين جبال عالية في حدود تادلا وناحية فاس ويصب في البحر، كما ينبع نهر أبي رقراق من جبال الأطلس ثم يمر عبر شعاب وغابات كثيرة ثم يخرج من بين تلال وصولاً إلى البحر المحيط (المحيط الأطلسي)[4]، ومن أشهر الأنهار أيضا نهر ملوية[5]، الذي يصب في البحر المتوسط بعد أن تتلقى مياهه بنهر سجلماسة وصَّيرا مجرى واحداً[6]، وأيضاً نهر تانسيفت[7]، ويصب في هذا النهر وادي وريكه ووادي نفيس[*] وأودية كثيرة[8]، وهو نهر دائم الجريان، وإذا كان زمن الشتاء "حمل بسيل كبير يزيد من مجراه"[9]، ومع نهر تانسيفت هذا نهر السوس وينبع من جبال الأطلس أي الجبال الفاصلة بين ناحية حاحة وجبال السوس وهو ينحدر إلى الجنوب بين هذه الجبال وينفذ إلى حقول ناحية السوس[10] .

كما يعد نهر وادي درعه[11]، من أهم الأنهار أيضاً وهو في مدينة مراكش بل إنه أطول نهر فيها وينبع من جبل درن ويصب في المحيط الأطلسي[12]، وبينه وبين

---

(1) حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 233 .

(2) الزهري: كتاب الجغرافية، ص 140؛ ابن سعيد: كتاب الجغرافية، ص 137؛ الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 605 .

(3) الفاسي، محمد: التعريف بالمغرب، دون نشر (القاهرة، 1961م) ص 14 .

(4) الحسن الوزان: وصف أفريقيا،2 / 247 .

(5) الزهري: كتاب الجغرافية، ص 140؛ الحسن الوزان: وصف أفريقيا،2 / 250 .

(6) القلقشندى، أبو العباس أحمد: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دون نشر(القاهرة ،1963م)174/5، 175.

(7) ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار،62/1؛ الحسن الوزان: وصف أفريقيا، 245/2.

(*) نفيس: مدينة بالمغرب بالقرب من أغمات، وهي مدينة صغيرة حولها عمارات وطوائف من قبائل البربر، ويشق بلد نفيس نهر كبير ينبع من نهر درن = الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 578 .

(8) مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 209 .

(9) الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 127 .

(10) الحسن الوزان: وصف أفريقيا، ص 254 .

(11) الزهري: كتاب الجغرافية ، ص140؛ الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 606 .

(12) إيفر: مادة درعة، دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة محمد ثابت الفندي وآخرون، انتشارات جيهان (طهران، بدون تاريخ) 9/ 195 .

سجلماسة مسيرة خمسة أيام[1]، وكذلك يوجد أيضاً نهر شيشاوه، وهو ببلاد حاحة أحد أقاليم مراكش[2]، إضافة إلى نهر أغمات الذي يشق المدينة جزء منه[3]، ويسمى هذا النهر بنهر(نافيروت)[4]، وفي بلاد السوس مدن كثيرة وبلاد واسعةً يسقيها نهر عظيم يصب في البحر يسمى نهر وادي ماسه[5]، أما مدينة سجلماسة فلها نهر ينبع من جنوبها ويمر من شرقها ويلتقي في مجراه مع نهر ملوية حتى يصل إلى بحر الروم (البحر المتوسط)[6].

والى جانب هذه الأنهار التي ساعدت على قيام الزراعة هناك أنهار أخرى تتخلل كثير من مدن المغرب الأقصى فمدينة سلا التي تقع بأقصى غرب المغرب يحاذيها نهر من جهة الغرب[7]، وبين مدينتي سلا والمهدية(*) يقع نهر أسمير[8]، وفي مدينة مكناسة أيضاً نهر مجراه من جهة الجنوب[9]، وكذلك لمدينة نفيس نهر منبعه من جبل درن[10].

وهذه الأنهار تعتمد اعتمادا كبيرا على الأمطار، لذا فهي تمتلئ في موسم الأمطار، وقد تأتي في أحيان أخرى سيول عند قدوم فصلي الخريف والشتاء، ومن هنا فإن الأنهار التي تعتمد كلياً على الأمطار تصبح عرضة لتقبل هذه السيول[11]، ومما لاشك فيه أن هذه الأنهار قد أسهمت بدورها في وفرة الإنتاج الزراعي ليفي بحاجة السكان .

ومن الموارد المائية في المغرب الأقصى أيضاً الأمطار والعيون والآبار، فالأمطار

---

[1] الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، 606 .

[2] الحسن الوزان: وصف أفريقيا،1/ 95 .

[3] مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 207 .

[4] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والغرب، ص 153.

[5] مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 211.

[6] القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، 5/ 173 / 175 .

[7] ياقوت الحموي: معجم البلدان،3 /231 .

(*) المهدية: مدينة بساحل إفريقية، وكان يقال لتلك الناحية جمة، بناها عبدالله الشيعي الخارجي وهو سماها المهدية نسبها إليه وبناها عام 300هـ/912م = الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 561 .

[8] ابن صاحب الصلاة: تاريخ المن بالإمامة، ص444،446.

[9] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص77.

[10] مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 208 .

[11] مار مول، كربخال: أفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف للنشر(الرباط،1948م)36/1.

تهطل على المدن الواقعة شمال مدينة مراكش[1]، ويلاحظ أن أمطار المغرب غير منتظمة في أوقاتها وتواليها، فقد تتوالى أياماً وشهوراً وربما تحبس عاماً كاملاً أو أعواماً متصلة، وكان لارتفاع الجبل أهمية كبرى في سقوط الأمطار وتكون الثلوج على هذه المرتفعات[2]، فنهر وادي سبو الذي تُسقى منه مدينة فاس منبعه من جبال(صنهاجة)، التي سبق الحديث عنها[3]، فالأمطار في هذه البلاد تسقط في أواخر شهر أكتوبر وربما تستمر إلى شهر مارس[4].

أما العيون والآبار: فهي كثيرة في هذه البلاد مثلما كثرت فيها الأنهار، فهناك العيون والمياه الوفيرة[5]، فقد كان لمدينة فاس عيون تسيل إلى قرارة واديها[6]، فمدينة فاس مدينتان مقترنتان يفصل بينهما نهر كبير ينبع من عيون فيها تعرف بعيون صنهاجة[7]، وليس في بلاد المغرب مدينة يتخللها الماء مثل مدينة فاس، فيستفاد من هذه العيون إما بتغذيتها للأنهار بالمياه بعد فصل الأمطار، أو باستخدامها بديلاً عنها في الزراعة والشرب[8]، كذلك أغمات وريكه فيها المياه العذبة، فالجبل الذي يشرف على المدينة تنزل عليه الثلوج في فصل الشتاء فإذا جاء الصيف وذهب الشتاء ذابت هذه الثلوج حتى يصل ذوبـانها إلى مدينة أغمات فيستفاد من هذه المياه النازلة[9]، وقد عمل المرابطون بالقدر المتاح لديهم على الاستفادة من مياه الأنهار والعيون والآبار والأمطار وتوصيلها إلى الأراضي والمدن بوسائل متعددة، منها الروافع التي تسمى السواقي، وهي تعد من أكثر وسائل الري انتشاراً في مدن المغرب الأقصى ولاسيما في مدينة فاس، فقد

---

[1] ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 4 / 100 .

[2] المصدر نفسه: القسم الموحدي، تحقيق محمد الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي (بيروت، 1985م) ص16 ؛ طه، جمال أحمد: مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين، دار الوفاء (الإسكندرية، بدون تاريخ) ص 204 .

[3] الزهري: كتاب الجغرافية، ص 115 ؛ الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 434 .

[4] مار مول: أفريقيا،1 / 30 .

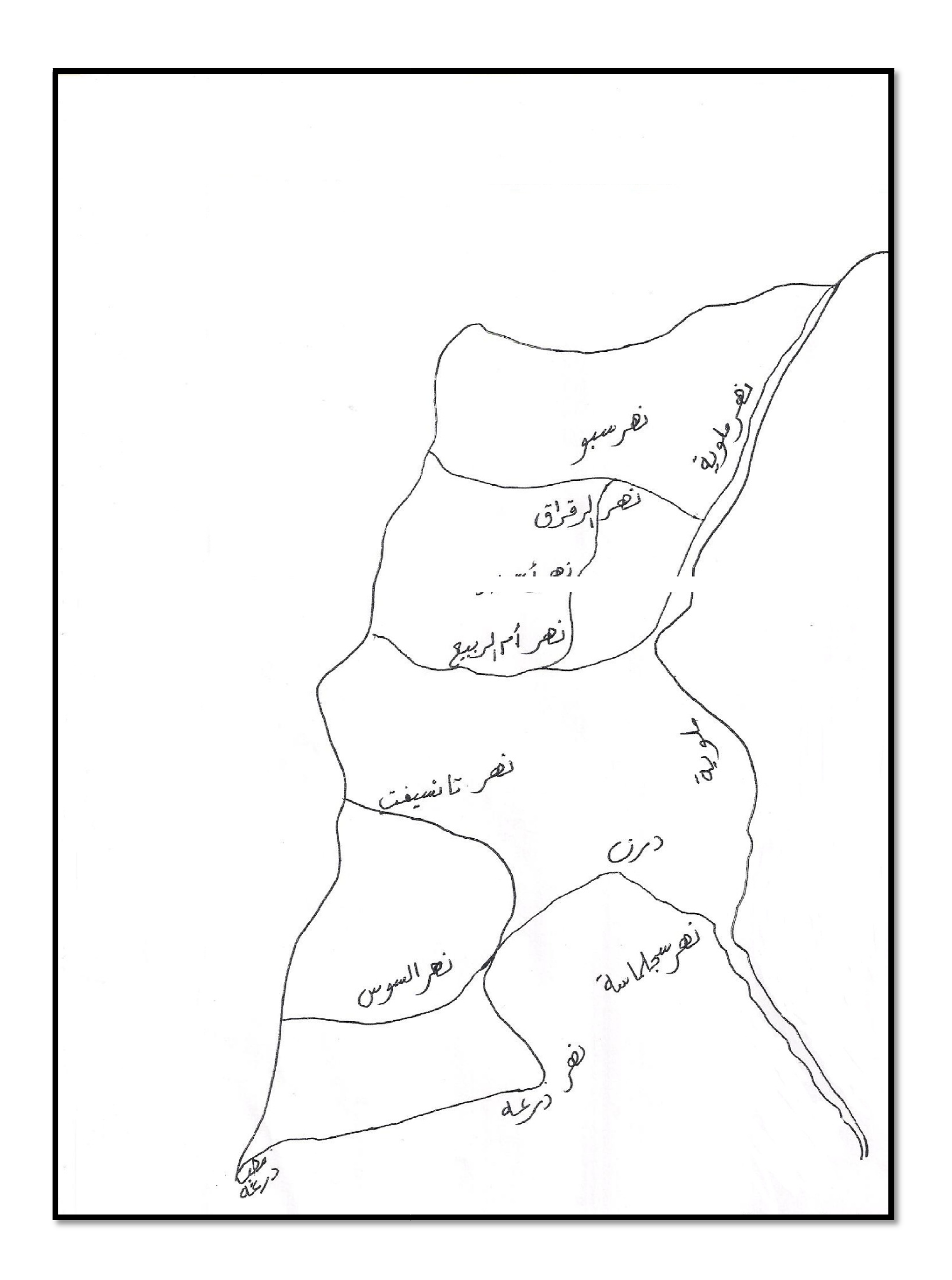
[5] مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 188 .

[6] ياقوت الحموي: معجم البلدان، 4 / 230 .

[7] الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 434.

[8] موسى، عزالدين أحمد: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس، دار الشروق (القاهرة، 1983م) ص 59 .

[9] ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، 1/ 59 .



أهم الأنهار في المغرب الأقصى[1]

---

[1] عزالدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص 52.

كان في كل زقاق ودار صغيرة أو كبيرة ساقية[1]، كذلك عندما قام المرابطون ببناء مدينة مراكش استخرجوا لها الماء من العيون، وذلك لأن ماءها ليس بعيدا عن سطح الأرض[2].

وبعد هذا السرد لمصادر المياه في المغرب الأقصى يتبين أن هذه البلاد تتميز بكثرة الأنهار واختراقها لمعظم أراضيها مع جريانها الدائم نتيجة لسقوط الأمطار، فهذا كلهُ منح أرض المغرب الأقصى كميات وفيرة من المياه لاستخدامها في الأراضي الواسعة[3]، والمعروف عن أرض المغرب الأقصى أنها من أجود الأراضي الصالحة للزراعة فمدينة سجلماسة تتميز بتربة خصبة وتجود بالمحاصيل الزراعية، كما أن مدن درعة والسوس الأقصى وأغمات وريكه ومراكش ومكناسة التي كثرت فيها الزراعات كانت من أخصب أراضي المغرب الأقصى، فهي تكثر فيها المحاصيل لجودة تربتها[4]، وهي بلاد خصيبة ذات أنهار وعيون وثمار[5].

كما تعتبر مدينة فاس من أهم المدن التي تتمتع بتربة خصبة صالحة للزراعة حتى وصفت بأنها من أخصب الجهات حيث وفر لها نهر سبو تربة خصبة[6].

ج - سياسة الدولة اتجاه الأراضي :-

مرت سياسة دولة المرابطين اتجاه الأراضي بعدة مراحل منها ما يسمى بالتطييب والتخميس[*]، فمن الراجح أن أراضي المغرب الأقصى كانت للقبائل التي تسيطر عليها أو تسكن فيها، ولكن عند قدوم المرابطين أصبحت الدولة هي المالكة لكثير من

---

[1] الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 434؛ عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص62.

[2] ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار،1/ 61 .

[3] حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 234 .

[4] ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، 1 / 56، 57، 58، 59، 71 .

[5] ابن غازي، أبو عبد الله بن أحمد بن محمد المكناسي: الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تحقيق عطا أبورية وأخر، مكتبة الثقافة الدينية، ط1(القاهرة،2007م) ص 40 .

[6] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص75،76.

[*] التخميس: عُرف التخميس في العهود الأولى للإسلام وهو أن يعامل القائد المنتصر المهزومين كغنيمة بأن يأخذ خمسهم لاستعمال الدولة = هوبكنز، النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، ترجمة أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب (تونس، بدون تاريخ) ص 71 ، 73 ، 74 .

الأراضي في البلاد، فقد أخضع المرابطون جميع بلاد الصحراء واستولوا على قبائلها وكان المرابطون يجمعون أسلاب المقتولين في غزواتهم ويجعلونها فيئاً وغنيمة لهم أو ليبعثوا منها أمولا لمساعدة الناس[1]، حيث أمر الفقيه عبد الله بن ياسين المرابطين بقتال مخالفيهم من أجل رفع راية الجهاد بعد أن اجتمع لديه في الرباط الذي أسسه أنصاره الذين دفعهم إلى جهاد من خالفهم من قبائل صنهاجة[2]، لذلك فإن بعض الدراسات ترى أن الطريقة التي اتبعها المرابطون أو سادتهم هي تكفير الخصوم وذلك تمهيداً للاستيلاء على أملاكهم وأموالهم بمبرر ومسوغ شرعي[3]، وهذه الرؤيا مستمدة من نظام التطييب، الذي سنَّهُ الفقيه عبد الله بن ياسين[4]، حيث يعتمد نظام التطييب على أخذ الثلث من أموال من ينظم إليهم من قبائل صنهاجة الصحراء لتطييب أموالهم مثلما فعلوا مع قبيلة لمطه عندما دخلوا في طاعتهم فسألوهم ثلث أموالهم ليطيب لهم بذلك الثلثان[5]، كما وجه نقد آخر إلى المرابطين، حيث قيل إنهم يستترون تحت ثوب الشرع من أجل امتلاك أراضي الخصوم، ثم يقطعونها لجندهم ويشاركون أصحابها في غلاتها[6].

وكل هذا الكلام وجه نقدا لدولة المرابطين، ولم يؤخذ بالحسبان أن دافعهم الأول هو الجهاد، وإنهم ما قاموا بمحاربة مخالفيهم إلا بعد أن دعوهم بالعمل بأحكام الله وسنة نبيه، وما أعلنوا الجهاد على أعدائهم إلا لأنهم لم يلقوا استجابة منهم بل لم يزدادوا إلا فسقا، فلما يأسوا منهم أعلنوا الجهاد والحرب عليهم، فمن الطبيعي أن يسيطر المرابطون على أراضي كل من عارض الدين الإسلامي، وكذلك لم يكن المرابطون يتخذون الدين ستار من أجل غايات في أنفسهم، بل كانوا قد رأو أن المغرب الأقصى تنتشر فيه كثير من الأمور التي تنافي الدين الإسلامي وكثير من الظلم، لاسيما أن الأمراء المرابطون

---

[1] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 165، 166؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص 126، 127،128.

[2] السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، 2 / 9 ، 10 .

[3] عبد العمر، محمد: الإقطاع وأثره السياسي والاجتماعي في المغرب خلال عصري المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس، كلية الآداب (القاهرة، 2007 م) ص 126 .

[4] لا شك أن عبد الله بن ياسين مالكي المذهب، ولو صح أنه طبق هذا النظام فإنه خالف مبدأ الجهاد وما نصت علية السنة، حيث لم يذكر في موطأ مالك ما فعله ابن ياسين= ينظر مالك ابن أنس، الإمام: الموطأ، صححه وأخرج أحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، دار أحياء الكتب العربية (بدون مدينة،1951 م) 2 / 450 ، 460 .

[5] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 166 .

[6] محمد عبد العمر: الإقطاع وأثره الاجتماعي في المغرب، ص 127 .

عرفوا بالرفق بالرعية، ولو كان المرابطون كذلك لما أقروا قبائل المصامدة على أراضيها لقاء تحالفهم معهم منذ بداية فتوحاتهم[1]، ولا قام الأمير يوسف بن تاشفين بشراء أرض مدينة مراكش[2]، وكل هذا يدل على حفاظ دولة المرابطين وحرصها على الملكيات الخاصة، ولذلك اتخذها الأمير يوسف بن تاشفين عاصمة لملكه[3] حتى أصبحت أعظم مدينة في المغرب[4]، ومع بداية الفتح المرابطي لشمال المغرب الأقصى عمل المرابطون بنظام التخميس، وتوزيع المغانم على الفاتحين، وأغلب الظن أن هذا النظام توقف بعد تأسيس مدينة مراكش وبداية الدولة[5]، ولاسيما أن الجيش المرابطي بدأ يضم عناصر غير صنهاجية من مصمودة وزناته ومرتزقة من العبيد السود والروم[6]، ولم يرد أن الأراضي التي فتحت بعد تأسيس مراكش قد خُمسّت، ومن الواضح أن نظام التخميس أو التعدي على أراضي بيت المال أفقدت الدولة كثيراً من الأراضي، ولم تظهر أثار ذلك إلا في إمارة الأمير علي بن يوسف[*]، الذي حاول زيادة أراضي الدولة بعدة وسائل على الرغم من احترام المرابطين للملكية الخاصة بعد استتباب أمرهم[7]، ولكن ما اتبعه الأمير علي بن يوسف من سياسة قد تسبب بحدوث اضطرابات في البلاد، لأنه حاول مراجعة الملكيات العامة التي آلت إلى ملكيات خاصة ولا شك أنه لو تم للأمير علي بن يوسف مراجعة ما آل من ملكيات خاصة لساعد الدولة على أن تسترد كثيرا من

---

(1) السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، 2/ 14 .

(2) ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار،1/ 60 .

(3) السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، 2/ 25 .

(4) ياقوت الحموي: معجم البلدان، 5 / 94.

(5) البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 165؛ ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 4/ 12؛ جمال طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، ص202.

(6) أبن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص 139 .

(*) علي بن يوسف بن تاشفين أمه أم ولد رومية وتسمى بأم الحسن مولده بسبتة عام 477هـ/ 1084م بويع له يوم مات أبوه بمراكش بعهد منه وتسمى بأمير المسلمين، وذلك في عام 500هـ/1106م، وسنه يوم بويع ثلاث وعشرون سنة وضل على سيرة أبيه الحميدة إلى أن توفى عام 537هـ/ 1142م، وولي من بعده ابنه تاشفين ينظر= ابن القاضي، أحمد المكناسي: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة (الرباط،1974م)2/ 459، 460؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر،250/6؛ السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى،2/ 61.

(7) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص 139؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 6 / 185 ، 186 .

الأراضي التي استُولي عليها بدون وجه حق[1] وهذا الأمر ترتبت عليه نتائج خطيرة فتحت عليهم أبواب الثورات[2]، وربما هذا ما جعل أهالي المغرب الأقصى يرفضون هذا النظام، حتى إنهم بعد سقوط دولة المرابطين، لم يرضوا بتخميس أموالهم وهم مسلمون، فاندلعت ثورتان أوشكتا القضاء على الدولة الموحدية[*] الوليدة في عام541هـ/1147م عندما فتح الموحدون مدينة مراكش[3]، وبهذا يتضح أن نظام المرابطين اتجاه الأراضي كان متمثلاً في التطييب ثم التخميس وهو إقطاع الجند من الأراضي التي يتم فتحها[4]، وهذا يعني أن الأرض التي وهبة من الدولة للجند أو عن طريق الشراء هي ملكية خاصة وهذا ما شجع كثير من الناس على شراء الأراضي واستثمارها في المغرب الأقصى[5]، مثلما فعله بعض أهالي بلاد الأندلس الذين هاجروا إلى المغرب الأقصى، وبدؤوا يقتنون الضياع فيها مثلما فعلت أسرة (بنو عشرة) في سلا[6]، وذلك عندما انطوت الأندلس تحت لواء دولة المرابطين، فكانت محاولات الاستفادة من الخبرات الأندلسية في شتى مجالات الزراعة من أهم أسباب ارتقائها في بلاد المغرب الأقصى[7]، وقد كان استيطان هذه الهجرات له أثره في تزويد سكان البلاد بالخبرات الفلاحية مما أسهم في تنشيط

---

[1] عصمت دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني، دار الغرب الإسلامي (بيروت، بدون تاريخ) ص157، 159.

[2] عزالدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص 132.

[*] دولة الموحدين: طائفة دينية إصلاحية جاء بها رجل يدعى محمد المهدي بن تومرت المصمودي في مستهل القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي وهو ينتمي إلى قبيلة هرغة المصمودية التي كانت تنزل في السوس الأقصى، وأعلن ابن تومرت الحرب ضد دولة المرابطين، واستطاعت هذه الدولة في النهاية القضاء على دولة المرابطين، وإسقاط مدن المغرب الأقصى، المدينة تلو والأخرى حتى انتهت دولة المرابطين عام 541 هـ/ 1146م = للمزيد ينظر ابن عذاري المراكشي: قسم الموحدين؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص172؛ مجهول: الحلل الموشية في الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار، دار الرشاد الحديثة (الدار البيضاء،1979م) ص121، 137،

[3] مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص121 .

[4] ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 4/ 10، 16؛ عصمت دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص 159 .

[5] عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص 150 .

[6] ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف (القاهرة،1955م)2/ 397.

[7] عبد العزيز، محمد عادل: الجذور الأندلسية في الثقافة المغربية، دار غريب للنشر والتوزيع(القاهرة، بدون تاريخ) ص 173.

الزراعة[1]، لذلك كان للمهاجرين الأندلسيين في عصر المرابطين أثر جيد في تكييف الحياة الاقتصادية بالمغرب الأقصى لاسيما في المراكز التي استوطنوها، حيث اختلف التأثير باختلاف هوية المهاجرين وطبيعة المهجر، وقد كثرت الغلاّت والبساتين والحدائق والمزارع، حيث وجد الأندلسيون، فاستنبطوا المياه وغرسوا الأشجار وأحدثوا الرحى الطاحنة بالماء[2]، كما اشترك الأندلسيون مع إخوانهم المغاربة في تبادل الخبرات الزراعية[3]، ومما ساعد على ازدهار الزراعة أيضاً طبقة الفلاحين الكادحة التي أخذت على عاتقها الاهتمام بالزراعة ومنها قبائل دكالة التي كانت الزراعة مهنتها الأولى في هذه البلاد وقد كانت الفلاحة بالنسبة لهم مهنة يتوارثونها جيل بعد جيل، فاستغلت هذه الطبقة الظروف الطبيعية في الزراعة المختلفة[4]، وكانت قبائل برغواطة ومطماطة وبنو تسلت وبنو يغمران وزقارة وزناتة وبنو يخفش على دراية بأمور الزراعة، ومواطن هذه القبائل في إقليم تامسنا[5]، وقد تأثر هؤلاء بحالة الأمن التي سادت في البلاد فقراهم كانت تخرب أوقات الفتن والحروب ثم تعمر وقت السلم[6]، تلك كانت حالة الأراضي في المغرب الأقصى في عصر المرابطين، فالأمن والاستقرار الذي عاشته البلاد في ظل دولة المرابطين شجع الأهالي على ممارسة الزراعة، فقد قاموا بالعمل الزراعي في أراضيهم من حرث وحصاد ودرس[7]، فكان لأبي محمد عبد الله بن يحيى 536هـ /1141م - وهو من بلاد تادلا- بستان يقوم بخدمته بنفسه[8]، ولأبي محمد خميس بن أبي زرج الرجراجي الأسود أرض يقوم بزراعتها وخدمتها بنفسه، وكان لا يأكل إلا من

---

[1] ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار 1/ 61 .

[2] محمد عبد العزيز: الجذور الأندلسية في الثقافة المغربية، ص 173 .

[3] ابن عبد الله، عبد العزيز: مظاهر الحضارة المغربية، دون نشر (بدون مدينة، بدون تاريخ)40/1.

[4] مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 209 .

[5] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص 70؛ ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار،1/ 63 .

[6] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 141 ، 142 ، 153 ، 155 .

[7] مراد، حسين سيد عبد الله: المتصوفة في المغرب الأقصى في عصري المرابطين والموحدين، معهد البحوث والدراسات الأفريقية (القاهرة، 1994 م) ص 98.

[8] التادلي، أبو يعقوب بن يحيى: التشوف إلى رجال التصوف، مكتبة الثقافة الدينية، ط1 (القاهرة، 2007م) ص 108، 109 .

عمل يده تقديراً لقيمة العمل[1]، فأدى كل هذا إلى تنشيط اقتصاديات البلاد، حتى إن الجيوش المرابطية أخذت تعتمد في بعض ميراتها على اقتصاد البلاد[2].

د- الاهتمام بوسائل الري:-

لما كانت الحاجة ماسة للماء من أجل سقي المزروعات من العيون أو الأنهار[3] فقد أولى المرابطون أهمية كبيرة لهذا الأمر، فقد أقاموا قنوات الري على يد مهندسين أندلسيين[4]، وذلك عندما أتم الأمير يوسف بن تاشفين بناء مدينة مراكش[5]، حيث عمد إلى استخراج الماء لأغراض الشرب واستغراس الأرض، وقد أوكل الأمير يوسف بن تاشفين هذا العمل إلى مهندس من أهل الأندلس يُدعى عبد الله بن يونس الذي تمكن بخبرته من استخراج الماء القريب من سطح الأرض بطريقة هندسية[6]، وقد أشار الإدريسي إلى هذه الطريقة بقوله:"وماؤها الذي تسقى به البساتين مستخرج بصنعة هندسية حسنة استخرج ذلك عبد الله بن يونس، وذلك أن هذا الرجل جاء إلى مراكش في صدر بنائها وليس بها إلا بستان واحد لأبي الفضل مولى أمير المسلمين فقصد إلى أعلى الأرض مما يلي البستان فاحتفر فيه بئراً مربعة كبيرة التربيع، ثم احتفر منها ساقية متصلة الحفر على وجه الأرض ومر يحفر بتدريج من أرفع إلى أخفض بميزان حتى وصل الماء إلى البستان وهو منسكب على وجه الأرض يصب فيه فهو جار مع الأيام لايتغير"[7]، ويلاحظ من هذا مدى اهتمام ولاة الأمر من المرابطين بوسائل جلب الماء والري الذي من شأنه تحسين الوضع الاقتصادي للبلاد[8]، وقد قام الناس في مدينة

---

[1] التادلي: التشوف إلى رجال التصوف، ص 93 .

[2] جمال طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، ص 201

[3] الأشبيلي، يحيى بن أحمد بن العوام: كتاب الفلاحة، دون نشر (مدريد،1802هـ) ص5 .

[4] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص 67؛ محمد عبد العزيز: الجذور الأندلسية في الثقافة المغربية، ص 176 .

[5] الباجي، أبو عبد الله الشيخ محمد: الخلاصة النقية في تحرير أمراء إفريقية، مطبعة بيكار وشركاته (تونس، 1323هـ) ص 49 .

[6] ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، 1/ 61 .

[7] المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص 67، 68 .

[8] حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 236.

مراكش بحفر الآبار حتى خرج الماء فاستوطنوها[1]، كما أمر أمير المسلمين علي بن يوسف ببناء قنطرة على نهر تانسيفت لتسهم بدورها في توزيع المياه اللازمة للزراعة، وقد جلب من أجل بناء هذه القنطرة العجيبة صُناع الأندلس وبعض مماً لهم دراية بالبناء فشيدوها وأتقنوا بنيانها حتى كملت، وهي تبعد عن مدينة مراكش بنحو ثلاثة أميال ونهرها ليس كبيرا ولكنه دائم الجري، وفي فصل الشتاء تكثر فيه السيول[2]، كما أشار ابن مقديش إلى هذه القنطرة أيضاً[3]

ومن الأدوات التي استخدمها سكان المغرب الأقصى لرفع المياه منها يسمي بالدواليب[4]، فالواضح أنهم كانوا على دراية بأساليب تطهير مجاري الأنهار والترع وإقامة السدود عليها لتوفير الماء بالقدر الكافي لهم[5]، وهكذا فإن نظام الأراضي وسياسة الدولة وأوضاع الزرّاع كلها عوامل كان لها أثر على المساحات المزروعة وكمية الحاصلات وأنواعها[6] .

2- المحاصيل الزراعية :-

إن الإنتاج الزراعي في المغرب الأقصى كان واسعاً ومتنوعاً، وذلك لوجود سمة مميزة لنشاط الاقتصاد في بلاد المغرب الأقصى وهي مهنة الفلاحة[7]، فكان مردود ذلك وفرة المحاصيل، وأهمها :-

أ- الزيتون: كانت زراعته منتشرة في بلاد المغرب الأقصى قبل عصر المرابطين، حيث تمّ زرعه في مدينة فاس، وزاد المرابطون من زراعته فكثرت بالقرب من عدوة

---

(1) السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، 2 / 25 .

(2) المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص 69 .

(3) نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، 1 / 62 .

(4) القلقشندى: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، 5 / 168 .

(5) الونشريسي، أحمد بن يحيى: المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقيا والأندلس والمغرب، تحقيق محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية (الرباط، 1981) 8/ 20 ، 24 .

(6) عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص 192 .

(7) الجنحاني، حبيب: نظام ملكية الأرض في المغرب الإسلامي، مجلة المؤرخ العربي، العدد23(بغداد، 1983م) ص30.

القرويين[*] أشجار الزيتون[1]، والمعروف عن هذا البلد، أنه "كثير الخيرات والزيتون"[2] وتعتبر مدينة مكناسة وهي من السوس الأدنى من أهم المدن التي تحظى بزراعتـــه [3]، وقد كان من أهم محاصيل مدينة مراكش، حتى أصبحت تنتج منه كميات كثيرة[4].

ب- القمح: يعتبر القمح من أهم المحاصيل الزراعية التي كان ينتجها المغرب الأقصى، فقد كان يزرع في الغالبية العظمى في مدينة طنجة[5]، وفي بلاد السوس ومدن نفيس وفاس[6]، إلى جانب زراعته في المناطق الشرقية من البلاد في الطريق المتجه من فاس إلى تلمسان بما فيها من قرى ومزارع كثيرة[7]، ومما يدل على وجود القمح أيام المرابطين أن الأمير يوسف بن تاشفين أعطى الأمير أبوبكر بن عمر عند قدومه من الصحراء الكثير منه[8]، حيث كان القمح في أيام المرابطين يباع الأربعة أوسق[**] منه بنصف مثقال[9] .

ج- الشعير: كان يزرع في مدينة مراكش[10]، وفي مدينة فاس[11]، وبلاد السوس

---

[*] عدوة القرويين: تقع في مدينة فاس أسست في عام 173هـ /789م في ولاية إدريس بن إدريس الفاطمي = الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 434 .

[1] مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 186؛ ابن غازي: الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، ص50 .

[2] المقدسي، شمس الدين عبد الله: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق دي غويه، المكتبة الجغرافية العربية، ط 2(ليدن، 1948 م) ص 229 .

[3] ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، ص 141؛ الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 544 .

[4] مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 210 .

[5] ابن حوقل، النصيبي أبو القاسم محمد بن علي البغدادي: صورة الأرض، دون نشر (ليدن، 1967م) ص 79.

[6] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص 62؛ الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 330، 434، 578 .

[7] ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، 75/1 .

[8] مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص 28.

[**] الوسق: ستون صاعا عند أهل الحجاز= محمد، علي جمعة: المكاييل والموازين الشرعية، القدس للإعلان والتسويق (القاهرة، 2001م) ص 41 .

[9] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص 167 .

[10] الحسن الوزان: وصف أفريقيا، 122/1، 126.

[11] الإدريسي: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص50؛ الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص434.

الأقصى، التي هي بلاد حنطة وشعير[1]، وفي سجلماسة التي كان أهلها يزرعونه عاماً ويحصدون منه ثلاثة أعوام، وسبب ذلك انه أثناء الحصاد تحمل سنابل الشعير المحصود من أجل درسه فتتساقط منه كميات كبيرة بين تشققات الأرض، وبعد سقيه بالماء ينتج نوع من الحبوب[2]، ذلك أن الشعير ينبت في الأرض الفقيرة ويكتفي بالقليل من الماء، وهذه الحبوب لا تشبه الحنطة ولا الشعير ويسمى سلتا[*]، فالحبوب من القمح والشعير من أهم الأطعمة التي يتزود بها المرابطون، والدليل على ذلك أن خبز الشعير كان طعام الأمير يوسف بن تاشفين[3].

د- القطن:

كان القطن يزرع في المغرب الأقصى في المناطق المنخفضة من سطحه[4]، ومن المدن التي جادت بها زراعة القطن مدينة داي[**] رغم صغرها، ثم مدينة تادلا التي فاق إنتاجها له أكثر من مدينة داي حتى إنه أصبح يصدّر إلى كل الجهات[5]، إضافة إلى زراعته في قرية أم الربيع التي تقع في بلاد فازاز[***] من أرض المغرب[6]، كما ازدهرت زراعته في واحة سجلماسة لتوفر العناصر المناخية الملائمة لإنباته من حرارة وماء[7]، وإلى جانبها مدينة سلا التي أنتجته بكميات كبيرة[8].

---

[1] ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، 1/ 57 .

[2] الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 305 .

[*] السلت: هو شعير أبيض لا قشر له، وقيل انه نوع من الحنطة = ينظر الزبيدي ، محمد مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق محمود علي الطناجي، دون نشر(الكويت ، 1976 م) 16 / 564 ، 565.

[3] سعدون نصرالله: دولة المرابطين في المغرب والأندلس"عهد يوسف بن تاشفين"، دار النهضة العربية، ط1 (بيروت، 1985م) ص 14 .

[4] ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار،1/ 11 / 18 .

[**] داي: بأرض المغرب الأقصى، بنيها وبين أغمات أربعة أيام، وهي في أسفل جبل درن = الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 231 .

[5] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص 75 .

[***] فازاز: هو من الجبال المشهورة في بلاد المغرب، تسكنه أمم كثيرة من البربر، وفيها قلعة أقام عليها عسكر الملثمين سبة أعوام = الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 435

[6] الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 605 .

[7] المصدر نفسه، ص 305؛ سعدون نصرالله: دولة المرابطين في المغرب والأندلس، ص14.

[8] الحسن الوزان: وصف أفريقيا، 1 / 208 ،209 .

هـ - قصب السكر:

اشتهرت بزراعته بلاد السوس الأقصى، حيث كان يحمل منها إلى جميع البلاد[1]، كما كثرت زارعته في تارودنت(*)، وإيجلي اللتين تقعان في بلاد السوس، فكانت مدينة تارودنت هي أكبر البلاد إنتاجاً له، وكذلك أيجلي حيث كان قصب السكر فيها كثيراً وله عدة معاصر [2] .

و- الذرة والأرز:

وهي تزرع بمدينة طنجة[3]، وسجلماسة[4]، ويزرع الأرز بمنطقة السوس وإن كان بكميات قليلة[5].

ز- الفواكه :

أما عن الفاكهة فقد شهد المغرب الأقصى في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي زراعة محاصيل العنب والتين والتفاح والخوخ والجوز واللوز وخاصة في مدينة فاس[6]، وكذلك في جبل درن الذي انتشرت به هذه المحاصيل[7]، وقد أشار الإدريسي - وهو الأقرب من هذا العصر- إلى تنوع الفاكهة في منطقة السوس بقوله:"وبلاد السوس قرى كثيرة وعماراتها متصلة بعضها ببعض وبها من الفواكه الجليلة أجناس مختلفة وأنواع كثيرة كالجوز والتين والعنب والرمان الكثير العدد، وكذلك المشمش والتفاح"[8]، كما توجد بعض الفواكه في مدينة مراكش مثل: الليمون والعنب[9]، وزرع أيضاً المشمش

---

[1] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 111 .

(*) تارودنت: وهي مدينة في السوس أسسها الأفارقة الأقدمون تقع جنوب الأطلس الكبير بعيدة عنه بما يزيد قليلاً عن أربعة أميال = للمزيد ينظر الحسن الوزان: وصف أفريقيا، 1/1

[2] مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 211 ، 212 .

[3] ابن حوقل: صورة الأرض، ص 80 .

[4] ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر: الأعلاق النفيسة، دون نشر (ليدن، 1881م) ص 359 .

[5] ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، 1 / 75 .

[6] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 116؛ محمد عبد العزيز: الجذور الأندلسية في الثقافة المغربية، ص 174 .

[7] الإدريسي: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص64، 65.

[8] المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص 61، 62؛ الزهري: كتاب الجغرافية، ص 118 .

[9] مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 210 .

المسمى بالأندلسي وأنواع من التفاح والإجاص والرمان السفري[*] في مدينة مكناسة[1]، والتمور التي كانت أصنافها متعددة تصل إلى ستة عشر صنفاً فقد زرعت أشجاره في مدينة سجلماسة وعدة مدن أخرى[2].

أما الجوز واللوز فقد زرع في مدينة أغمات[3]، وبلاد السوس الأقصى التي كانت هي أكثر المدن المنتجة له[4]

وتعلل بعض المراجع الحديثة أن انتشار زراعة الفاكهة في المغرب الأقصى بهذا الشكل كان نتيجة لقدوم المهاجرين الأندلسيين في عصر المرابطين إلى هذه البلاد، حيث كان لهم أثر في تكييف الحياة الاقتصادية في المغرب الأقصى، خاصة في المدن التي استقروا فيها بشكل دائم[5]، ولكن هذا لا يعني أن أهل المغرب تنقصهم الخبرة الزراعية لإنتاج المحاصيل من الفاكهة، فقد كان لأبى محمد فتح الله بن يحيى - الذي سبق الحديث عنه أنه يمتلك - بستاناً، وكان من أهم المحاصيل التي ينتجها هذا البستان محصول العنب [6]

ومن المحاصيل الأخرى التي امتازت بها هذه البلاد ، الحنَّاء والكمون والكراوياء، التي تزرع في مدينة سجلماسة [7]، كذلك تميزت مدينة درعة بزراعة نبات الحناء، حيث كان هذا النبات يكبر حتى يصير كقوام الشجرة ومنها يؤخذ بزره ويتجهز به إلى

---

[*] رمان لا نوى له، وهو أطيب أنواع الرمان، ينسب إلى سفر بن عبيد القلاعي من جند الأردن ، وهو أحد رجال عبدالرحمن الأموي الداخل إلى الأندلس، والصفري هو الذي استنبته بقرية بكورة وعالجه حتى أينع وأثمر وعرف منذ ذلك العصر في الأندلس والمغرب، ولا يزال هذا النوع معروفا في أسبانيا بحلاوته وصغر حجمه ويسمى بنفس الاسم = ابن غازي: الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، ص 48؛ الشطشاط، علي حسين : تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة،2001م) ص 100 .

[1] ابن غازي: الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، ص 48 .

[2] ياقوت الحموي: معجم البلدان، 192/3.

[3] ابن حوقل: صورة الأرض، ص9.

[4] مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 211 ؛ الزهري: كتاب الجغرافية ، ص 118 .

[5] محمد عبد العزيز: الجذور الأندلسية في الثقافة المغربية ، ص 173

[6] التادلي: التشوف إلى رجال التصوف، ص 108، 109.

[7] ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار،56/1 .

كافة الجهات، ولا يوجد بزره إلا في هذا الإقليم[1].

3- الغابات:

اشتهر المغرب الأقصى بغاباته وأخشابه الجيدة متعددة الأنواع وتتركز أهم مناطق الغابات في جبل درن[2]، وفازاز[3]، ومدينة نفيس[4]، وفي وادي أم الربيع[5]، وأهم أشجار هذه الغابات هي :

أ - الأرز: الذي كان يوجد في جبال درن[6]، وفازاز التي فيها خشب الأرز العتيق الغالي حيث توفر فيها بأعداد كثيرة [7].

ب- البلوط: يكثر في جبال درن[8]

ب - الصنوبر: وجد الصنوبر في جبال درن أيضاً [9]

ج - الأركان: يوجد أيضاً في جبل درن فهو يعصر منه دهن كثير، وأهالي هذه البلاد يستعملونه، كما يستعمله أهل المغرب في وقتنا الحالي وله شهرة كبيرة وفوائد جما[10].

- ثانياً :الثروة الحيوانية:

أشارت المصادر الجغرافية إلى كثرة المراعي في بلاد المغرب الأقصى ووفرة ثرواتها الحيوانية فهي تتميز بمساحتها الواسعة [11]، ففي مدينة أغمات غطت المراعي مساحات واسعة في جنوبها[12]، وكذلك في وادي أم الربيع[13] وتادلة وفاس[14]،

---

[1] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص 61 .

[2] مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 211.

[3] الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 435 .

[4] مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص208.

[5] الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص604.

[6] المصدر نفسه، ص 235؛ حسن حسن، الحضارة الإسلامي في المغرب والأندلس، ص 249.

[7] الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 235 .

[8] المصدر نفسه والصفحة.

[9] المصدر نفسه والصفحة .

[10] المصدر نفسه والصفحة.

[11] ياقوت الحموي: معجم البلدان، 161/5 .

[12] ابن رسته: الأعلاق النفيسة، ص 360 .

[13] الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص605 .

[14] ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، 1/ 69 .

وبالقرب من مدينة مراكش في بلاد حاحة[1]، وفي قرية (*)أنقال[2]، كما يعتبر جبل فازاز من المناطق التي تزخر بالمراعي فهو من الجبال المشورة في بلاد المغرب وتسكنه أمم كثيرة من المغاربة[3]، ولجودة أراضي المغرب الأقصى بالمراعي يلاحظ أن ممتهن حرفة الرعي لا يقتصر على نوع واحد من الحيوانات، فكثيراً ما تربى الأغنام والأبقار والخيول والحمير والجمال، وتعد هذه من أهم الحيوانات التي وجدت في بلاد المغرب الأقصى في عصر المرابطين، أما عن أماكن وجودها فهي كالأتي:

1- الأغنام: ذكر الحميري في كتاب الروض المعطار أن الأغنام كانت كثيرة في جبل فازاز[4]، وكذلك في إقليم حاحة الملئ بالغابات، حيث كان أهله يكسبون الغنم[5]، وإلى جانبهم أهل لمطه(**) الذين كانوا يرعون الغنم ويستفيدون منها اللبن والسمن[6]، كما وجدة الأغنام في مدينة سلا وفاس وتادلة ومدينة صفروي القريبة من فاس[7].

2 - البقر: أما عن البقر فهو يوجد في إقليم حاحة [8]، ونول ولمطه [9] .

3 - الخيول: تكثر الخيل في جبال فازاز، فالخيل فيها من اعتق الخيول " لصبرها وخدمتها"[10]، كما وجدت الخيل أيضاً في إقليم حاحة[11]، والجدير بالذكر أن من

---

[1] الحسن الوزان: وصف أفريقيا،1/ 96 .

(*) وهي قرية صغيرة في المغرب يقال لها دار المرابطين = ابن مقديش : نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ،64/1.

[2] ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار،64/1 .

[3] مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 187

[4] الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 435 .

[5] الحسن الوزان: وصف أفريقيا،1/ 96 .

(**) لمطة: وهى أرض لقبيلة من المغاربة بأقصى المغرب ويقال للأرض والقبيلة معاً لمطة ، ينظر= ياقوت الحموي : معجم البلدان، 23/5.

[6] ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، 55/1.

[7] المصدر نفسه، 1/ 65 ، 69 ، 70 .

[8] الحسن الوزان: وصف أفريقيا ،1/ 96 .

[9] ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار،55/1.

[10] الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 435؛ مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص178.

[11] الحسن الوزان: وصف أفريقيا،1/ 96 .

المؤرخين من يقول إن المرابطين أصحاب خيل[1]غير أنهم لم يستخدموها في معاركهم إنما كانت الإبل عوضاً عنها في كل عملياتهم العسكرية[2] .

4 - الحمير: أما عن الحمير فقد ذكر أنها تتواجد في إقليم حاحة[3] .

5 - الإبل: تذكر المصادر أن الإبل توجد في وادي أم الربيع[4]، وفي قرية أنقال[5]، وكانت توجد أيضاً في صحراء صنهاجة، وفي مدينة مراكش عاصمة المرابطين، التي على ما يبدو أن أرضها تصلح لرعي مواشيهم، ذلك أن الأمير أبوبكر بن عمر عندما أشار عليه قومه بأن يكون بناء المدينة على نهر تانسيفت امتنع عن رأيهم وقال: نحن من أهل الصحراء ومواشينا معنا لا يصلح لنا السُكنى على هذا الوادي ووقع الاختيار على فحص مدينة مراكش[6]، وقد كان المرابطون يحصلون من الإبل على قوتهم واستعملوها في تنقلاتهم، وفي كافة مجالات حياتهم اليومية، فهم يشربون من لبنها و يأكلون من لحمها ويستفيدون من أوبارها وجلدها لصناعة العباءات والألبسة والنعال وسقف البيوت الصغيرة[7]، والمعروف عن المرابطين أنهم استخدموها في معاركهم كما حدث في معركة الزلاقة[*] التي أحرز فيها المرابطون النصر على الغزو النصراني[8]، فقد كثرت الإبل في هذه الحرب، ويبدو أنها ظلت تستخدم في تنقلات العساكر[9]،

---

[1] الصفدي، صلاح الدين بن أيبك: كتاب الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الارنؤط وأخر، دار أحياء التراث العربي (بيروت، 2000م) 87/29 .

[2] ينظر= ابن الخطيب: رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة العمومية (تونس، 1316هـ) ص 51 ، 52 .

[3] الحسن الوزان: وصف أفريقيا،1/ 96 .

[4] الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 605 .

[5] ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، 64/1.

[6] ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب 19/4 ،20 .

[7] سعدون نصر الله: دولة المرابطين في المغرب والأندلس، ص 15 .

[*] الزلاقة: الوقيعة الشهيرة على الطاغية أذفونش بن فرذلند ملك الجلالقة وذلك عام 479هـ / 1086م، وسبب ذلك فساد الصلح المنعقد بين المعتمد بن عباد صاحب أشبيلية والطاغية المذكور بسبب إفناء الضريبة، وحينما بداء أذفونش يهدد المعتمد قام المعتمد بالاستنجاد بالمرابطين للقضاء عليه، ولبى المرابطون طلبه، وأوقعوا بأذفونش هزيمة ساحقة = الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 288، 289 ؛ مولود، قايد: البربر عبر التاريخ في أسبانيا الإسلامية ابتداء من عام 711، دار النشر ميموني(الجزائر، 2007م) ص158، 159.

[8] حسين مؤنس: الثغر الأعلى الأندلسي، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة، 1992م) ص 5 ، 6 .

[9] ابن الخطيب: رقم الحلل في نظم الدول، ص52،51.

فعندما عبرت جيوش الأمير يوسف بن تاشفين إلى الأندلس[1] أمر بعبور الجمال حتى" أغص الجزيرة بكثرة الجمال وارتفع رغاءها إلى عنان السماء"[2]، فكان الجمل عماد حياتهم بشتى نواحيها، فاستخدموها لغذائهم وخيامهم[3].

وقد أشار البيذق إلى الحيوانات المعروفة في المغرب الأقصى، وذلك عندما استولى الموحدون على أحد حصون المرابطين حيث وجد في هذا الحصن من الخيل خمسين فرساً و"خمسمائة حمار دون البقر والغنم " [4].

كما ذكر صاحب الحلل الموشية أن من الهدايا التي أهداها الأمير يوسف للأمير أبي بكر بن عمر عندما تنازل له عن الحكم "سبعين فرسا وخمسين من البغال الذكور والإناث" ثم يقول "إلى غير ذلك مما يطول ذكره من البقر والغنم"[5] وهذا يدل على اقتناء المرابطين لمثل هذه الحيوانات وتوفرها في بلاد المغرب الأقصى .

إلى جانب هذه الحيوانات المستأنسة توجد في غابات المغرب الأقصى الحيوانات البرية مثل الأسود التي توجد في غابة ملتفة بالقرب من وادي أم الربيع وقد تتعدى أحيانا على من يمر بها [6]، وتتكاثر الأسود أيضا في بلاد المصامدة من أرض المغرب وإلى جانبها النمور والغزلان[7]، وفي قرية أيكسيس كثير من الأسود أيضاً [8]، كما يوجد في هذه الغابات حيوان(الفنك) الذي وجد بكثرة، وهو جميل الفراء، وكانت جلوده تحمل إلى جميع البلاد[9]، وتشتهر غابات المغرب الأقصى أيضاً بحيوان (اللمط) " وهو حيوان

---

[1] أرسلان، شكيب: الحلل السندسية في الأخبار الأندلسية، المطبعة الرحمانية (القاهرة،1936م) 2 / 302.

[2] الصفدي: كتاب الوافي بالوفيات، 29/ 75

[3] منصور، محمد صالح: العلاقات بين المرابطين وملوك الطوائف، منشورات جامعة بنغازي(بنغازي، 1995م) ص605.

[4] البيذق، أبوبكر على الصنهاجي: أخبار المهدي بن تومرت وابتدأ دولة الموحدين، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة (الرباط،1971م) ص 129 .

[5] مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص28 .

[6] الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 605 .

[7] الزهري: كتاب الجغرافية، ص 117 .

[8] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص 62 .

[9] مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص214.

على قدر العجل أو أقل منه، طويل العنق له أذنان كأذني الماعز، وفي رأسه قرون طوال سود راجعة إلى الخلف"[1]، وتصنع منه بعض الأدوات التي تسمى بدرق[*] اللمط[2]، وهذا الحيوان يوجد في مواطن لمطة، ولعلها سميت بهذا الاسم لكثرة وجود حيوان اللمط في هذا المكان، وهو يقع جنوب بلاد السوس[3]، وإلى جانب حيوان اللمط حيوان آخر يسمى (الضُّربـان) ويسميه المغاربة (ياروى) وهو حيوان كبير على قدر الكلب إلا أنه مُصَوَّف[4]، ويوجد أيضاً الكباش الدماغية وهو حيوان له شعر كشعر الماعز لا صوف له[5].

كما ضمت هذه البلاد طيور النعام التي تتركز أماكن وجودها في قرية أنقال، وقد كان أهل تلك النواحي يصيدونها طرداً بالخيل فيقبضون على أعداد هائلة منها، كما كانوا يصطادونها في بسائط مراكش[6].

ثالثاً :الثروة السمكية :-

مارست طائفة من السكان مهنة صيد الأسماك في المغرب الأقصى، ويرجع ذلك لما تتمتع به هذه البلاد من كثرة الأنهار الكبيرة، ففي نهر وادي سبو يقوم الصيادون باصطياد الحوت المسمى بالشابل الكبير، ذلك أن هذا الوادي تكثر فيه الحيتان[7]، وقد ذكر أنه بيع الواحد منه بثلاثة عشر درهماً، ورطل كبير منه بدرهم ونصف، كما احتوت أنهار المغرب على الحوت المسمى"بالقُرب"[8]، ويوجد أيضاً بالقرب من وادي سلا

---

[1] الزهري: كتاب الجغرافية، ص118.

(*) الدرق: وهي سلاح حربي لوقاية المحارب فإذا ضرب فيه برمح أوسيف أو سهم لا يؤثر فيه، وهي تصنع من جلد حيوان اللمط وسميت بهذا الاسم نسبة له = الزهري: كتاب الجغرافية ، ص118 .

[2] عبد الحميد، سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي ، منشأة المعارف(الإسكندرية، 1995م) 516/3 .

[3] مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص213 .

[4] للمزيد ينظر الزهري: كتاب الجغرافية، ص 116 ، 117.

[5] مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 214 .

[6] ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار 64/1؛ عزالدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص 203 .

[7] الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 606 .

[8] مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 184 .

أنواع من السمك وضروب من الحيتان[1]، والحوت بها لا يكاد يباع ولا يشترى لكثرته وجودته[2]، وفي مدينة فاس ومكناسة كان الحوت الذي يسمى بالشولى وهو ألذ ما يوجد من أنواع السمك، كذلك يوجد في نهر تانسيفت الذي يبعد عن مدينة مراكش بثلاث أميال السمك الذي يسمى بالشابل[3].

والجدير بالذكر أنه لا توجد إشارات تتعلق بالثروة أو الصيد البحري بالرغم مما تتمع به البلاد من بحار ومواقع بحرية إستراتجية وأغلب الحديث عن الصيد في الأنهار.

رابعاً :الصناعة :-

أ . عوامل ازدهار الصناعة :

مثلت الصناعة في المغرب الأقصى في عصر المرابطين نشاطاً من الأنشطة الاقتصادية المهمة التي يعتمد عليها سكان هذه البلاد، إذ أمدتهم باحتياجاتهم اليومية، ولابد أن يكون وراء إزدهار الصناعة عدة عوامل من أهمها :

1- استقرار الأمن في البلاد[4]، حيث كون المرابطون دولة واسعة الأرجاء قوية الأركان لاسيما بعد توحيد المغرب الأقصى، والقضاء على الكيانات السياسية التي كانت قائمة قبل الفتح المرابطى[5]، وبذلك تكون قد وفرت للسكان الأمن ليباشروا أعمالهم.

2- اتصال المغرب ببلاد الأندلس التي دخلت تحت سيطرة المرابطين[6] فكانت الهجرات الأندلسية للمغرب الأقصى من أهم أسباب إزدهار الصناعة إضافة إلى المواد الخام التي كانت تأتي من الأندلس[7].

---

(1) الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 319 .

(2) الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص 73.

(3) مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 185 .

(4) حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 257 .

(5) أبو لفداء: المختصر في أخبار البشر، دار الكتاب اللبناني(بيروت، بدون تاريخ) 78/1؛ السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، 18/2، 19، 20، 30.

(6) عبدا لعزيز محمد: الجذور الأندلسية في الثقافة المغربية، ص 173 .

(7) مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص 80، 119 .

3- وجود الأيدي العاملة المدربة على الصناعات المختلفة، التي كانت منتشرة في أنحاء البلاد، فقد كانت لا تعوزهم الخبرة في هذا المجال[1]، إلى جانب أن أهل المغرب الأقصى يحترمون العمل ولا فرق عندهم بين الرجل والمرأة في العمل ولاسيما عند أهل السوس وأغمات [2] .

4- توفر المادة الخام اللازمة للصناعة، وهي العامل الأساسي لقيام الصناعة، ومنها الخامات المعدنية المتمثلة في معدن الحديد الموجود بين مراكش وسلا، أيضاً المعادن الأخرى التي توفرت في البلاد مثل معدن التوتيا الذي يستعمله الصناع في إعطاء النحاس الأحمر لوناً أصفر ويستخرج من أرض السوس[3]، كما يستخرج من مدينة داي أجود أنواع النحاس الصلب والصالح للصناعة[4]، وفي مدينة أيجلي قاعدة بلاد السوس يُعمل النحاس المسبوك الذي يتجهز به إلى بلاد السودان[5]، وفى بلدة تامدلت[*] توجد الفضة[6]، وكذلك توجد في حصن وركناس بالقرب من مدينة مكناسة [7]، وفي بلد تارودنت، وإلى جانب هذه المعادن يوجد معدن الذهب الموجود بالقرب من سجلماسة[8].

أما في مدينة فاس فقد اكتشف معدن الملح فمن الطبيعي أن يستخرج هذا المعدن للاستفادة منه، وقد كانت كمياته كثيرة جداً[9].

---

[1] حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 260 .

[2] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 163 .

[3] المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، دون نشر (القاهرة،1963م) ص 448؛ حسين، حمدي عبد المنعم: مدينة سلا في العصر الإسلامي"دراسة في التاريخ السياسي والحضاري" مركز الإسكندرية للكتاب (الإسكندرية ، 1995م) ص 62 .

[4] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص 74 .

[5] مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 212 .

[*] تامدلت: أسس هذه المدينة عبدا لله بن إدريس العلوي وهي مدينة كثيرة العمارة وتقع على نهر درعة = الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 128 .

[6] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 183 .

[7] المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 448 .

[8] المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 231 .

[9] ابن القاضي: جذوة الاقتباس، 1/ 43 ، 44 .

وإلى جانب الخامات المعدنية الخامات الزراعية وهي أحد الركائز التي قامت عليها الصناعة فقد عرفت بلاد المغرب الأقصى بمحاصيلها الزراعية[1]، إضافة إلى غابات المغرب الأقصى التي يوجد فيها الخشب الذي يصلح للصناعات الخشبية والسفن والأساطيل الحربية[2].

5- الثروة الحيوانية وهي أيضاً من أهم العوامل التي زادت من الإنتاج الصناعي[3].

6- تحسن الوضع الأمني للبلاد فقد كان على رأس كل مهنة من المهن الصناعية المختلفة رئيس يسمى الأمين[4]، ويكون تعيينه من قبل القاضي أو المحتسب، وواجبه حل المشكلات بين أهل صنعته بالرجوع إليه عند الخلاف كما يعمل على مساعدة الدولة في كشف أساليب مكر الصناع وغشهم ومراقبة الإنتاج وجودته، مما يوجب عليه أن يكون من أهل الحذق في مهنته، فالصُناع كثيراً ما يلجأون إلى غش ما يصنعون فيتعرضون للعقاب[5]، فلابد أن يكون لكل هذه العوامل السابقة أثر كبير في دفع عجلة البلاد في المجال الصناعي .

ب- أنواع الصناعات :

ساهمت العوامل السابقة في إزدهار الصناعة في المغرب الأقصى، فقد عرفة العديد من الصناعات المختلفة منها الصناعات المعدنية مثلاً، فبوجود الحديد والرصاص في المغرب الأقصى[6]، قام الصُناع بصناعة الأنابيب التي تستخدم لجلب الماء إلى المدن[7]، رغم أن المرابطين كانوا يستوردون الأدوات المعدنية من الأندلس

---

[1] حمدي حسين: مدينة سلا في العصر الإسلامي ، ص 62 .

[2] مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص208؛ الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص435.

[3] حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 260 .

[4] ابن عبدون، محمد بن أحمد التجيبي: رسالة في آداب الحسبة والمحتسب "ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب"، تحقيق ليفي بروفنسال، مطبوعات االمعهد العلمي الفرنسي (القاهرة، 1955م) ص 34، 35 ، 36 ، 37 ، 38 .

[5] الجر سيفي، عمر بن عثمان: رسالة في آداب الحسبة والمحتسب" ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب"، تحقيق ليفي بروفنسال، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي (القاهرة، 1955م) ص 125 .

[6] المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 448 .

[7] ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن بالإمامة، ص 446، 450 .

ولاسيما الأسلحة منها[1]، كما أدخل معدن الفضة والذهب والقصدير والأصباغ الملونة في الصناعات[2]، أما معدن النحاس الأصفر- الذي وجد في مدينة فاس - صنعت منه المخروطات النحاسية[3]، وصنعت منه الخصة التي يجمع فيها الماء، وكان الصُناع في مدينة فاس قد تفننوا في صنعها[4]، وقد عرف المرابطون صناعة بعض الأدوات قبل قدومهم للمغرب الأقصى، فأثناء انقطاعهم في الصحراء عمدوا إلى صناعة ما يحتاجون إليه بأيديهم، وكانت صناعاتهم يدوية تقتصر على سكان المنازل، وأهم صناعاتهم الصناعات الحربية لاسيما صناعة قتب الجمال، وهذه تصنع من الخشب وتحشى بالقش والحلفا وتوضع فوق سنام الجمل، واشتهرت بهذه الصناعة مدينة نول، إضافة إلى صناعة الآلات الحربية البسيطة مثل الخناجر و المزاريق[5]

كما تعتبر المنتجات الزراعية من أهم المواد الخام اللازمة للصناعة ، لما جادت به أرض المغرب الأقصى من محاصيل زراعية متنوعة كان لها أثر في تقدم الصناعة، فمن المدن التي ازدهرت فيها الصناعة مدينة فاس، فهي كما وصفها ابن سعيد بقوله "هي مدينة من خواص المغرب، مليئة بالصنائع الغريبة"[6] فقد اشتهرت فيها صناعة النسيج فمنذ بناء المدينة كانت توجد بها أسواق للقطن والكتان وزقاق خاص بمحلات الحياكة[7]، وقد عرف المرابطون صناعة المنسوجات والألبسة من الصوف والقطن والوبر وكانوا يغزلونها باليد وينسجون منها الملابس خاصة في مدينة تارودنت[8]، التي فيها عدد كثير من الصناع يمارسون هذه المهنة [9].

---

[1] مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص 23، 24 .

[2] القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، 55/5 .

[3] الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 435؛ مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص181.

[4] الجزنائى، علي: جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبدا لوهاب منصور، المطبعة الملكية (الرباط،1967 م) ص 73 .

[5] سعدون نصرا لله: دولة المرابطين في المغرب والأندلس، ص 15.

[6] كتاب الجغرافية، ص 140 .

[7] جمال طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، ص 210 .

[8] سعدون نصرا لله: دولة المرابطين في المغرب والأندلس، ص 16

[9] الحسن الوزان: وصف أفريقيا، 116/1 .

وإلى جانب صناعة غزل النسيج كانت صناعة الزيوت خاصة زيت الزيتون، هذا الشجر الذي كثرت زراعته في مدن المغرب الأقصى مثل مدينة مكناسة[1]، ومراكش[*]، وفاس التي يقوم الصناع فيها باستخراج زيت الزيتون من محاصيلها، وقد ساعد على ذلك موقع فاس القريب من الأرض المزروعة بالزيتون، حيث كانت أحمال الزيتون تتجه إليها يومياً[2].

ومن الصناعات الأخرى في المغرب الأقصى استخراج السكر، حيث زرع قصب السكر بكميات كبيرة في كل من مدينة مراكش والسوس وإيجلي وتارودانت[3].

وصناعات أخرى اعتمدت على محصول العنب مثل صناعة الخمور التي كانت تباع في الأسواق في أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي[4]، فقد كان في مدينة مراكش معاصر للخمر يصنع من العنب، فأهل المغرب" يأخذون من عصير العنب الحلو فيطبخونه على النار، إلى أن يذهب منه الثلث، ولا سبيل إلى شربه إلا بعد أن يخلط بمثله ماء"[5]، وإن صح هذا الأمر من المرجح أنه ظهر في أخر أيام الدولة المرابطية عندما حل بها الضعف، ذلك أن الأمراء المرابطين حاربوا جميع المنكرات بما في ذلك الخمور أو صناعتها وحرموا كل ما حرمه الدين الإسلامي حتى أن المؤرخين يذكرون أن هذا الأمر راجعا إلي أخر أيام الدولة، فالفقيه عبد الله بن ياسين عند دخوله سجلماسة قام بإحراق الديار التي تباع فيها الخمور[6].

كما عُرفت في هذه البلاد بعض الصناعات المهمة مثل صناعة الورق، التي يراها ابن خلدون "بأنها من توابع العمران، واتساع نطاق الدولة حيث التأليف العلمية

[1] الزهري: كتاب الجغرافية، ص 115؛ الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 544 .

[*] كان زيتون مراكش من أهم غلاتها ولجودته تفوق على كل ما تنتجه المدن الأخرى = مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 210 .

[2] حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 263 .

[3] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 162؛ الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، ص 63؛ مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 211، 212.

[4] الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 541 .

[5] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص 63 .

[6] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص128 .

والدواوين، ولذلك حرص الناس على تناقلها في الآفاق"[1]، فهذا يعني أن هذا من مظاهر تطور الدولة ومدى اتساعها للمؤلفات والكتب العلمية التي من خلالها يتسنى لها تدوين الكتب وكذلك حفظ سجلاتها، وقد قامت صناعة الورق على محصول القطن والكتان[2]، ورتبت هذه الصناعة بأن يتم اختيار الجيد منها وتضبط وتنظف من جميع الشوائب، فيكون"أجودها ما صفا لونه ونعم لمسه وثقل وزنهُ"[3].

وقد كان في مدينة فاس خاصة أيام الأمير على بن يوسف مركزٌ للوراقة، حيث كان بها (104) معملٌ لعمل الكاغد (الورق)، وهذا يدل على انتشار الكتابة على الورق في المغرب منذ العهد المرابطى[4]، وقد اشتهرت شخصيات في بلاد المغرب الأقصى ،ولاسيما في مدينة فاس بصناعة الورق، أمثال أبوزيد عبدا لرحمن بن محمد المعروف بابن الصغير المتوفي بمراكش عام(523هـ/1128م)، حيث سكن مدينة فاس والتزم حرفة الوراقة في حانوت غرب جامعها، كما اشتغل في حرفة الوراقة أبو العباس أحمد بن عبد الله بن هشام اللخمي المولود في فاس عام (478هـ/1095م) ووصف بأنه ناسخ يعيش على حرفة الوراقة[5].

وقد شهد المغرب الأقصى تقدماً في الصناعات الخشبية وربما ساعد على ذلك ما جلب من أخشاب من الأندلس[6]، وكذلك اشتغال بعض الأهالي بحرفة النجارة أمثال الشيخ الأديب أبي يحيى العتاد، وابن مسعود البنائي الذي كان أعرف الناس بالنجارة، فازدهرت الصناعات الخشبية التي كان لهم حسن صنعة فيها مثل فن عمارة المنابر في المساجد، فقد صنعت بإتقان تام مثل منبر جامع القرويين بمدينة فاس الذي أمر بصنعه الأمير على بن يوسف، واكتمل بنائه في عام(538هـ/1143م) وقد صنع هذا المنبر من

---

(1) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، دار الفكر (بيروت، 2000م) 1/ 532

(2) جمال طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، ص 212 .

(3) الجرسيفى: رسالة في آداب الحسبة، ص 124 .

(4) جمال طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، ص 212 .

(5) الذهبي، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد: سيرة أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنأووط، مؤسسة الرسالة (بيروت، 1984م) 30/ 334؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، 2 /408، 409 .

(6) الزهري، كتاب الجغرافية، ص 128؛ أبو مصطفى، كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين، مركز الإسكندرية للكتاب (الإسكندرية، بدون تاريخ) ص 343

عود الصندل والأبنوس والنارنج والعناب وعظم العاج[1]، إضافة إلى انتشار صناعة الأدوات الموسيقية الخشبية كصناعة المزامير ، والعيدان، والروط، والأربية[2] .

أما الصناعات التي قامت على الثروة الحيوانية يأتي في مقدمتها صناعة دبغ الجلود التي اشتهرت بها مدينة فاس[3]، تلك الصناعة التي تقوم أساساً على جلود الضأن والبقر وغيرها من الحيوانات، وكانت مثل هذه الصناعة عظيمة الانتشار لدرجة أن الإنتاج المحلي من الجلود بالمدينة لم يعد يسد حاجاتها مما دفع أهل فاس إلى جلبها من المناطق المجاورة[4]، كما كانت هناك أيضاً صناعة نسيج الصوف التي عرف بها أهل مدينة لمطة حيث نسجوا من الصوف الملبوسات التي تسمى أكسية [*] وقاموا أيضاً بصنع العمائم المسماة [**]بالكرازي[5]، وإلى جانب مدينة فاس كانت بلاد السوس التي يعمل بها الأكسية والثياب الرفيعة[6]، وفي مدينة سجلماسة كانت النساء تقوم بغزل الصوف فتنسج منه الغفارات[***]ويصبغونها بأنواع الأصباغ[7]، ويتبع هذه الصناعات القائمة على الثروة الحيوانية صناعة الدرق اللمطية التي لا شيء أحسن صنعاً منها، وبها يقاتل أهل المغرب، وقد اشتهرت بهذه الصناعة مدينة نول التي كان قومها يصنعون إلى جانب هذه الصناعة السروج واللجم والأقتاب المعدة لخدمة الإبل[8].

---

[1] الجزنائي: زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ص 55 .

[2] البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص 24 .

[3] حسن محمود: قيام دولة المرابطين، ص 406.

[4] مار مول: أفريقيا، 2 /29، 154.

[*] الأكسية: وهي عبارة عن معطف= دوزي، رينهرت: المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة أكرم فاضل، دون نشر (بغداد،1971م) ص309، 311.

[**] الكرزية: لفظ غير عربي قد تكون مشتق من الكلمة البربرية تكرزيت وتعني عمامة من الصوف= رينهرت دوزي: المعجم المفضل بأسماء الملابس،ص 251.

[5] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص 58 .

[6] المصدر نفسه: ص 62.

[***] الغفارة: وهي خرقة توضع على الرأس لتقي الخمار من الأوساخ = رينهرت دوزي: المعجم المضل بأسماء الملابس، ص255،257 .

[7] ياقوت الحموي: معجم البلدان، 3/ 192 .

[8] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص 59 .

الفصل الثالث

التركيبة السكانية

أولاً: المغاربة.(البربر)

ثانياً :العرب.

ثالثاً: أجناس أخرى.

رابعاً: طبقات المجتمع وطوائفه.

خامساً: المرأة ومكانتها في المجتمع المرابطي.

سادساً: أهل الذمة.

ضمت بلاد المغرب الأقصى عناصر بشرية مختلفة من حيث الجنسيات والأصول، وأهم هذه العناصر التي شكلت المجتمع المغربي تجلت في عنصر المغاربة(البربر) والعنصر العربي، إضافة إلى السودان والروم والغز(الأتراك)، وبما أن حركة السكان في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي اتسمت بالهجرة المستمرة، فلا بد من معرفة مواطنهم التي كانوا فيها، وهذه قد تسهم في معرفة تركيب المجتمع والدور الاقتصادي والاجتماعي الذي قاموا به[1]، وقبل التطرق إلى مختلف هذه العناصر، من المهم التنويه بربطها بخلفيتها الاقتصادية، والمعروف أن الدولة المرابطية بنت اقتصادها على موارد الغزو وغنائم الحرب، فمن الطبيعي أن تعمل على ضم الشعوب التي دخلت في طاعتها، ومن ثم فإن أبرز خاصية ميزت المجتمع المرابطي تتجلى في كونه مجتمعا أصبح متعدد الأجناس، تتعايش فيه عدة عناصر بشرية تختلف عرقيا ودينيا[2]، ومع هذا التعدد في عناصر المجتمع فإن البنية القبلية كانت أهم ما يميز الحكم المرابطي، وكان ذلك واضحا في الوسط الاجتماعي وما تمتعت به قبائلهم من قوة وسلطة[3]، وعليه يمكن تحديد أهم العناصر البشرية المكونة للمجتمع المرابطي، وتتبع الهجرات والتحركات القبلية التي مرت بها البلاد في العصر المرابطي، ومدى تأثر التركيبة السكانية بها والمناطق التي عاش فيها السكان[4].

أولاً: المغاربة (البربر) :

يقدم المؤرخون والكُتاب العرب تفسيرات عديدة، يغلب على معظمها الطابع الأسطوري فيما يتعلق باسم البربر وأصولهم التي انحدروا منها، فمن هذه التفسيرات: أن البربر اسم أطلقه العرب على كل القبائل التي كانت مواطنها بلاد المغرب

---

[1] عزالدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص 71 .

[2] بوتشيش، إبراهيم القادري: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر(بيروت، 1997م) ص9.

[3] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص 138، 142، 143 .

[4] إبراهيم بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص9 .

بإفريقية على حدود المملكة الرومانية القديمة، وقيل إن هذا الاسم مأخوذ من لفظة برباري الذي كان القدماء يسمون به القبائل الغريبة، ولم يكن في الأصل مختصا بأمة واحدة[1]، وهناك من رأى أن الكلمة ظهرت في العصر الروماني والبربري عندهم هو الوحشي[2]، ومنهم من فسر الكلمة لغوياً لأن لغة القوم فيها رطانة أعجمية تختلط فيها الأصوات التي لا تفهم، فقيل لهم "ما أكثر بربرتكم"[3]، وحسب رأي البعض الآخر أنها مشتقة من الفعل العربي بربر بمعنى همس، وفي رأي أخر أن الملك أفريقش من ملوك التبابعة عندما غلبه الآشوريون أو الأثيوبيون هرب إلى مصر، ولما وجد نفسه عاجزاً عن مقاومة العدو استشار قومه في أي سبيل يسلكونه للنجاة، فأجابوه (البربر) أي الصحراء[4].

هذا فيما يخص مدلول تسمياتهم، وإن الاختلاف حدث أيضا حول أصولهم فقد مثل المغاربة السواد الأعظم من سكان المغرب الأقصى، على اختلاف فئاتهم التي ملأت سهوله وأريافه وضواحيه وجباله، ويُنسبون فيما يزعم نسابتهم إلى حام بن نوح عليه السلام أو إلى بر بن قيس بن عيلان[5]، فيما يزعم فريق آخر أنهم قوم من "حمير بن سباء"[6]، وهناك من يسوق رأيا آخر أنهم بقية من قوم جالوت[7]، ويرجح رأي آخر أنهم ينتمون إلى ولد كنعان بن حام[8] .

---

[1] بطرس البستاني: كتاب دائرة المعارف، 5 / 276 .

[2] غوني، حجوي: تاريخ الأمازيغ، مجلة كان التاريخية الإلكترونية، السنة الثالثة، العدد العاشر ديسمبر 2010م، ص66، 67. (www.historicalkan.co.nr)

[3] ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 6 /117؛ خطاب، محمود شيت : قادة فتح المغرب العربي، دار الفتح للطباعة والنشر (بيروت، 1966م) ص 15 .

[4] الحسن الوزان: وصف أفريقيا، 1 / 34 .

[5] ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبدا لسلام هارون، دار المعارف (القاهرة، بدون تاريخ) ص498؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 6 / 123، 124.

[6] ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 7 / 128 .

[7] القزويني، زكريا محمد بن محمود: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر (بيروت، 1969م) ص 163.

[8] ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 6/ 127؛ لقبال، موسى: المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (الجزائر، 1981م) ص 1 .

أما الكُتاب والمستشرقين والمحدثين يذكرون أنهم قدموا إلى الشمال الإفريقي عن طريق مصر وليبيا مهاجرين من جنوب آسيا الغربي، وتتكون هذه الأفواج من الكنعانيين الذين قطنوا قديما منطقة لبنان الحالية[1]، هذا الرأي مقارب لرأي يوسف أشباخ الذي أشار إلى أنهم من البدو الرحل يتنقلون من واحة إلى أخرى حتى انفصلوا في النهاية عن باقي القبائل، ونزلوا في غربي إفريقية على مقربة من المحيط الأطلنطي[2]، ويضاف إلى هذه الآراء أنهم من عرب صنهاجة الرحل الذين يحبون حياة الترحال في صحاري إفريقيا واستقّر بهم المقام في المنطقة الممتدة من جبال أطلس شمالا حتى نهر النيجر جنوبا وساحل المحيط شرقا[3]، بل إن منهم من أورد أنهم شعوب قادمة من أوربا وآسيا في عصور مختلفة، والأساس الأول يمكن أن يعزى إلى الهجرات التي تمت في عصر ما قبل التاريخ[4]، ونفس الرأي يقول أن أصل المغاربة من أوروبا[5]، هذا مع الرأي القائل أنهم من أسرة حام[6]

ورغم هذا التضارب في الآراء وعدم اتفاقها حول أصول ونسب البربر، فقد أجمع النسابة على تقسيمهم إلى فرعين هما البتر والبرانس، وهو ما أشار إليه ابن خلدون بقوله:" وأما شعوب هذا الجيل وبطونهم، فإن علماء النسب متفقون أنهم يجمعهم جذمان عظيمان، وهما برنس وماذغيس، ويلقب ماذغيس بالأبتر، فلذلك

---

[1] إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، 1/ 28؛ طه، عبد الوحد ذنون: دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، دار المدار الإسلامي(بيروت، 2004م) ص 14 .

[2] أشباخ، يوسف: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبدالله عنان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر(القاهرة، 1958م) 1 / 63 .

[3] عبدالعزيز، مرزوق محمد: الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الثقافة(بيروت، بدون تاريخ) ص 24 .

[4] بل، الفرد: الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبدالرحمن بدوي، دار ليبيا للنشر والتوزيع (بنغازي، 1969م) ص 45.

[5] عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي(الدار البيضاء، 1996م) ص47.

[6] جوليان، شارل أندريه: تاريخ إفريقيا الشمالية، ترجمة محمد مزالي وآخر، الدار التونسية للنشر (بدون مدينة، 1969م) ص 66 .

يقال لشعوبه البتر ويقال لشعوب برنس البرانس"[1]

فالبرانس تنتمي إليهم قبائل صنهاجة ومصمودة، وهم أوفر قبائل المغاربة عددا "إذ لا يخلو بطن - أي قبيلة - من بطونهم في جبل أو بسيط "[2] .

أما قبائل البتر فهم ينتمون إلى القبائل الزناتية وهم بدو غير مستقرين نزلوا في الأودية الرعوية، وانتشروا في أقاليم النخيل وفي القرى الصحراوية، حيث كانت قبائلهم تمتد عبر مناطق المغرب الأقصى، وهم يتميزون بروح قتالية عالية[3]، ومن الأهمية بمكان التعرف على القبائل الصنهاجية، والمصمودية، والزناتية التي تفرع منها البرانس والبتر وهي:

أ . صنهاجة:

اختلف المؤرخون في نسب صنهاجة، ففي الوقت الذي يقول فيه النسابة المغاربة أن صنهاج بن عاميل بن حام[4]، تذكر كتب أخرى شجرة نسب مغايرة وهي أن صنهاج من ولد عبد شمس بن وائل بن حمير[5]، حيث ذكرت بعض المصادر أنهم من عرب اليمن[6]، فمن المؤرخين من قال أنهم عرب جاوروا المغاربة وتبربرت ألسنتهم لمجاورتهم المغاربة[7]، وربما يرجع السبب في محاولة النسابين جعل أنساب عربية لصنهاجة وغيرها من القبائل، إلى التشابه في حياة العرب والمغاربة ورغبتهم

---

[1] العبر وديوان المبتداء والخبر، 6 /117 .

[2] المصدر نفسه، 201/6..

[3] المصدر نفسه، 6/ 119.

[4] المصدر نفسه، 6/ 201؛ سعدون نصر الله: دولة المرابطين في المغرب والأندلس، ص12.

[5] ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن حسن: المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الأبياري وآخرون، مطبعة دار الكتب المصرية (القاهرة،1977م) ص61؛ النويري، شهاب الدين أحمد: نهاية الآرب في فنون الأدب، تحقيق حسين ناصر، بدون ناشر (القاهرة،1983م) 24/ 255؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر،201/6؛ ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ص101؛ ابن الخطيب: كتاب أعمال الإعلام،225/3؛

[6] ابن سعيد: كتاب الجغرافية، ص124.

[7] مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص19.

في المساواة بالعرب الذين جاءوا البلاد فاتحين[1]، غير أن أغلب المصادر تشير إلى أن أصلهم من المغاربة[2].

وتنقسم صنهاجة إلى أصلين أحدهما صنهاجة الشمال والأخرى صنهاجة الجنوب أي الصحراء ويبدو أن وجود الصنهاجيين في المغرب وخاصة في مدينة فاس يرجع إلى أيام الدولة المرابطية وذلك عندما قدمت القبائل الصنهاجية من الصحراء إلى المغرب الأقصى وانتشرت واستقرت في مدنه المختلفة[3]، وتذكر بعض المصادر أن دار المغاربة كانت بفلسطين[4]، وأن سبب لجوئهم إلى بلاد المغرب الأقصى هو أن أحد ملوك الحميريين تأثر بكلام بعض الأحبار عن الديانات السماوية فأجابته طائفة منهم آمنوا بما آمن به وصدقوه، ولما توفى هذا الملك وقع عليهم الظلم من أهل الكفر فاضطرهم ذلك إلى الهروب وتوجهوا "إلى صحراء المغرب التي بين بلاد السودان المغربية وبلاد المغرب فسكنوها"[5]، وكان ذلك منذ عصر ملكهم أفريقش بن أبرهة الحميري الذي بنى إفريقيا[6]، وقد احتلت قبائل صنهاجة مساحات شاسعة من المغرب إذ امتد سلطانهم من مدينة نول لمطة في جنوب المغرب الأقصى إلى القيروان في إفريقية، حيث أقاموا في المناطق الصحراوية[7]، وقد كان الصنهاجيون أهم القبائل في بلاد المغرب الأقصى وهم مستقرون في كل أقطار البلاد[8]، وكانوا يتنقلون في أرضها ويتواجدون في الأماكن

---

[1] حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص295.

[2] ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 6/ 137.

[3] إبراهيم، صباح: العناصر السكانية بمدينة فاس من خلال كتاب بيوتات فاس الكبرى، مجلة ادآب المستنصرية، العدد8 (بدون مدينة، 1984م) ص402.

[4] ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله: المسالك والممالك، مطبعة بريل (ليدن، 1889م) ص91.

[5] ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، ص27.

[6] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض لقرطاس، ص119.

[7] المصدر نفسه، ص 120؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان،128/7؛ ابن الخطيب: كتاب أعمال الإعلام، 225/3 ؛ حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص295.

[8] ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 201/6، 241.

التي تكثر فيها المياه[1]، كما كان منهم صنهاجيون مستقرون في المدن ولكن ليس بصفة دائمة[2].

وقد ذكر كل من ابن خلدون والسلاوي أن قبيلة صنهاجة تنقسم "إلى سبعين بطن"[3]، وأهم هذه القبائل لمتونة، وجدالة، ومسوفة، ولمطه، وجزولة [4] وهي على النحو الآتي :

1- قبيلة لمتونة: تعتبر هذه القبيلة من أهم القبائل الصنهاجية[5]، تأسست بفضل جهودها دولة المرابطين حتى شمل سلطانها بلاد المغرب الأقصى والأندلس وقد استقرت هذه القبيلة في مدينة مراكش التي اختارها المرابطون لتوسطها البلاد[6]، وقد أشار الإدريسي إلى ذلك في سطور قائلاً:"ومدينة مراكش في هذا الوقت من أكبر مدن المغرب الأقصى لأنها كانت دار إمارة لمتونة"[7]، ولهذه القبيلة شأن كبير في جعل دولة المرابطين تضرب بجذورها في أرجاء بلاد المغرب الأقصى مع من أيدها من القبائل الأخرى[8] بل إن الدين الإسلامي لم يدخل إلى السينغال والسودان القديم إلا بوساطة قبائل صنهاجة وفي مقدمتها قبيلة لمتونة[9]، ولما كانت القبيلة بهذه المكانة فقد انتقلت إليها الزعامة على القبائل الصنهاجية بدلاً من قبيلة جدالة، وكان الذي قام بنقل هذه الزعامة هو الفقيه عبد الله بن ياسين[10]، ذلك " أنه لما ظهر لعبد الله بن ياسين استقامة لمتونة وجدّهم واجتهادهم أراد أن يظهرهم ويُمِّلكهم

---

[1] ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 128/7.

[2] الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص305.

[3] ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر،202/6؛ السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى،3/1.

[4] ابن الخطيب: كتاب أعمال الإعلام، 225/3 .

[5] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص59.

[6] المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص156.

[7] المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص 68.

[8] ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ص101.

[9] ابن سودة، أحمد: الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، دار الأمير(بدون مدينة، 1995م)2/ 231.

[10] حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص296.

بلاد المغرب"[1].

وبهذا كان للمتونة دور فعال في توجيه تاريخ المغرب، فهي أكبر قبائل المرابطين والمسيطرة عليها، وكانت تتولى رئاسة سائر القبائل الأخرى كمسوفة ومسراته ومداسه، وجداله، و لمطة وغيرها[2].

2 . **قبيلة جدالة** : كانت هذه القبيلة تسكن في الصحراء التي تقع في نواحي مدينة أُوليل[*] قرب ضفاف السينغال وفروع منها في بلاد السوس[3]، وكان لهذه القبيلة المغاربية الصنهاجية دور في تأسيس الدولة[4]، وذلك حينما قام يحي بن إبراهيم الجدالي باصطحاب الفقيه عبد الله بن ياسين إلى قبائل الصحراء لتعليمهم أمور الدين[5]، غير أن جدالة أعلنت العصيان للفقيه عبد الله الذي ندب إليهم الأمير يحيى بن عمر لتأديبهم[6]، كما أن هذه القبيلة دخلت في عداء مع قبيلة لمتونة[7] مما أدى إلى انتقال الزعامة إلى قبيلة لمتونة[8].

3 . **قبيلة مسوفة:** كان دورها في هذا العصر أنها سارعت في الدخول إلى الدعوى الجديدة إلى جانب قبيلة لمتونة[9]، فكان لها حظ وافر في المراكز القيادية في

---

[1] ابن عذاري المراكشي: البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 13/4.

[2] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ص164؛ ابن عذاري المراكشي: البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 10/4؛ مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص17.

[*] أوليل: ببلاد المغرب تبعد عن مدينة لمطة خمسة وعشرون ميلا= ياقوت الحموي: معجم البلدان،283/1 .

[3] محمد شعيرة: المرابطون تاريخهم السياسي، ص30.

[4] ابن الخطيب: كتاب أعمال الإعلام، 3/ 225.

[5] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص123؛ مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص20.

[6] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص165؛ مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص23.

[7] ابن عذاري المراكشي: البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 20/4.

[8] أحمد العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية،2005م) ص 244 .

[9] عصمت دندش: دور المرابطين في نشر الإسلام، ص78.

دولة المرابطين، وكان ذلك بفضل الأمير يوسف بن تاشفين[1]، وقد سكنت هذه القبيلة في مدينة مراكش مع قبيلة لمتونة عام 404 - 500هـ/ 1013 -1106 م وكان نزولها في رحبة مراكش[2].

4 - **قبيلة لمطة** : وهي التي تنسب إليها مدينة "نول لمطة"[3]، وينسب إليها العالم وجاج بن زللو اللمطي[4]، ويمتد سلطانها من أول بلاد الصحراء[5]، إلى آخر بلاد السوس[6]، كما كان منها طوائف أخرى تسكن إلى جانب قبيلة لمتونة[7]، حول فحوص مراكش بأعداد كبيرة حتى إن الأمير إسحق بن علي أمرهم أن يدخلوا بحشودهم مدينة مراكش أثناء الحصار الذي فرضه الموحدون على المدينة[8]، ومنهم أيضاً قبيلتان في السوس وما تبقى منها بين تلمسان وإفريقية[9].

5 . **قبيلة جزولة:** تنتشر منها بطون عديدة بمنطقة السوس "وتتصل ديارهم بديار لمطة" التي تتسع حتى تجاور صنهاجة الصحراء[10]، وهذه القبيلة هي التي ينتسب إليها الفقيه عبد الله بن ياسين[11]، ورغم انتسابه لها فإنها قامت بالخروج عليه، فقام بغزوها بعد فتح مدينة سجلماسة عام 447هـ/ 1055م في بلاد السوس[12].

وهذه القبائل تعد من الشعوب المكونة لدولة المرابطين إضافة إلى القبائل

---

[1] محمد شعيرة: المرابطون تاريخهم السياسي، ص30.

[2] المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص156.

[3] الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص84؛ مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص213 .

[4] ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 270/6؛ محمد شعيرة: المرابطون تاريخهم السياسي، ص30.

[5] الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص584.

[6] مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص213.

[7] الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص584.

[8] ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، القسم الموحدي، ص26.

[9] ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 6/ 270.

[10] المصدر نفسه، 6 /271.

[11] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص124.

[12] عصمت دندش: دور المرابطين في نشر الإسلام، ص86.

الأخرى التي ساهمت في بناء الدولة[1]، مثل قبيلة مسراتة و تكلاته ومنداسة[2]، وبنو إبراهيم وبنو تاشفين وبنو محمد[3].

وقد انتشرت هذه القبائل الصنهاجية في بلاد المغرب الأقصى فلا تكاد مدينة من مدنه تخلو من هذه القبائل، وذلك منذ بدء الهجرة الصنهاجية، التي كانت واسعة بحيث شملت شرقي تادلة وداي، ومن هذه الهجرة قوم يقال لهم أملوا استقروا في الجبل النازل من مدينة داي[4]، كما استقرت القبائل الصنهاجية كذلك في مدينة أغمات عندما فتحها المرابطون فكثروا بها حتى ضاقت المدينة، بهم مما جعل أهل أغمات يشكون للأمير أبو بكر بن عمر من ضيق المدينة ومن هنا جاءت فكرة إنشاء مدينة مراكش[5]، وإلى جانب استقرار هذه القبائل في مراكش فقد استقروا أيضاً في مدينة فاس حيث كان منها بيوت سكنت هذه المدينة مثل بيت بني ياسين المنتسبين إلى الفقيه عبد الله بن ياسين[6]، ولكثرة قبائل صنهاجة بهذه المدينة فإن بها عيون للماء تسمى "عيون صنهاجة" وهذا إن دل على شيىء فإنما يدل على انتشارهم بالقرب من هذه العيون[7]، كما شملت هذه الهجرة مدينة سجلماسة[8] ومدينة مكناسة التي توافدت عليها هذه القبائل[9]، وظلت الهجرة مستمرة حتى شملت منطقة أم الربيع، حيث يقال أن معظم سكانها من أصل صنهاجي[10]، وشملت الهجرة أيضاً

---

[1]محمد شعيرة: المرابطون تاريخهم السياسي، ص30.

[2] ابن الخطيب: كتاب أعمال الإعلام، 225/3.

[3] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص59؛ مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص17.

[4] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص75.

[5] مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص15، 16.

[6] ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، ص26.

[7] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص75.

[8] الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص305.

[9] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص77.

[10] ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، ص137.

مدينة طنجة، فعندما هاجم الموحدون هذه المدينة جوبهوا بمقاومة صنهاجية عنيفة[1].

ب . القبائل المصمودية:

تتنسب قبائل المصامدة إلى مصمود بن يونس، وهم أكثر قبائل المغاربة "ومن بطونهم برغواطة وغمارة وأهل جبل درن" وهم من قبائل البرانس[2]، وكانت مواطنهم من حدود بلاد الريف من جهة الشرق إلى المحيط الأطلسي من جهة الغرب، وتمتد مع الساحل إلى الجنوب وصولاً إلى تامسنا ودكالة حتى تتصل بجبال الأطلس الكبير إلى سفوحه الخلفية المطلة على إقليم السوس، ثم تتجه شرقاً من رؤوسها الداخلة في المحيط الأطلسي حتى تلتقي بجبال الأطلس المتوسط بين تازة وتادلة، إلى أن تصل سجلماسة في الجنوب[3]، حيث تستوطن قبائل المصامدة في وادي أم الربيع[4]، وفي غربي أغمات[5]، وفي جبل درن[6].

ولم يكن المصامدة شديدو الولاء للدولة المرابطية لذلك عندما عزم المرابطون على بناء مراكش، جعلوها قريبة من بلاد المصامدة ليكونوا تحت أنظارهم، وهو ما أكده المراكشي بقوله: "لم تتخذ لمتونة مدينة مراكش وطناً ولا جعلوها دار مملكة إلا لقربها من جبال المصامدة وصحراء لمتونة"[7]، وظل المصامدة في معزل عن بقية القبائل التي انصهرت مع بعضها في المجتمع المرابطي[8].

أما فروع القبائل المصمودية فمنها "هنتاته، هرغة، وكدميوه، ورجراجة، وتينمل، وكنفيسة، وايلان، وأصادن، وبنو وازكبت، وهيزميزه، وريكة" وهكسورة التي

---

[1] البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص67.

[2] ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 275/6.

[3] المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص424.

[4] ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، ص63/1.

[5] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص153.

[6] الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص235؛ سحر سالم: من جديد حول براغوطة، ص43.

[7] المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص444؛ النويري: نهاية الآرب في فنون الأدب، 262/24.

[8] ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 245/6.

تنسب للموحدين[1]، وأهم هذه القبائل قبيلة هنتانة التي تتكون من تسعة بطون[2]، كما أنها تعد من أكبر قبائل المصامدة وأكثرها عدداً وقوة[3]، يضاف إليها قبيلة هرغة التي قال عنها ابن خلكان "وهي قبيلة كبيرة من المصامدة في جبل السوس في أقصى المغرب تنسب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما"[4]، والقبيلة الأخرى هي قبيلة كدميوه التي كانت تبعاً لهنتاته وتينمل في الأمر وهم يقطنون قرب جبل هنتاته[5]، وكذلك من القبائل المصمودية قبيلة وريكة المجاورة لقبيلة هنتاته، حيث كانت بينهم حروب انتهت بسيطرة هنتاته[6].

إلى جانب هذه القبائل قبيلة تينمل وهي مجموعة من القبائل المختلطة تحمل اسم هذا المكان[7]، وكانت هذه القبيلة من أهم القبائل المصمودية وهي شديدة الولاء للموحدين[8]، وأيضاً قبيلة هكسورة التي كانت مواطنهم متصلة بجبل درن إلى تادلا من جانب الشرق، وحتى درعة، وقد دخل بعضهم في دعوة الموحدين قبل فتح مدينة مراكش[9].

أما عن قبائل غمارة فكانت تسكن جبال الريف الممتد بحذاء البحر المتوسط من نواحي سبتة وطنجة غرباً وتمتد بلادهم جنوباً إلى فاس[10]، وهم أعداد لا تحصى، وقد استطاع المرابطون القضاء عليها عندما قاموا بتأسيس مدينة تاودا ليملكوا منها جبل غمارة للقضاء على النفاق فيه[11].

---

[1] ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 271/6، 370.

[2] البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص44.

[3] ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 360/6.

[4] وفيات الأعيان وأنبا أبناء الزمان، 55/5.

[5] ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 364/6.

[6] المصدر نفسه، 365/6.

[7] المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص423.

[8] ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 6 /360.

[9] المصدر نفسه، 6/ 271.

[10] أحمد العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص247.

[11] مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص190.

ومن قبائل المصامدة قبائل برغواطة التي تستوطن بسائط تامسنا[1]، وقد قام المرابطون بالقضاء عليها أيضاً واستولوا على بلادهم[2]، ومع هذه القبائل المصمودية قبيلة جنسيفة التي كانت لغتها أفصح لغات المغاربة[3]، كما انتشرت قبائل أخرى من المصامدة في السهول، مثل: هيلانة وحاحة ودكالة، هذا إلى جانب قبائل أخرى منها كانت تستقر حول مدينة مراكش ومما يلي أرض السوس وفي جبل درن[4].

وهذه القبائل كانت في معزل عن المشاركة في دولة المرابطين[5]، حتى إنهم اكتفوا بجانب الحياد، وجعلهم المرابطون تحت رقابتهم وكانوا يتحاشونهم ويلاحظ ذلك من وصية الأمير يوسف بن تاشفين لابنه علي قبل وفاته ومفادها بأن لا يهيج أهل جبل درن حيث تقطن قبائل المصامدة[6]، ولذلك كان المصامدة يكنون العداء للدولة المرابطية، فلما جاءت دولة الموحدين قامت على أكتاف المصامدة فأصبحت لهذه القبائل المراكز القيادية في دولة الموحدين[7].

ج . القبائل الزناتية:

تمثل هذه القبائل عنصراً من عناصر سكان المغرب الأقصى، حيث قطنت في مدينة فاس[8]، بعض من بقايا قبائل زناته[*]، الذين استولوا على السلطة مرات عديدة، إضافة إلى وجود هذه القبائل في باقي مدن المغرب كمدينة تامسنا[9]، ومدينة

---

[1] ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 6/ 276؛ أحمد العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص248.

[2] مجهول: تاريخ البربر المعروف بمفاخر البربر، ص58.

[3] المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص423.

[4] ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 356/6.

[5] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس ص126؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر،245/6.

[6] مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص82، 83.

[7] حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص306.

[8] مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص197؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 18/7.

[*] للمزيد عن زناتة ينظر ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 3/7، 4، 5، 6.

[9] مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص197؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 18/7.

تلمسان[1] ومدينة سلا[2]، كما استوطنت القبائل الزناتية بعض القلاع كقلعة مهدي وهم بني يفرن[3].

وتضم زناتة طوائف وفروع كثيرة، منها قبائل مكناسة ومغراوة وبني يفرن وغيرها من القبائل الزناتية التي تداولت حكم المغرب الأقصى قبل مجيء المرابطين، حيث كانت هذه القبائل هي القوة المسيطرة الحاكمة في المغرب الأقصى[4].

ومن المعروف أن المرابطين قضوا على الزناتيين الذين كانوا في مدينة فاس فلم يبق منهم إلا القليل، كبني دبوس وبني يفرن الزناتيين[5]، حيث استطاع المرابطون القضاء على هذه القبائل بمن فيهن من قبائل مغراوة ومكناسة وهرب من نجا منهم من القتل إلى مدينة تلمسان حتى انقرض أمر مغراوة[6]، وكان ذلك عندما قام الأمير يوسف بن تاشفين بحصار مدينة فاس ودخلها عنوة بالسيف[7].

وتنتمي القبائل الزناتية إلى المغاربة البتر ومنهم قبيلتان هما نفزاوة وينتسبون إلى شخص يدعى لواء الأكبر بن زحيك وقبائلهم كثيرة مثل غساسة ومرنيسة وزهيلة وسوماته وزاتيمة وولهاصة ومجرة وورسيف وغيرها[8].

والقبيلة الثانية، هي لواتة: وهم قبائل كثيرة مثل سدارته وعزوزة وهم ينتسبون إلى لواء الأصغر[9]، وهذه القبيلة من القبائل التي خرجت لقتال المرابطين عندما توجه الأمير يوسف بن تاشفين لحصار مدينة فاس عام 454 هـ/ 1062م[10].

---

[1] مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص130؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 24/7.

[2] ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 25/7 .

[3] المصدر نفسه،4 /18،19؛ ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، 71/1.

[4] أحمد العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص255.

[5] ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، ص26.

[6] ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 39/7.

[7] ابن القاضي: جذوة الاقتباس، 546/2.

[8] ابن خلدون : العبر وديوان المبتداء والخبر، 152/6.

[9] المصدر نفسه، 163/6.

[10] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص 139.

ومن القبائل البترية مضغرة، ولماية[1]، وصدينه[2]، وكومية، ومديونة، ومغيلة ومطماطة وملزوزه ومكناسة ودونه، وكلهم من ولد فاتن بن ممصيب بن حريس بن زحيك بن ماذغيس الأبتر[3]، وكان لبعض هذه القبائل مواقف مع المرابطين مثل قبيلة مغيلة التي تقطن في مدينة فاس[4]، وهذه القبيلة هي من إخوة مطماطة ولماية، حيث إنها كانت من القبائل التي قامت بقتال الأمير يوسف بن تاشفين[5].

وكان لها بيت في مدينة فاس يطلق عليه بيت بني المغيلي[6]، وموطن هذه القبائل بين فاس ومدائن مكناس[7]، ومن القبائل التي ورد ذكرها على أيام المرابطين قبيلة صدينة التي كانت تسكن فاس[8]، وكانت هذه القبيلة موجودة قبل قدوم المرابطين للمغرب الأقصى وبقيت حتى عصر الموحدين[9].

ومن القبائل البترية التي ظهرت في عصر المرابطين قبيلة زواغة التي تنتسب إلى ولد شمعان بن يحيى بن خريس بن ماذغيس الأبتر، وقد كانت هذه القبائل من القبائل التي تصدت لقتال الأمير يوسف بن تاشفين أثناء محاولته دخول فاس[10]، حيث موطن هذه القبيلة[11].

المهم في الأمر أن القبائل الزناتية لم تضمر العداء لدولة المرابطين رغم أنها احتلت مدنها عنوة، ومع ذلك كانوا يؤدون ما عليهم من واجبات ضرائبية، كما كانت

---

(1) ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 155/6.

(2) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس ، ص139.

(3) ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر 155/6.

(4) البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص116، 117.

(5) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص139؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 151/6.

(6) ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، ص21.

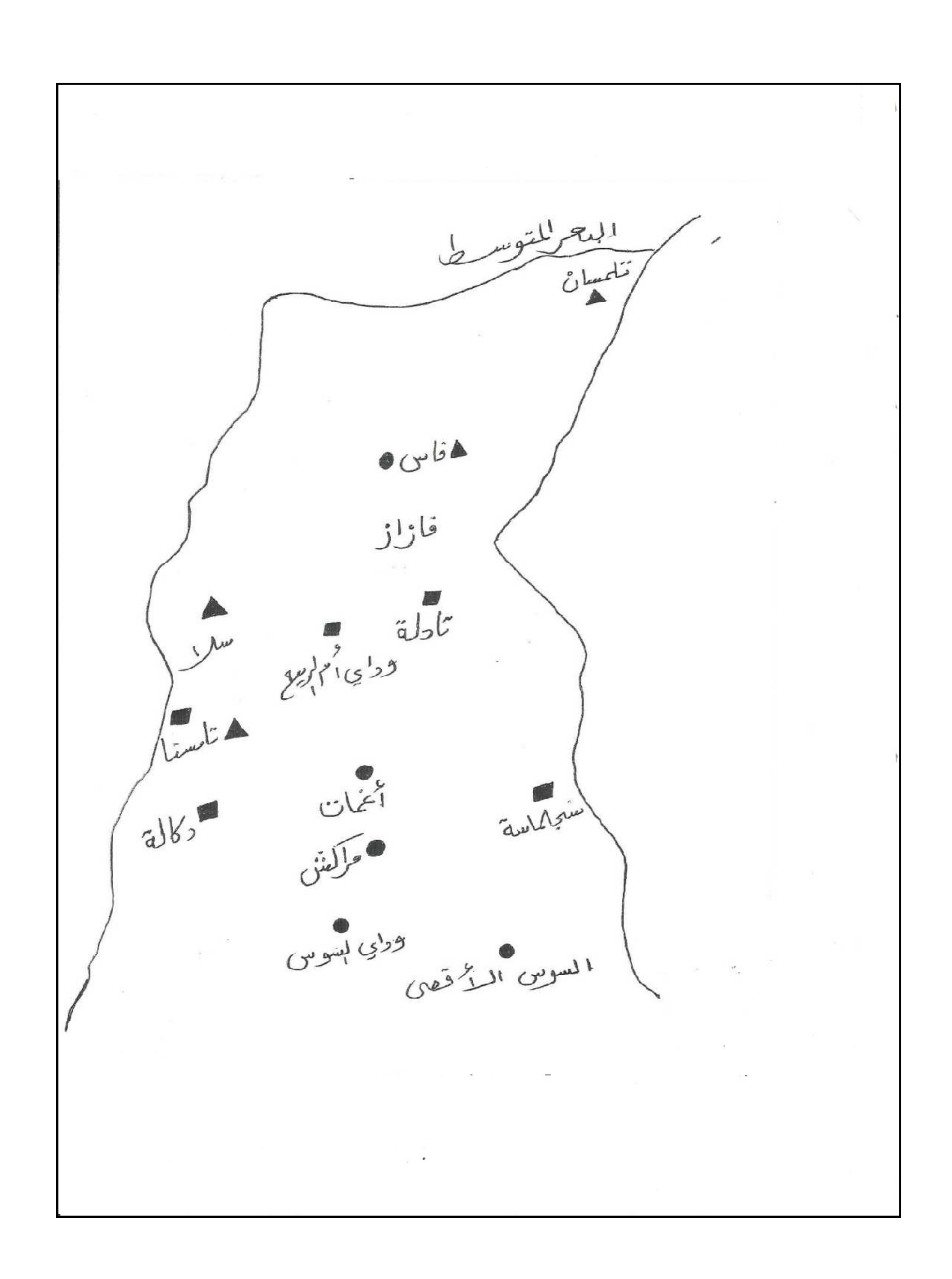
(7) ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، 71/1.

(8) ابن أبي زرع: المطرب بروض القرطاس والمغرب، ص139.

(9) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، 546/2 .

(10) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص139.

(11) ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 170/6.



● القبائل الصنهاجية.

■ القبائل المصمودية.

▲ القبائل الزناتية.

إعداد الباحث

لهم مساهمات مع الجيش المرابطي[1].

ثانياً: العرب:

يمثل العرب أحد العناصر المكونة للمجتمع المغربي، وذلك منذ اللحظات الأولى التي وطأت فيها أقدام الجيوش الإسلامية أرض المغرب الأقصى أواخر عام 86هـ/705م في سبيل نشر الإسلام[2]، وتكاثروا مع مرور الأيام ولاسيما في زمن الأدارسة 172هـ/788م من جميع الأقطار سواء من الأندلس أو إفريقية[3] أو من بلاد العراق[4] كذلك كانوا أيضاً في دولة العبيديين[5]، ويفهم من إشارة أوردها ابن حوقل بأن الهجرات العربية كانت مستديمة في القرن الرابع الهجري من المشرق على بلاد المغرب الأقصى، ولاسيما في مدينة سجلماسة[6]، وبذلك يمكن القول بأنه تطعم بعناصر جديدة من العرب أقامت في ربوعه[7]، فكانوا يستقرون في بعض المدن المغربية كمدينة فاس[8]، وهو ما أورده صاحب كتاب بيوتات فاس الكبرى مشيراً إلى وجود بعض البيوت تجمع الأصل العربي والمغاربي: منهم بيت بني الخلوف وهم "عرب صنهاجيون"[9]، كما جاءت هجرات عربية أخرى من المغرب الأدنى إلى المغرب الأقصى واستقرت في مدينة فاس وأخذوا بتقاليد المغاربة وبالعكس أخذ المغاربة ببعض تقاليد العرب[10]، ويشير البكري إلى وجود العرب في مدن المغرب الأقصى ولاسيما في مدينة سبته خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر

---

[1] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص139؛ إبراهيم بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص26.

[2] حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص307،306 .

[3] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص 29 .

[4] المصدر نفسه، ص 39.

[5] ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 6 /6 .

[6] صورة الأرض، ص 65 .

[7] حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 307 .

[8] الزهري: كتاب الجغرافية، ص 112؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص46،45،29.

[9] ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، ص 48 .

[10] الزهري: كتاب الجغرافية، ص 47 .

الميلادي في عصر المرابطين[1]، والظاهر أن وجودهم اقتصر على الاشتراك في الأعمال العسكرية التي يقوم بها الجيش المرابطي، وترد عند ابن عذاري إشارة يفهم منها أن العرب في نهاية عصر المرابطين أصبحوا يمثلون أهمية للدولة، وأن لرأيهم دوراً في تحريك الأمور لا يستهان به[2]، كما أن العناصر العربية التحقت بجيش المرابطين على سبيل التطوع حيث كثيراً ما ترد إشارات باسم المطوعة من العرب في كل مناسبة[3]، فعندما قصد الأمير علي بن يوسف الأندلس من أجل الجهاد اصطحب معه جيشاً من المرابطين والمتطوعين و(العرب) وزناته والمصامدة[4].

ثالثاً: أجناس أخرى:

تشير بعض المصادر التاريخية إلى أن كثيراً من الهجرات البشرية قد استوطنت بلاد المغرب الأقصى، لكن دون إشارة للأجناس والأشخاص الذين وفدوا على هذه البلاد وكونوا طبقة من طبقاته ومن هذه الأجناس مايلي:

أ- السودان (العبيد):

كانت أفواج من العنصر السوداني تدخل إلى بلاد المغرب الأقصى عن طريق تجارة الرقيق القادمة من بلاد السودان[5]، ونتيجة لرواج هذه التجارة فقد دخل هؤلاء في حياة المرابطين وخدمتهم[6]، حيث استخدموهم في جيوشهم وتنظيماتهم العسكرية، وأصبحوا يكونون فرقا من فرق الجيش وتزايدت أعدادهم في المدن المغربية[7]، وقد بدأ دخول العنصر السوداني في عصر المرابطين إلى بلاد المغرب الأقصى عندما

---

(1) المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص103.

(2) ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 94/4.

(3) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص164

(4) السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، 67/2.

(5) الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص6، 7، 9.

(6) ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 23/4.

(7) جمال طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، ص162.

اشترى الأمير يوسف بن تاشفين "جملة من عبيد السودان"[1]، وكان ذلك عام 464هـ /1071م وبلغ عددهم حوالي ألفين من العبيد السودان[2]، وقد كان اعتماد دولة المرابطين على هؤلاء في حروبهم لِما عُرف عنهم مِن قوة وجلد فخاضوا معهم معارك كبرى حقق فيها المرابطون النصر[3]، حتى إن الأمير علي بن يوسف عندما استعد للجواز إلى الأندلس عام 523 هـ/ 1128م فرض قسطاً على الرعية من السودان يغزون مع الجيش، فكان قسط أهل فاس ثلاثمائة من سودانهم[4]، وهذا إن دل على شيىء فإنما يدل على كثرة أعداد السودان في هذا العصر، ذلك أن تُجاَّر المغرب الأقصى كانوا يشترون العبيد أثناء رحلاتهم التجارية إلى بلاد السودان[5]، فكانت النسبة الأكثر للرقيق داخل المدن المغربية حتى أصبحت أثمانهم رخيصة[6]، وقد سمَّاهم ياقوت الحموي بأسماء مختلفة مثل"كناوة" نسبة إلى اسم قبيلة من المغاربة في بلاد السودان وتتصل بأرض غانة[7]، ومن جهة أخرى لم تقتصر أعمالهم على إلحاقهم بالجيش فقط[8]، بل استخدموا أيضاً داخل البيوت، حيث كانت السودانيات يحسن الطبخ وعمل الأطعمة، وكان يتم استجلابهن من مدينة أودغست[9] .

وصفوة القول أن هذا العنصر نتيجة لأعداده الكثيرة في بلاد المغرب الأقصى والإقبال على اقتنائه والانتفاع به فقد مثل إحدى الطوائف في البلاد، خاصة إذ وجد ما يؤكد كثرتهم في هذا العصر ومشاركتهم في الحياة السياسية والاجتماعية[10] .

---

(1) مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص 25؛ الجيلاني، عبدالرحمن بن محمد: تاريخ الجزائر العام، دار مكتبة الحياة (بيروت، 1965م) 1/ 407 .

(2) ابن عذاري المراكشي: البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 23/4،22 .

(3) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 118/7.

(4) ابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، ص152.

(5) الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص6، 7، 9.

(6) مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص216.

(7) ياقوت الحموي: معجم البلدان، 481/4.

(8) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 118/7.

(9) مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص216.

(10) ابن عذاري المراكشي: البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 4/ 23 .

ب . الروم:

إلى جانب السودان كان الروم من الفئات التي عاشت في عصر المرابطين في المغرب الأقصى، فقد نتج عن الحروب التي خاضها المرابطون الكثير من الأسرى الذين استخدمهم المرابطون لخدمتهم العسكرية[1]، حيث تشير بعض المصادر أن دخول الروم إلى هذه البلاد بدأ منذ عصر الأمير يوسف بن تاشفين الذي اشترى جملة من الروم[2]، وبلغ عددهم نحو مائتين وخمسين[3]، في حين تذكر مصادر أخرى أن عددهم مائتان وأربعون[4]، وهذا يدل على أن إدخال المرابطين للروم في حياتهم لم يكن عن طريق أسرى الحرب فقط بل عن طريق شرائهم أيضا[5]، وقد اتخذ المرابطون منهم الحرس الخاص مثلما فعل الأمير يوسف بن تاشفين[6]، كما أن الأمير علي بن يوسف استخدمهم بالمغرب وقدمهم على جباية المغارم[7]، لذلك لم يكن عملهم قاصراً على الحراسة والخدمة العسكرية فقط، بل أضافوا إلى ذلك جباية الأموال[8]، والجدير بالذكر أن أم[*] علي بن يوسف كانت رومية "تكنى بأم الحسن" وذلك ما جعل المؤرخين يعللون استخدام الأمير علي ابن يوسف للروم في وظائف الدولة وذلك لأصوله الرومية، حيث ولد في مدينة سبته من

---

[1] حسن حسن: موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية، 125/16.

[2] ابن عذاري المراكشي: البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 23/4.

[3] مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص25.

[4] ابن عذاري المراكشي: البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 23/4؛ عودات، أحمد وآخرون: تاريخ المغرب والأندلس من القرن السادس الهجري حتى القرن العاشر الهجري، دار الأمل (بدون مدينة،1989م) ص74.

[5] مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص25.

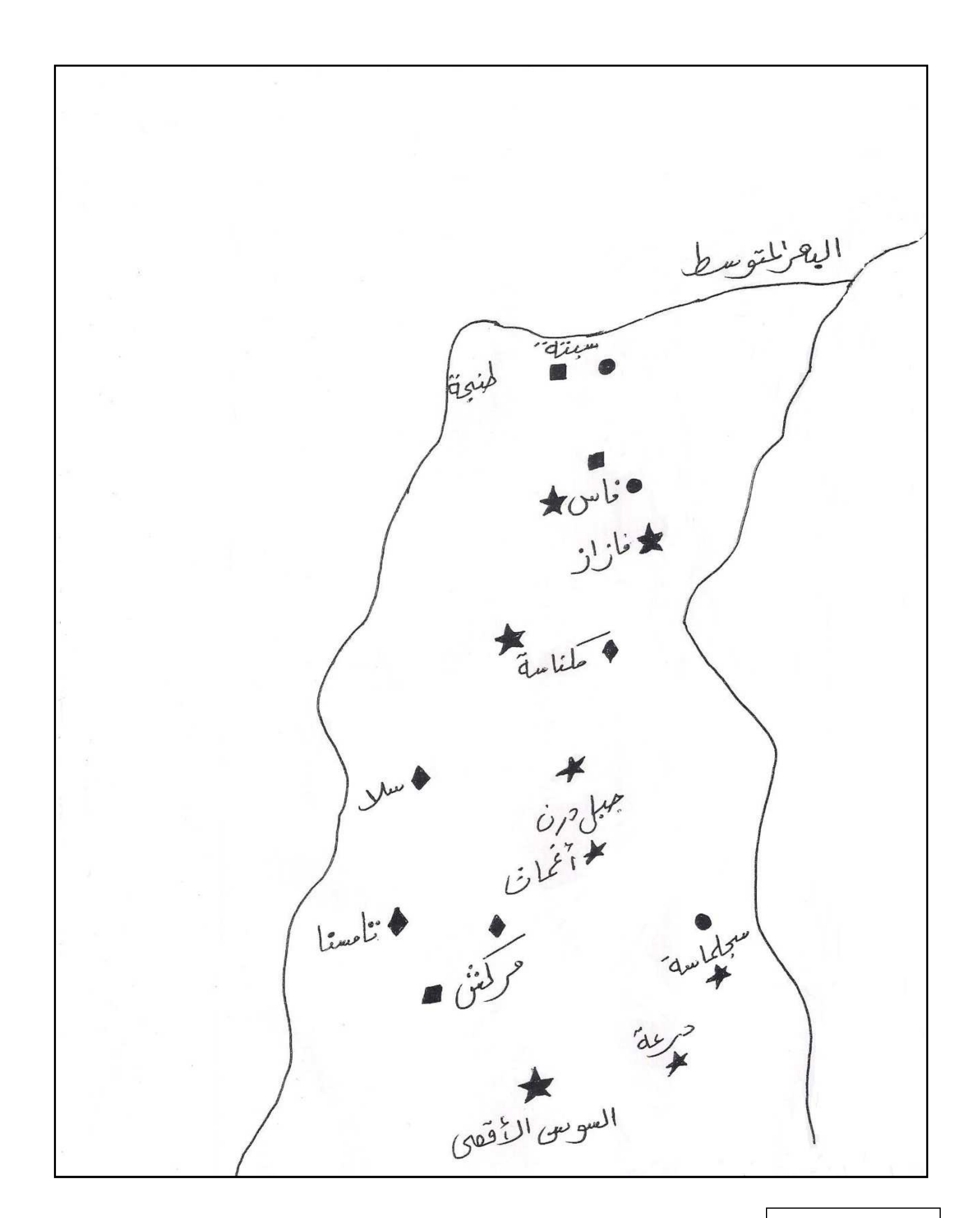
[6] ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، دون نشر (القاهرة، 1974م)414/1.

[7] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، 573/10.

[8] مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص84، 85.

[*] تذكر بعض المصادر أن اسم أم علي بن يوسف هو"منوا" في حين تذكر مصادر أخرى أن اسمها قمر= ينظر ابن القاضي: جذوة الاقتباس،2/ 230؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص 157.

إعداد الباحث



● العرب.
* اليهود.
♦ النصارى.
■ السودان.

إعداد الباحث

أمه المسيحية من السبايا وتلقى ثقافة أندلسية بحته منذ نعومة أظفاره[1]، لذلك كان الروم من العناصر المهمة المشاركة بصورة فعالة في المجتمع المرابطي ولاسيما في الوظائف التي شغلوها[2]، ويستنتج من الروايات أن أعدادهم كانت كبيرة، ذلك أنه في عام 532هـ/ 1137م عندما "جاز الأمير تاشفين ابن الأمير علي بن يوسف من الأندلس إلى المغرب الأقصى بعد أن غزا مدينة أشكونية[*] وفتحها عنوة، حمل معه من سباياها إلى العدوة المغربية ستة آلاف سبية حتى وصل إلى مراكش"[3].

ج- الأغزاز (الأتراك):

وهم الأتراك كما يسمون في بلاد المشرق، ولا يرد لفظ الأغزاز أو الغز بل الأتراك بينما تطلق عليهم مصادر أخرى لفظ الغز[4]، وقد شارك الأغزاز في الجيش المرابطي في عصر الأمير يوسف بن تاشفين، وبذلك اعتبر هؤلاء من الفئات التي ألفت المجتمع في العصر المرابطي المغربي لاسيما أنهم شاركوا المرابطين في حروبهم الأولى في بلاد المغرب الأقصى[5]، وهؤلاء " الغز" جلبوا من أقصى المشرق على تخوم الصين[6]، وقد كانوا بأعداد قليلة ولا يأتي ذكرهم أنهم كانوا ضمن فئات الشعب في العصر المرابطي سوى أنهم استعان بهم المرابطون في معاركهم[7].

رابعا: طبقات المجتمع وطوائفه:

تألف المجتمع في المغرب الأقصى في عصر المرابطين من عدة طبقات متنوعة في فئاتها ومستواها المعيشي، نتيجة للفروق التي مرت بها الدولة وهذه

---

[1] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص157.

[2] ابن عذاري المراكشي: البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 102/4.

[*] أشكونية: من نواحي الروم بالثغر الأعلى الأندلسي = ياقوت الحموي: معجم البلدان،199/1 .

[3] السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، 69/2.

[4] بروفنسال ليفي: مجموع رسائل موحدية من إنشاء الدولة المؤمنية، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية (رباط الفتح،1941م)190/10؛ عزالدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص122، 123.

[5] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص139

[6] حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص325.

[7] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص139.

الطبقات هي:الطبقة الحاكمة، وطبقة الفقهاء، وطبقة العلماء،وطبقة القضاة، وطبقة العامة.

1. الطبقة الحاكمة:

بالرغم من أن المرابطين تمكّنوا من فرض سيطرتهم على معظم القبائل وأخذوا يتطلعون لتوحيد المغرب الأقصى تحت سلطة ودولة مركزية واحدة فإن دولتهم الكبرى ظلت وفية للتراث القبلي، ويتضح ذلك من خلال تقسيم المناصب السلطوية على أبناء قبيلة لمتونة وجعل كل النفوذ حكراً عليها[1]، وهو ما قام به الأمير يوسف بن تاشفين حينما جعل السلطة داخل البيت الحاكم والمقربين حتى إنها لم تتعد الأمير وأولاده، ذلك أن الأمير يوسف بن تاشفين قسّم المغرب الأقصى إلى أعمال ووزعه على بنيه وقومه المقربين حتى صارت قبيلة لمتونة والقبائل المقربة منها هي صاحبة السيادة، فكان الأمراء والقواد الذين يحكمون الدولة من هذه القبيلة هم أصحاب الكلمة العليا فيها[2]، لذلك قام الأمير يوسف بن تاشفين عند توحيد البلاد بالإرسال إلى قبائل الصحراء (لمتونة، مسوفة، جدالة) وغيرها يبلغهم بما فتح الله به عليه من ملك المغرب فوفدت منهم جموع كثيرة [3]، ذلك أن الدولة المرابطية قامت على أكتاف قبائل صنهاجة، مما جعل أفراد هذه القبائل - وعلى رأسها قبيلة لمتونة - تنفرد بالمناصب الإدارية المهمة والقيادية، وفي ذلك يقول صاحب كتاب الحلل الموشية "ولاهم الأعمال - أي الأمير يوسف - وصرف أعيانهم في مهمات الأشغال، فاكتسبوا الأموال وملكوا رقاب الرجال"[4].

وقد سبق الحديث أن الأمير يوسف بن تاشفين قسم البلاد إلى أعمال وولى على هذه المناصب قادة الفتح الذين كانوا على رؤوس جيوشه، فكانت مدينة مراكش

---

[1] إبراهيم بوتشيش: تاريخ المغرب الإسلامي، دار الطليعة للطباعة والنشر (بيروت،1994م) ص81،80.

[2] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص138، 142، 143.

[3] مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص33؛ حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص330،329.

[4] مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص33.

وأغمات والسوس وتادلا للقائد محمد بن تميم الجدالي، وسجلماسة ودرعة لأبي تميم داوود بن عائشة، ومكناسة وبلاد فازاز للقائد سير بن أبي بكر، وربما اتبع المرابطون هذه السياسة كي يضمنوا الولاء من حاشيتهم[1]، وهؤلاء جميعا كانوا من المقربين ومن الشخصيات البارزة لدى القبائل، والأهم من هذا كله أنه عند وفاة الأمير يوسف بن تاشفين عام 500هـ/ 1106م[2] لم تخرج الإمارة من البيت اللمتوني، حيث ولِّى من بعده ابنه علي[3]، وأصبح رغم صغر سنه الوصي على كل المملكة وهو لم يتجاوز الثالثة والعشرين من عمره، وقد أشار إلى ذلك ابن أبي زرع بقوله:" وملك -أي علي بن يوسف- من البلاد ما لم يكن يملكه والدهُ، لأنه وجد البلاد هادئة، والأموال وافرة والملك قد توطأ والأمور قد استقامت"(4)، وكان هو أيضاً يُعيّنُ المقربين له على المناصب المهمة في الدولة، مثل تعيينه لصهره أبي بكر بن إبراهيم الذي كان قائداً في الجيش وولي على العديد من المدن منها فاس وسبته، وكان أيضاً عاملاً على الصحراء[5].

والغريب أن الأمير يوسف بن تاشفين قد أوصى بولاية العهد لابنه علي متجاوزاً في ذلك ابنه الأكبر تميم بن يوسف[*] الذي هو أحق بولاية العهد من أخيه علي كونه الأكبر لاسيما أن تميم هو أحد أولاد يوسف من زوجته الأولى زينب النفزاوية 464هـ/1071م[6]، ورغم أنه لم يحظ بولاية العهد إلا أنه كان والياً على بلاد المغرب

---

[1] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص 138 ، 143، 142 .

[2] ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 45/4.

[3] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص 156؛ ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، ص 30 .

[4] الأنيس المطرب بروض القرطاس والمغرب، ص157.

[5] ابن سعيد: رايات المبرزين وغايات المميزين، تحقيق محمد رضوان، طلاس للدراسات والترجمة والنشر (دمشق، 1987م) ص239.

[*] تميم بن يوسف: قاد معركة ضد جيوش قشتالة في الأندلس، وهي المعركة المعروفة بغزوة أقليش التي هزم فيها المسيحيين هزيمة ساحقة، وقتل فيها شانجه ملك قشتالة الفونسوا السادس= ابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، ص63، 64، 85؛ مكي، محمود علي: وثائق جديدة عن عصر المرابطين، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة، 2004م) ص84، 85.

[6] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص157، 158، 159.

قبل أن يعزله أخوه علي بن يوسف بعد توليه الحكم[1]، وولاه على حكم مدينة غرناطة في بلاد الأندلس[2]،

وبذلك يلاحظ أن الطبقة الحاكمة كانت أولى الطبقات في المجتمع المرابطي في المغرب الأقصى، وكان لها معظم مقاليد الأمور والكلمة النافذة والسلطان العظيم.

2. طبقة الفقهاء والعلماء:

لما كانت دولة المرابطين ذات أساس ديني وملوكها ذوي زهد وعباده، فقد قربوا إليهم الفقهاء والعلماء، ليمنحوا الدولة الصبغة التي يؤثرونها، فارتفع شأن هؤلاء أكثر من ذي قبل، وتمتعت طبقة الفقهاء والعلماء بمكانة سياسية في المجتمع المرابطي، ويرجع ذلك للتعاليم الراسخة التي وضعها الفقيه عبد الله بن ياسين الذي وضع أساس الدولة المرابطية، ولذلك كان المرابطون يأخذون بمشورة الفقهاء ولا يقدمون على أمر من الأمور إلا بعد الرجوع إليهم، فضلاً عن معاملة المرابطين من تقدير واحترام للفقهاء فزاد ذلك من مكانتهم ونفوذهم[3]، فأصبح أساس الدولة مبنياً على أرائهم حتى إن الأمير يوسف بن تاشفين كان يأخذً بمشورتهم، فدورهم كان إرشاد الأمير في سياسته وتطبيق العدل[4]، وقد أشار إلى ذلك ابن أبي زرع بقوله:"وكان محباً للفقهاء والعلماء والصلحاء - يقصد الأمير يوسف- مقرباً لهم صادراً عن رأيهم مكرماً لهم"[5].

هكذا كان من الطبيعي أن يتمتع فقهاء المالكية بمنزلة كبيرة في بلاط الأمير يوسف بن تاشفين[6]، واستمر احترام هذه المجموعة حتى بعد عصر الأمير يوسف ابن تاشفين، حيث ورث ابنه الأمير علي المُلك إضافة إلى سياسة أبيه في تقريب الفقهاء والأخذ بمشورتهم، فنال الفقهاء منزلة عالية في عصر الأب والابن، حيث

---

[1] ابن القاضي: جذوة الاقتباس، 460/2.

[2] ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 48/4.

[3] ابن الخطيب: كتاب أعمال الإعلام 234/3؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، 545/2.

[4] ابن القاضي: جذوة الاقتباس،2/ 545؛ عبد الله العروي: تاريخ المغرب، ص166؛ رينهرت دوزي: المسلمون في الأندلس، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية للكتاب(القاهرة ،1994م)ص130.

[5] الأنيس، المطرب بروض القرطاس والمغرب، ص137.

[6] حمدي حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس، ص328.

كان الأمير علي بن يوسف أيضاً لا يقطع أمراً ولا يحكم في صغيرة ولا كبيرة إلا في حضور الفقهاء[1].

ومن أشهر الفقهاء في الدولة المرابطية الفقيه أبو القاسم بن عذراء والفقيه لمتاد بن بلين اللمتوني، الذي كان من عُبَّاد المرابطين وفقهائهم "وهو الذي قتل مسعود بن وانودين الزناتي صاحب سجلماسة"[2].

وكذلك الفقيه إبراهيم بن جعفر أبو إسحاق المتوفى عام 513هـ/1119م الذي أخذ علمه عن شيوخ سبته، وكان لا يتكلم أحد في مجلسه إلا بمسألة علم[3]، وأيضا الفقيه بكار بن عبد الرحمن المتوفى في مدينة فاس عام 540هـ/1145م[4].

ولما كان أساس الدولة مبنياً على الرجوع إلى هؤلاء الفقهاء في كل صغيرة وكبيرة من الأمور كما سبق الحديث فإن الأمير يوسف بن تاشفين لم يشرع في تنفيذ خطة للقضاء على ملوك الطوائف إلا بعد صدور فتاوي فقهاء المغرب بخلع حكام الأندلس[5]، غير أن ابنه الأمير علي في بعض الأحيان لم يأخذ بنصيحة الفقهاء، حيث رفض الأخذ بنصيحة الفقيه مالك بن وهيب عندما أشار عليه بالقضاء على المهدي بن تومرت مؤسس الدولة الموحدية التي كانت سبب سقوط دولتهم[6].

يتضح مما سبق أن الفقهاء كانوا ذوي منزلة رفيعة في المغرب الأقصى في

---

[1] المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص235، 241؛ ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك: تاريخ الأندلس "قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء"، تحقيق أحمد مختار العبادي، نشر معهد الدراسات الأندلسية (مدريد،1971م) ص113.

[2] عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط1 (القاهرة،2009م) 592/3.

[3] ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة،2003م) 237/1، 238.

[4] ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، ص41.

[5] ابن الخطيب: كتاب أعمال الإعلام، 250/3؛ عبد الرحيم، رائد: صورة الأمير يوسف بن تاشفين في أدب الرسائل في عهدي الطوائف والمرابطين، مجلة جامعة النجاح، العدد21 (الرياض،2007م) ص33.

[6] مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص101؛ الزركشي، أبوعبد الله محمد بن إبراهيم: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ناصرو، المكتبة العتيقة(تونس،1966م) ص3.

العصر المرابطي، حتى إنهم اقتنوا ثروات مالية كبيرة فقد كان الأمراء في الدولة يغدقون عليهم الأموال[1].

أما عن طبقة العلماء فمنهم الأطباء الذين كانت لهم صلة بالبلاط المرابطي ومن المقربين إلى الأمراء ومنهم الطبيب [*]العلاء بن زُهر المتوفى عام525هـ/ 1130م وهو من عائلة معروفة بعلم الطب[2]، وكان قد نال في هذا العصر من النعم والأموال شيئاً كثيراً[3] .

ومن أشهر الأطباء أيضاً الطبيب أبوبكر محمد بن أبي مروان عبد الملك ابن أبي العلاء[**]، الذي اخذ مهنة الطب عن أبيه، ودخل في خدمة المرابطين، ولد في اشبيلية وكانت وفاته بمدينة مراكش[4]، كما كان أيضاً من الأطباء من عرفوا في هذا العصر غير أنهم لم يلتحقوا بالبلاط المرابطي أمثال الطبيب علي ابن

---

[1] ابن أبي زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص137؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، 2/ 545.

[*] العلاء بن زُهر: هو أبو العلاء بن أبي مروان عبد الملك بن مروان، طبيب مشهور بالحذق والمعرفة، وله علاجات تدل على قوته في مهنة الطب، وكان قد اشتغل في مهنة الطب منذ صغره في أيام المعتمد بن عباد، واشتغل أيضاً بالأدب وكان شاعراً، وله من الكتب كتاب الخواص، وكتاب الأدوية المفردة، توفى عام 525هـ/1130م، وبعد وفاته أمر الأمير علي بن يوسف بجمع نسخ من كتبه فجمعت بمراكش وسائر بلاد العدوة والأندلس ونسخت في جمادي الآخر عام 526هـ/ 1131م = ابن أبي أصيبعة، موفق الدين ابن أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجى: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت، بدون تاريخ) ص 517، 518، 519؛ الصفدي: كتاب الوافي بالوفيات، 14/ 152.

[2] ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص517، 518، 519؛ ابن قنفذ: الوافيات" معجم زمني للصحابة وأعلام المحدثين والفقهاء والمؤلفين" من سنة 11- 807هـ، تحقيق عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة (بيروت،1983م) ص275.

[3] ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص517.

[**] هو أبو بكر بن زُهر محمد بن أبي مروان أبي العلاء بن زهر، تميز في العلوم، وأخذ الطب عن والده، وكان حافظ للقرآن، وسمع الحديث، واشتغل بعلم الأدب، ولم يكن في زمانه أعلم منه بمعرفة اللغة، وكان ملازما للأمور الشرعية توفى مسموما في زمن الموحدين عام 596هـ/1199م = ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص521، 522؛ ابن عبد الملك، أبو عبد الله محمد بن محمد الأنصاري الأوسي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة (بيروت،1973م)398/6، 399، 400.

[4] العمري : ابن فضل الله: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار " الحكماء والفلاسفة " تحقيق عامر النجار ، مكتبة الثقافية الدينية (القاهرة، 2009 م) ص309 ، 310 ، 311 .

يقظان السبتي[1].

ومع هذه المكانة التي حظي بها الأطباء فإنه لا يمكن الإحاطة الكاملة بكل الأطباء الذين ظهروا في بلاط المرابطين في المغرب الأقصى، وسبب ذلك أن كتب التراجم لاذت بالصمت عن ذكر الأطباء في هذا العصر، على عكس تراجم الأندلس وكتبه التي كانت غزيرة بالحديث عن الأطباء، وإن لاذت الكتب بالصمت عن ذكر الشخصيات العلمية التي كانت ضمن البلاط المرابطي فإنها أعطت إشارة بالوضع المادي للعلماء واهتمام الدولة بهم وتشجيعهم، ومن ذلك يفهم أنهم عاشوا حياة يملؤها الثراء والغنى، حيث كانت الأموال تغدق عليهم من بيت المال[2].

3. طبقة القضاة :

تعتبر هذه الطبقة من أهم الطبقات في العصر المرابطي، فقد كانوا يختارون من العلماء ورجال الدين وشكلوا طبقة متميزة لاختصاصهم بتنفيذ أحكام الدين على سائر الرعية[3]، وكان القضاة يرجعون إلى الفقهاء في أحكامهم قبل إصدارها النهائي[4]، وهؤلاء القضاة يحصلون على رواتب ثابتة من بيت المال، فكان من الطبيعي المحافظة على استقلال القضاة والحفاظ على سمعتهم وذلك بتقدير رواتب شهرية لهم[5]، وقد اكتسب القضاة نفوذاً وسيادة في المجتمع المغربي وصارت كلمتهم مسموعة لدى ولاة الأمر، ومثال ذلك أن بناء سور مدينة مراكش كان إثر نصيحة القاضي ابن رشد[6]، كما كانوا في كثير من الأحيان يكلفون بالإشراف على بعض الأعمال مثل بناء المساجد والأسوار كبناء جامع سبته، وذلك حينما أمر الأمير

---

[1] القفطي، جمال الدين: أخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق ليبيرتو، دون نشر(بدون مدينة،1903م) ص239.

[2] ابن أبي زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص137؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، 545/2.

[3] حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص342.

[4] ابن عبدون: رسالة في آداب الحسبة، ص 9 .

[5] حمدي حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس، ص285، 286 .

[6] ابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، ص151، 152؛ ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 73/4، 74.

يوسف بن تاشفين القاضي إبراهيم بن أحمد ببناء سور للميناء السفلي لمدينة سبته[1]، كما كانت لهم مواقف سجلت في الإخلاص للدولة منها ما قام به القاضي الفقيه أبو الفضل[*] عياض بن موسى المتوفى عام 544هـ/1149م حينما أعلن العصيان والتمرد وقاد مدينة سبته ضد الخضوع للموحدين معلناً بقاءه وإخلاصه لطاعة المرابطين، وقد تولى هذا القاضي قضاء مدينة سبته[2]، وهذا إن دل على شيىء فإنما يدل على تمتع القضاة بمكانة ذات أهمية في الوسط المرابطي.

وإلى جانب هؤلاء القضاة لمعت أسماء أخرى لقضاة المغرب الأقصى في هذا العصر، منهم أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن أحمد الكتامي ويعرف بابن العجوز[**]، وقد تولى ابن العجوز قضاء مدينة سلا وتوفى عام510هـ/1116م[3]، وممّن تولى قضاء سلا أيضاً على أيام المرابطين أبو العباس أحمد بن عشرة[4].

وضمت طبقة القضاة أيضاً القاضي عبد الله بن أحمد بن وشون الهذلي المتوفى عام 519هـ/ 1125م الذي كان يتولى قضاء مدينة فاس وهو من بيت بني وشون المعروف في مدينة فاس[5]، وممن تولى قضاء فاس أيضاً القاضي عيسى

---

[1] ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 58/4.

[*] أبو الفضل: هو عياض بن موسى اليحصبي السبتي: كان إمام وقته في الحديث وعلوم النحو واللغة وكلام العرب، وصنف التصانيف المفيدة منها:" ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، والإكمال في شرح كتاب مسلم "ودخل الأندلس طالبا للعلم تولى قضاء سبته مدة طويلة، حمدت سيرته فيها ثم نقل إلى قضاء غرناطة = ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 483/4، 484 .

[2] ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 483/3؛ السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، 2/ 113، 114، 115.

[**] ابن العجوز: هو عبد الرحمن بن محمد من أهل سبتة، ومن جلة فقهائها، يكنى أبا القاسم، ولي قضاء الجزيرة الخضراء في بلاد الأندلس مدة ثم ولي قضاء سلا ثم نقل إلى مراكش ثم إلى فاس= ابن القاضي: جذوة الاقتباس، 408/2.

[3] ابن القاضي: جذوة الاقتباس، 408/2.

[4] ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب، 397/2.

[5] ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، ص41.

ابن يوسف الأزهري المعروف بابن ملجوم المتوفى عام 543هـ/ 1148م[1]، وكذلك القاضي علي بن الحسين اللواتي وهو من بيت اللواتي المتوفى عام 573هـ/ 1177م[2].

كما كان من القضاة من جمع بين القيادة العسكرية والقضاء كالقاضي عمران بن إبراهيم الصنهاجي الذي ندب في بداية الدولة إلى قتال برغواطة وهو من بيت أبي حاج، الذين تولى بعضهم القضاء في مدينة فاس أيام المرابطين لما عُرف عنهم من العدل[3].

وتشمل هذه الطبقات البيوت والأسر التي تتمتع بالغنى والثراء على أيام العصر المرابطي كبيت بني دبوس في مدينة فاس، وبيت بني حمد الذي عرف أيضاً بالثروة إضافة إلى العلم[4]، هذا إضافة إلى الأسر النازحة من الأندلس خلال العصر المرابطي إلى المغرب الأقصى كأسرة ابن زهر التي سكنت مدينة مراكش وعرف منها الأطباء الذين برعوا إبان هذا العصر[5]، غير أن أكثر الأسر الأندلسية التي بلغت من الثراء ما لم تبلغه الأسر الأخرى هي أسرة بني عشرة التي أقامت بمدينة سلا[6] و بلغ من ثراء هذا البيت أن أربابه كانوا يغدقون الأموال على الشعراء[7]، بل وازدادت مكانتهم حتى إن منهم من تدخل متوسطاً أمام الأمير علي بن يوسف وطلب منه الصفح عن أحد المنكوبين في السجن لمال انكسر عليه، وكان هذا

---

[1] النباهي، أبوالحسن بن عبدالله المالقي: تاريخ قضاة الأندلس المعروف بكتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقيق لجنة أحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة (بيروت، 1983م) ص102.

[2] ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، ص36؛ كنون، عبد الله: النبوغ المغربي، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني (بيروت، بدون تاريخ) 86/1، 87.

[3] ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، ص44، 45.

[4] المصدر نفسه، ص26 .

[5] ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، 517، 518، 519.

[6] ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب، 1/ 412؛ 2/ 397؛ مجهول:الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص140.

[7] ابن الأبار: إعتاب الكتاب، تحقيق صالح الأشتر، المطبعة الهاشمية، (دمشق، 1961م) ص224.

الرجل هو أبا الحسن بن القاسم الذي يعتبر أشهر أفراد هذا البيت، حيث ضمن هذا الرجل المال الضائع للأمير المرابطي وطلب منه الإفراج عن هذا السجين فأجابه الأمير علي بن يوسف على مطلبه[1].

4 - الطبقة العامة:

اسم العامة يطلق على الأكثرية من سكان المدن وهو اسم يميزها عن طبقة الخاصة التي تشمل أشراف البلد وأغنياؤه، ومن يحيط بالأمير من خواص ووزراء[2]، وقد حوت طبقة العامة في عصر المرابطين شرائح اجتماعية متنوعة، وهي تتكون من المدرسون، والتجار، والمزارعون، والصناع، وهؤلاء يشكلون جانبا كبيرا في المجتمع المغربي، وكان هؤلاء يعرضون على أمير المسلمين وأمراء الدولة خبراتهم ومهاراتهم فكان من الطبيعي أن يشاركوا في الحياة الاجتماعية[3]، وأهم شرائح هذه الطبقة هي:

أ- المدرسون:

في هذا العصر كان من الناس من اكتفى بالتدريس من أجل كسب القليل من المال فأبو عبد الله محمد الدقاق كان يعمل مدرساً في مدينة فاس وقد عرف بفقره وضيق حاله[4]، ومنهم أيضاً أبو محمد عبد الجليل بن ويحلان وهو من دكالة ونزل في أغمات ومات بها عام (541هـ/ 1146م)، وكان يدرس الناس العلوم ولاسيما الفقه[5]، ويأتي ضمن هذه الشرائح الطلبة، غير أن الحديث عنهم لم يكن واضحاً جداً إلا في إشارة جاءت في عصر الفقيه عبد الله بن ياسين الذي بعث بمال مما اجتمع

---

[1] ابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص 224، 225 ؛ ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب، 235/2، 236.

[2] ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،62/4، 63؛ عصمت دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين،281.

[3] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص 67، 68، 69؛ حمدي حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس، ص338، 339.

[4] التادلي: التشوف إلى رجال التصوف، ص127، 128.

[5] المصدر نفسه، ص119.

عنده من الزكاة والأعشار إلى طلبة المصامدة[1].

ب . التُجَّار:

حظيت التجارة بنصيب وافر في عصر المرابطين[2]، وأدى ذلك إلى ظهور شريحة التجارة التي شكلت فئة من الفئات المكونة لطبقات المتجمع المغربي في هذا العصر، فعن طريقهم كان يتم البيع والشراء ويجد السكان عندهم حاجاتهم، ونتج عن ذلك أن زخرت المدن المغربية كمدينة مراكش وفاس وطنجة وسبته وأغمات وسجلماسة وغيرها من المدن المغربية بالمشتغلين بالتجارة[3]، ومن رواج التجارة في هذا العصر جنى التجار أرباحاً طائلة حتى إن الإدريسي وصف ثرائهم في عصر المرابطين فقال "وما منهم رجل يسفر عبيده ورجاله إلا وله في قوافلهم المائة حمل والسبعون والثمانون حملاً كلها موقرة، ولم يكن في دولة المثلم - دولة المرابطين- أحد أكثر منهم أموالاً ولا أوسع منهم أحوالاً وبأبواب منازلهم علامات تدل على مقادير أموالهم". لذلك عرف عن أهل أغمات أنهم من أغنى التجار[4]، كما كان في سجلماسة الواقعة على الطريق المؤدية إلى غانة من اشتغل بالتُجَّارة أيضاً[5]، وكذلك كان أهل سلا من التجار الذين جنوا أرباحاً وفيرة من تجارتهم لاسيما أن سفن الأندلس تحط في مينائهم بأنواع البضائع[6].

ومما يدل على وجود مثل هذه الشريحة من التُجَّار هو مواقفهم في الدفاع عن مدنهم مثلما فعل تُجَّار مدينة أغمات عندما حاول الموحدون دخول المدينة حيث تصدوا لهم مع أهل المدينة[7].

---

[1] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص126.

[2] حمدي حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس، ص349.

[3] حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص343.

[4] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص 66 .

[5] ياقوت الحموي: معجم البلدان،3/ 192؛ 184/4.

[6] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص72، 73 .

[7] ابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، ص158.

ورغم أن المصادر أشارت بوضوح إلى نشاط التجارة والتجار في عصر المرابطين، فأنها لم تتطرق كثيراً إلى أسماء أولئك التجار فقليلا ما يذكر اسم لأحد التجار، مثل التاجر أبي عبد الله محمد بن سعدون بن علي بن القروي الذي تفقه بالقيروان وطاف في بلاد المغرب والأندلس وتوفى بأغمات عام486هـ/ 1903م[1].

وقد كان التجار مقسمين إلى فئتين تجار الجملة وتجار التجزئة أما تجار الجملة هم أولئك الذين يقومون بشراء ما تنتجه البلاد من مواد وتصدرها إلى الخارج، وفي الوقت نفسه ما تحتاجه البلاد من بضائع وبيعها إلى تجار التجزئة، وأما تجار التجزئة أولئك الذين يبيعون بضائعهم في متاجرهم أو عن طريق التجول[2].

هكذا شكل التجار طبقة من طبقات المجتمع المرابطي التي عرفت بثرائها، وكان منهم تجار المدن وتجار القوافل الذين يعبرون صحراء السودان ببضائعهم ويستبدلونها بسلع أخرى يرجعون بها إلى المغرب الأقصى[3].

ج . المزارعون:

كان المزارعون من أهم الطوائف التي عاشت في المجتمع المرابطي ومنهم الذين اشتغلوا بزراعة الأرض وأنتجوا المحاصيل الزراعية في المدن المغربية[4]، فلما جاء المرابطون للمغرب الأقصى خلصوه من النزعات القبلية التي كانت تُنغَّص على الناس عيشهم حتى أهملوا العمل خوفاً على أنفسهم، فوفرت لهم الدولة المرابطية الأمن حتى انصرفوا إلى العمل ولاسيما العمل الزراعي، وقد أشار إلى ذلك ابن غازي في كتابه قائلاً " وكانت هذه المواضع (مواضع حول مدينة مكناسة) كلها في غاية من الخصب وكثرة المياه والأشجار، وكان أهلها آمنين مطمئنين في عيش رغد ونعمة تامة منذ ملك أمراء المسلمين بنو تاشفين بلاد المغرب وأغمد الله تعالى

---

[1] عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، 619/3، 620.

[2] حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص،345،344.

[3] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص66.

[4] حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص347.

بسيوفهم نار الفتنة البربرية"[1]، وبذلك فقد اشتغل المزارعون في أراضيهم وزرعوها بمختلف المزروعات والثمار وهم بذلك كونوا طبقة المزارعين الكادحة سواء منهم من كان يقيم بالمدن أو البوادي، والمعروف عن سكان المغرب الأقصى أنهم اشتغلوا في مهنة الزراعة، حيث كان أهل فاس يعملون في فلاحة الأرض وزراعتها[2]، وإلى جانبهم أهل سجلماسة المشهورة بزراعة الشعير[3]، وغيرها من مدن المغرب الأقصى، فقد اشتغل أهل هذه البلاد بالعمل الزراعي في أراضيهم، وقاموا بجميع العمليات الزراعية من حرث وحصاد ودرس[4].

وفي كثير من الأحيان تسود روح التضامن والتعاون فيما بين المزارعين في زراعة أراضيهم أوفي جني محاصيلهم الزراعية[5]، كما كانوا يعيرون بعضهم الدواب لحرث الأراضي[6]، غير أنه في بعض الأحيان الأخرى تحدث بعض المنازعات فيما بينهم بسبب تقسيم حصص المياه، حيث كانت طرق تقسيم المياه إما عن طريق التداول أو المناوبة أو عن طريق السواقي[7].

د . الصُنَّاع:

يعد الصُنَّاع من الشرائح البشرية المكونة لمجتمع المغرب الأقصى في عصر المرابطين، وتضم هذه الطائفة صانعو الثياب، ذلك أن البلاد احتوت على العديد من الحرفيين الذين يحولون المواد الخام إلى ملابس قطنية وصوفية وغيرها من الملابس[8]، إضافة إلى الحلاجين الذين يقومون بحلج القطن ولا سيما في مدينة

---

[1] الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، ص58.

[2] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص43.

[3] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص60.

[4] التادلي: التشوف إلى رجال التصوف، ص93؛ حسين مراد: المتصوفة في المغرب الأقصى، ص98.

[5] التادلي: التشوف إلى رجال التصوف، ص93.

[6] الونشريسي: المعيار المغرب والجامع المغرب، 108/9، 109.

[7] إبراهيم القادري: الإسلام السري في المغرب العربي، سيناء للنشر (القاهرة، 1995م) ص23.

[8] ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، ص140.

فاس[1]،إلى جانب الخياطين، حيث كان من أهل البلاد من امتهن هذه الحرفة فكان في مدينة مراكش خياط يخيط الجبة بخمسة دراهم فإن أجاد خياطتها طلب عشرة دراهم[2].

واشتغلت فئة أخرى من الصُنَّاع في أعمال أخرى مثل النجارين الذين يعملون في حرفة النجارة، وكانت أهم أعمالهم صناعتهم لمنبر جامع القرويين بفاس، الذي يعتبر من أجمل منابر الإسلام، حيث صنع هذا المنبر في عصر الأمير علي ابن يوسف[3]، وإلى جانبهم كان الحدادون الذين يقومون بصناعة الدرق اللمطية واللجم والأقتاب المعدة لخدمة الإبل[4]، يضاف إلى هؤلاء البناءون الذين كانوا من الشرائح المهمة في البلاد فقد اشتغل عدد كبير منهم في حرفة البناء، وذلك لما مر بالمغرب الأقصى من حركة معمارية من بناء المدن كمدينة مراكش[5]، والقناطر كقنطرة تانسيفت[6]، وبناء المساجد وزيادتها، مثل الزيادة التي أجريت في جامع القرويين بفاس[7]، وبناء الأسوار حول المدن كسور مراكش[8]، وسور فاس[9]، وسور سبتة[10].

وبعيداً عن هذه الحرف المعمارية وصُنَّاعها كان هناك صانعو الورق[11]،

---

(1) التادلي: التشوف إلى رجال التصوف، ص269.

(2) المصدر نفسه، ص256.

(3) الجزناني: زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ص42، 58.

(4) الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص59؛ ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، 55/1.

(5) ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، 446/1.

(6) الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص127.

(7) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، 68/1، 69.

(8) مجهول: تاريخ البربر المعروف بمفاخر البربر، ص58؛ ابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، ص151.

(9) ابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، ص 250 .

(10) المصدر نفسه، ص155

(11) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، 408/2، 409.

والقائمون على دباغة الجلود[1]، وصانعو الصابون وغير هؤلاء من الصُنَّاع الذين انتشروا في أنحاء متفرقة من البلاد[2] ولا شك أن الصُنَّاع كانوا عصب الحياة وكونوا جماعات كبيرة بين سكان البلاد وأسهموا في تيسير متطلبات الحياة اليومية لسكان المغرب الأقصى[3].

وإلى جانب الصُنَّاع كان أصحاب المهن المتنوعة كالساقي الذي يحمل الماء للمنازل[4]، والحمَّال وهو الذي يقوم بنقل البضائع من مكان إلى آخر على أكتافه أو على دابة تحمل المنقولات[5]، والدلاَّل الذي كان عمله الوساطة بين البائع والمشتري وعن طريقه يستطيع التُجَّار الغرباء تصريف بضائعهم[6] ونتيجة لتمتع البلاد بالأنهار والبحار فقد كان هناك من امتهن حرفة الصيد فتشكل الصيادون الذين عاشوا قريباً من شواطئ البحار والأنهار حيث تتواجد الأسماك[7].

وكل هؤلاء من الطبقة العامة الكادحة التي عاشت من أجل توفير قوتها اليومي فهم بذلك من العناصر البشرية المهمة التي شاركت في بناء المجتمع في بلاد المغرب الأقصى خلال عصر المرابطين.

خامساً: المرأة ومكانتها في المجتمع المرابطي:

احتلت المرأة مكانة رفيعة في المجتمع المغربي في عصر المرابطين، فقد كانت أكثر ظهوراً في مجال الحياة العامة، وأعظم نفوذاً وأكثر حرية[8]، حيث كانت المرأة

---

(1) ياقوت الحموي: معجم البلدان،1/ 235 .

(2) حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب الأندلس، ص349.

(3) جمال طه: الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الإسلامي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر (الإسكندرية، 2004م) ص126.

(4) التادلي: التشوف إلى رجال التصوف، ص279.

(5) حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب الأندلس، ص350.

(6) السقطي: كتاب في آداب الحسبة، ص60؛ حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص351.

(7) التادلي: التشوف إلى رجال التصوف، ص149؛ حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص351.

(8) حمدي حسين: التاريخ السياسي والحضاري في المغرب والأندلس، ص131.

المرابطية تتمتع بقسط من الحرية[1]، وأدى ذلك إلى ظهور ظاهرة اجتماعية لم تكن مألوفة في المغرب من قبل، وهي ظهورها في المجتمع ومشاركتها في الحياة العامة[2]، ومثال على ذلك زينب النفزاوية زوج الأمير يوسف بن تاشفين، التي تمتعت بمكانة مرموقة في الدولة حتى إن زوجها كان يأخذ برأيها في جميع الأمور، فهي التي قامت بدور حاسم في صعوده إلى الملك، ولم يكن الأمير يوسف ابن تاشفين في البداية إلا نائباً عن ابن عمه أبي بكر بن عمر على بلاد المغرب الأقصى، وكانت زينب تساعده بآرائها السديدة وتسانده في مسؤولياته الشاقة[3]، وعندما عاد أبو بكر بن عمر من الصحراء ساء هذا الخبر الأمير يوسف بن تاشفين لاسيما أنه ذاق طعم الملك، فكان على السيدة زينب التي لم يغب عن وعيها وفراستها ما كان يعانيه زوجها من الهم، وهنا يتجلى دورها في الدولة، وعندما كلمها الأمير يوسف في مغبة ما قد يقع بينه وبين ابن عمه من الحرب طمأنته بأن أبا بكر رجل خير لا يحب سفك الدماء، وطلبت منه أن لا يظهر له التواضع، ويكون الخطاب مع أبي بكر بن عمر عن طريق الرسل وكأنه خطاب بين ندين متساويين[4]، وهذا ما جعل أبو بكر بن عمر يميل إلى تسيلم الأمر لاسيما أنه أحس بقوة الأمير يوسف بن تاشفين[5]، وكان ذلك بعد أخذ الأمير يوسف بن تاشفين بنصيحة زوجته زينب التي وصفت لفرط ذكائها بالساحرة[6]، وهي بهذا العمل قد أسدت لزوجها النصائح حتى استطاع أن يثبت أقدامه في مقعد الحكم واستطاعت بهذه الوسيلة أن تتمكن من قلب زوجها وتصير لها كلمة في البلاد[7]، فكان الأمير يوسف بن تاشفين يعتز بها ويصرح في مجالسه بمكانتها وفضلها وهو ما أورده ابن

---

(1) البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص13.

(2) حسن محمود: قيام دولة المرابطين، ص415.

(3) زنيبر، محمد: المغرب في العصر الوسيط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية (الرباط، 1999م) ص85.

(4) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص135.

(5) ابن عذاري المراكشي: البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 24/4، 25.

(6) السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى،21/2.

(7) ابن الخطيب: كتاب أعمال الإعلام، 232/3، 233؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 245/6.

عذاري بقوله:"وفي هذه السنة 469هـ/1076 ولد للأمير يوسف بن تاشفين ولده الفضل من زوجته زينب النفزاوية وكانت أحب ما لديه امرأة غالبة عليه"[1].

كما بلغ من نفوذ المرأة المرابطية أن تدخلت في شؤون الحكم[2]، حيث صارت تعزل الولاة مثلما فعلته قمر والدة سير بن علي بن يوسف عندما عزلت تاشفين أحد أولاد الأمير علي بن يوسف عن تولي إمارة الأندلس لان تاشفين هو ابن علي بن يوسف من امرأة أخرى، وكان ما فعلته بدافع الغيرة، ذلك أنها خشيت أن يكبر تاشفين ويستحوذ على أمور الملك كلها فكانت السبب في عزله وذهابه إلى مراكش، وعندما جاء تاشفين إلى مراكش صار يقف على باب أخيه كأحد حجابه، وكل هذا كان من تدبير قمر والدة سير، ولما مات أبنها سير وكان تاشفين ولياً للعهد حاولت نقل ولاية العهد إلى ابنها الآخر اسحق دون تاشفين، ولم يتحقق لها ذلك بسب صغر سن اسحق[3]، وهذا التدخل في شؤون الدولة من قبل المرأة أسهم فيما بعد في إضعافها[4]، ويبدو من ذلك أن المرابطين كانوا يقدرون المرأة فبالغوا في ذلك حتى إنهم كانوا يسمون أمراء الدولة وقوادها بأسماء وألقاب أمهاتهم، وربما كان ذلك تقديراً لدور المرأة حيث كان القائد أبو عبدالله محمد بن يوسف يعرف بابن عائشة[5] وهو أحد قواد الجيوش المرابطية، وأبو محمد عبد الله كان يعرف بان فاطمة[6]، ولم تقف حرية المرأة المرابطية عند هذا القدر، بل برزت منهن نساء شاعرات وأديبات أولهن تميمة بنت يوسف بن تاشفين، التي كانت تُكنى بأم طلحة، وهي مشهورة بالأدب والكرم وقد سكنت مدينة فاس[7]، والأخرى ورقة بنت ينتان "وهي من أهل طليطة

---

[1] البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 30/4.

[2] الهمشري، محمد علي وآخرون: انتشار الإسلام في أفريقيا، مكتبة العبيكان (الرياض، 1997م) ص52.

[3] ابن عذاري المراكشي: البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب،97/4.

[4] الغناي، أمراجع: سقوط دولة الموحدين، منشورات جامعة قاريونس (بنغازي، 1975م) ص30.

[5] ابن الأبار: المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة،2008م) ص54.

[6] ابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، ص65.

[7] ابن القاضي: جذوة الاقتباس، 173/1 .

وسكنت فاس وكانت أديبة شاعرة حافظة للقرآن بارعة الخط"[1].

وقد أسهمت المرأة المرابطية أيضاً في الدفاع عن البلاد، فحينما هاجم الموحدون مدينة مراكش ودار القتال بين أهل المدينة والموحدين كان في هذا القتال امرأة اسمها فانو بنت عمر بن ينتان تقاتل مع المقاتلين ولم يتعرف عليها الموحدون وكانوا يتعجبون من قتالها، لأنها كانت تقاتل متنكرة في ثياب رجل[2].

هكذا يتضح أن المرأة كانت تتمتع بقسط كبير من الحرية حتى إنها كانت تختلط بالرجال في هذا العصر وهذه ظاهرة كان يجب أن لا تسجل عن دولة قامت على المذهب المالكي، حيث استغل المعادون لها ذلك وسجلوه ضدها، ذلك أن المرأة في العصر المرابطي شاركت الرجال في المناسبات التي كانت تقام في المدن والقرى[3]، كما أنه حين نزل المهدي بن تومرت في مدينة تلمسان وقدم على أماكن المياه وجد النساء والرجال بالقرب منهن يتوضأون فساءه ذلك[4].

ومما يلفت النظر أن النساء المرابطيات كن يخرجن سافرات الوجوه في الأسواق والميادين في حين يتلثم الرجال، وذلك ما أنكره المهدي بن تومرت حينما تصادف ورأى أخت أمير المسلمين علي بن يوسف وهي سافرة الوجه، وكان معها جواريها وهن سافرات الوجوه أيضاً فأنكر المهدي ذلك على النساء وأمرهن بستر وجوههن[5].

ويظهر أن سفور المرأة أو بروزها لمقابلة الرجال لم يكن شيئاً مألوفاً لدى المجتمع المغربي، وهي ظاهرة اجتماعية ينظر إليها نظرة المنكر[6]، بل إن الناقمين على الدولة استغلوا ذلك من أجل الطعن فيهم وتشويه سمعتهم، حيث يعتبر ذلك

---

(1) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، 533/2 .

(2) ابن عذراي المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،القسم الموحدي، ص29 .

(3) البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص22؛ ابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، ص93.

(4) البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص21.

(5) ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 303/6.

(6) حسن محمود: قيام دولة المرابطين، ص417.

خروجاً عن الدين والعرف الإسلامي[1].

سادساً: أهل الذمة:

أطلق اسم أهل الذمة على الرعايا غير المسلمين، والذمة تعني العهد والضمان والأمان الذي يُكسبهم حقوق الرعايا ويلزمهم بواجباتهم كذلك[2]، وقد كانوا يشكلون طبقة كبيرة في المجتمع المغربي في العصر المرابطي:

أ النصارى:-

كان لأهل الذمة قبل عصر المرابطين جاليات في المغرب الأقصى استقرت في تامسنا[3]، وفاس[4]، وتلمسان[5]، وأغمات[6] وكذلك في الجبل المعروف بجبل فازاز[7]، ومنذ بداية دولة المرابطين بدأت المسيحية تتلقى روافد جديدة من خارج المغرب الأقصى، وتتمثل هذه الروافد في أعداد كبيرة من المسيحيين وفدت إلى المغرب الأقصى للعمل جنوداً مرتزقة في جيوش المرابطين[8] .

وكان أهم تواجد للنصارى في المغرب الأقصى في عصر المرابطين في مدينة مراكش متمثلين في الحرس الخاص[9]، هذا إلى جانب وجودهم في مدينة فاس، ويؤكد ذلك أنه عندما هاجم الموحدون مدينة فاس هرب منها جند من الروم وكان ذلك عام 540هـ/1945م[10].

---

[1] البيذق: أخبار المهدي بن تومرت ، ص 21؛ أمراجع الغناي: سقوط دولة الموحدين، ص30.

[2] القرضاوي، يوسف: غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، دون نشر(بيروت، 1985م) ص 7 .

[3] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص20.

[4] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص115؛ الجزنائي: زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ص23.

[5] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص76.

[6] ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، 62/1.

[7] مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص187؛ الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص435.

[8] جمال طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، ص168.

[9] مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص25.

[10] ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، القسم الموحدي، ص32، 33.

كما استقروا في مدينة مكناسة وسلا[1] ومدينة سجلماسة[2]، وقد سبق الحديث عن أن الأمير علي بن يوسف استعان بهم للعمل في بلاطه، وأنشأ منهم فرقة خاصة في الجيش وعهد إليهم بتحصيل الضرائب في المغرب[3]، ولم يتوقف تزايد أعداد النصارى في الدولة حتى عصر تاشفين بن علي بن يوسف، الذي استعان بهم مع جنوده لقتال الموحدين في عام 534هـ/ 1139م[4].

ورغم أن المرابطين عملوا على كسب ودّ النصارى إلاّ أنهم كانوا يكنون الضغينة للمرابطين، ولم يشعروا قط بعاطفة الولاء نحو ملك الحكومات المسلمة حتى بلغ بهم الحد أنهم تعاونوا مع أعداء المرابطين في الأندلس[5].

كما قامت طائفة منهم بمدينة مراكش عقب انهيار دولة المرابطين بالانضمام إلى صفوف الموحدين بعد أن سهلوا لهم دخول مدينة مراكش عام 541هـ/ 1946م[6].

أما عن كيفية جلب النصارى إلى المغرب الأقصى فقد سبق الحديث عنه، إما عن طريق الأسر في المعارك حتى كونوا مرتزقة أو عن طريق شرائهم للخدمة في الجيش[7]، ولم يقتصر الأمر على الرجال من النصارى فقط بل شمل أيضاً العديد من السبايا و الجاريات الروميات اللاتي يتم أسرهن[8]، أو بيعهن في أسواق النخاسة من قبل تُجَّار الرقيق[9].

هكذا تم جلب النصارى إلى المغرب الأقصى، حتى أصبحوا ضمن طبقات

---

[1] مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص90.

[2] الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص306.

[3] يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، 482/2.

[4] ابن عذاري المراكشي: البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 98/4.

[5] حمدي حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس، ص336.

[6] مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص138.

[7] ابن عذاري المراكشي: البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 23/4.

[8] السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، 69/2.

[9] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص164.

المجتمع المكونة لشعبه، وشاركوا في أمور الحياة مع أهالي المغرب الأقصى، ولم يكن النصارى من جند المرابطين أو الروم كما تسميهم المصادر العربية - أهل الذمة - تفرض عليهم الجزية باعتبارهم مرتزقة لا يدخلون في عداد الرعية بل كانوا أحراراً في غالبيتهم وهم بذلك يختلفون عن النصارى المعاهدين الذين أرغموا على التغريب(*)، ذلك أنهم تعاونوا مع أعداء المرابطين فاعتبر هذا نقضاً للعهد وخروجاً عن الذمة[1]، ومن أجل ذلك أفتى الفقهاء بتغريب هؤلاء النصارى الذين تعاونوا مع العدو[2]، فكانت خيانتهم للعهد سبباً في نقلهم من أوطانهم إلى المغرب الأقصى[3].

ب . اليهود:-

شكل أهل الذمة من اليهود طبقة كبيرة من طبقات المجتمع في ذلك العصر، حيث أشارت بعض المصادر التاريخية إلى وجود تجمعات كبيرة منهم بفاس، ومما يدل على كثرتهم امتلاكهم لكثير من الأملاك والديار بالمدينة، حيث يقع بعض هذه الأملاك والديار حول جامع القرويين بفاس حتى إن البكري يقول عن فاس أنها أكثر بلاد المغرب يهوداً[4]، فقد عُرف عن اليهود أن من عاداتهم أن يتجمعوا في أماكن خاصة بهم في المدن التي يستوطنونها، وإلى جانب فاس[5]، كانوا يقيمون في أغمات[6]، ويؤكد ذلك قول الإدريسي "وأغمات إيلان مدينة صغيرة في أسفل جبل

(*) وهم النصارى من أهل الأندلس أو المستعربين الذين أرغموا على التغريب، حيث قاموا باستدعاء ابن ردمير عدو المرابطين، وفي ذلك نقض للعهد والخروج عن الذمة، وهو ما نقله القاضي ابن رشد للأمير علي بن يوسف فتلقى قوله بالقبول، ووقع نظره على إجلائهم عن أوطانهم= ابن عذاري المراكشي: البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 4/ 72، 73.

[1] مجهول:الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص90؛ ابن عذاري المراكشي: البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 72،73/4.

[2] ابن عذاري المراكشي: البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب،72،73/4؛ محمود مكي: وثائق تاريخية جديدة، ص19.

[3] حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص365.

[4] المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص115.

[5] حمدي حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس، ص338.

[6] ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، 62/1.

درن المذكور وبهذه المدينة يسكن يهود تلك البلاد"[1]، أما بالنسبة لمدينة مراكش فقد كان لا يسكنها من اليهود أحد، ولهم أن يدخلوها نهاراً فقط، وعند قدوم الليل يخرجون منها[2]، كما وجد اليهود في مدينة مكناسة[3]، وسجلماسة[4]، وبلاد فازاز، ومما يدل على وجودهم في فازاز أن المعتمد بن عباد عندما نوفي للمغرب الأقصى نوفي إلى قلعة في بلاد فازاز، وعند وصوله إليها قال في حزن: بنقض العهود لبلد أهل يهود، وبناؤه عود وجيرانه قرود، ويبدو أن وجود اليهود في فازاز كان لسبب تجاري، حيث كانوا يلجأون إلى حصن في هذه البلاد خوفاً على بضائعهم وأمتعتهم[5].

ومن الناحية الاجتماعية فقد طبَّق على اليهود ما طبَّق على النصارى في مسألة تخييرهم بين الإسلام أو الجزية، حيث ارتضى الكثير منهم دفع الجزية[6]، ففرض عليهم ضريبة ثقيلة[7]، وربما هذا ما جعل كثيراً من الكُتَّاب يقولون بأن المرابطين اضطهدوا اليهود وأنه لما تمَّ سلطان المرابطين انتهى اليهود إلى حال من العسر بالغة[8]، وهو أيضاً ما جعل المؤرخ يوسف أشباخ يقول: "ولم يتمتع اليهود بنوع من التسامح إلا في عهد خلفاء يوسف بن تاشفين"[9]، إلى جانب أن بعض المصادر تذكر أنه حرم على اليهود المبيت داخل مدينة مراكش[10]، كما أن ابن عبدون طالب

---

[1] المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص69.

[2] ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، 62/1.

[3] البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص76.

[4] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص149؛ مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص202.

[5] مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص187.

[6] حمدي حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس، ص337.

[7] ابن عذاري المراكشي: البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 23/4.

[8] بروكلمان، كارول: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه عاقل وآخر، دار العلم للملايين (بيروت، 1981م) ص315.

[9] تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، 2/ 482.

[10] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص69؛ الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص46 .

ألا يخدم مسلم يهودياً في الحمام، ولا يبيع المسلمون كتبهم لليهود ولا يجلس أطباؤهم لتطبيب المسلمين من جنس اليهود[1] .

هذه الأسباب مجتمعة دفعت بالدارسين والكُتَّاب إلى القول بأن أهل الذمة من النصارى واليهود عاشوا في اضطهاد في هذا العصر[2]، ولكن هذه الآراء تبقى مجرد وجهات نظر وأحكام، حيث إن الإجراءات التي اتخذت ضد اليهود كانت وقائية ضد احتمالات التجسس أو الخيانة التي يقوم بها اليهود[3]، وإذا لم يكن الأمر كذلك لما كان اليهود يعملون في بعض المهن التي يشترط فيها توفر الثقة مثل مهنة الطب[4] ومهنة التجارة التي مارسوها في جبل فازاز[5]، إضافة إلى اشتغالهم في أعمال البناء[6].

ومما يدل على أن اليهود عوملوا معاملة حسنة أنه عندما أراد الأمير علي بن يوسف إجراء الزيادة على جامع القرويين بفاس وجد أن الأرض التي حول الجامع ملكاً لليهود فقام الأمير علي بن يوسف بشراء الأرض منهم[7]، وإن كان اليهود يعاملون بشدة لأخذت منهم الأرض عنوة، هذا عوضاً عن أنهم كانوا يقومون بجباية الأموال[8]، كما أنهم سيطروا على عمليات تبادل العملة وعقد صفقات البيع والشراء[9]، بل إن منهم بعض الشخصيات كانت مقربة للأمير علي بن يوسف كأبي أيوب اليهودي، الذي كان مختصاً بخدمة أمير المسلمين علي بن يوسف[10]، والأهم

---

[1] رسالة في آداب الحسبة، ص49 .

[2] حتى، فليب: تاريخ العرب، ترجمة مبروك نافع، دار العلم للملايين (القاهرة، 1949م) 2 / 704.

[3] حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص366 .

[4] ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 499 .

[5] مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص187.

[6] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص148، 149.

[7] ابن القاضي: جذوة الاقتباس، 68/1، 69 ؛ الجزنائي: زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ص57.

[8] بروفنسال، ليفي: الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة السيد محمد عبد العزيز، مؤسسة شباب الجامعة (الإسكندرية، 1990م) ص246.

[9] ابن عبد الرؤوف: رسالة في آداب الحسبة، ص84 ، 85.

[10] ابن سعيد: رايات المبرزين وغايات المميزين، ص242.

من ذلك أنهم كانوا يمارسون حرية تعليم أبنائهم علوم التوراة والكتب العبرية فضلاً عن العلوم الأخرى[1].

ولو كان اليهود يعاملون بشدة من جانب المرابطين لما تسنى لهم احتراف هذه الأعمال إلا إذا كانوا يعيشون في ظل من الأمن والطمأنينة[2]، بل إن البعض من اليهود تأثر بالمسلمين وقلدوهم في أزيائهم فلبسوا العمامات والذؤابات[3]، ولذلك يلاحظ أنه رغم بعض المضايقات التي تعرض لها اليهود، فأن هذا لا يشمل الفترات المرابطية برمتها[4].

---

[1] السموال، يحي بن عباس المغربي: بذل المجهود في إقحام اليهود، مطبعة الفجالة الجديدة(القاهرة، بدون تاريخ) ص4، 5.

[2] حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص368.

[3] الونشريسي: المعيار المغرب والجامع المغرب، 354/2.

[4] أمين، أحمد: ظهر الإسلام، دون نشر (بدون مدينة، بدون تاريخ) 37/3.

الفصل الثاني

التجارة والنظام المالي

أولاً: التجارة الداخلية.

ثانياً: التجارة الخارجية.

ثالثاً: الصادرات والواردات.

رابعاً: النظام المالي.

تأثرت الأحوال الاقتصادية في المغرب الأقصى بحالة الأمن والاستقرار التي سادت في عصر المرابطين، فكان لذلك نتائج بعيدة الأثر على نشاط الحركة التجارية في ربوعه، فقد كانت مدينة مراكش على أيام المرابطين "أسواقها مختلفة وسلعها نافقة"[1]، وكان ذلك لعدة عوامل ساعدت على نشاط الحركة التجارية فيها أولها أن المرابطين قاموا بإزالة المكوس[*] وأسقطوا المغارم، وأخذوا ما أوجبه الكتاب والسنة[2]، إلى جانب توفر المنتجات الزراعية[3]، وامتداد سلطة الدولة من سجلماسة إلى جبل الذهب في بلاد السودان وحتى الأندلس شمالاً، وشرقاً إلى الجزائر[4]، وكان توحيد المغرب والأندلس والسودان ذا أثر قوي في نشاط التجارة المغربية فأصبح من السهل أن تنتقل القوافل من أقصى السودان إلى أقصى الأندلس[5]، ومن العوامل الأخرى أن المرابطين عملوا على توفير سبل الإقامة للتجار القادمين إلى البلاد[6].

وكل هذه العوامل شجعت التجار الذين كانوا يخضعون في هذه الدولة لحكومة واحدة، على التنقل بحرية مما ساعد على تنشيط البيع والشراء وتبادل المنتجات والسلع المختلفة[7].

أولاً: التجارة الداخلية:

كانت سياسة المرابطين مشجعة للتجارة في البلاد، وذلك بحفاظهم على الأمن

---

[1] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص68.

[*] المكوس: يقصد بها الضرائب المفروضة على التجارات أوالسلع التي تباع في الأسواق ورحاب المساجد وعلى الصادر والوارد وأماكن العبور= ابن عبدون، رسالة في آداب الحسبة، ص30؛ ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب، 1/ 51.

[2] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ص164؛ السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، 2/ 13.

[3] حسن حسن: موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية "المغرب الإسلامي"، التاريخ السياسي والحضاري، دار الفكر العربي (القاهرة، بدون تاريخ) 16/ 120.

[4] ابن القاضي: جذوة الاقتباس، 2/ 460.

[5] السائح، الحسن: الحضارة الإسلامية في المغرب، دار الثقافة (الدار البيضاء، بدون تاريخ) ص199.

[6] ابن القاضي: جذوة الاقتباس،1/ 50.

[7] حسن حسن: موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية، 16/ 120.

ونشر الطمأنينة وإبطالهم لأغلب أنواع الضرائب، وذلك في أوائل الفترة المرابطية التي تعتبر المرحلة النشطة للتجارة أي في إمارة الأمير يوسف بن تاشفين[1]، ومن أجل ذلك ازدهرت التجارة في عصره ازدهاراً كبيراً وظَّل هذا الإزدهار حتى النصف الأول من عصر ابنه علي، ويرجع ذلك إلى أن الدولة المرابطية وحَّدت بين العدوتين المغربية والأندلسية، وتمكَّنت من إقرار الأمن مما أدى إلى شعور التُّجار بالطمأنينة فأقبلوا بتجارتهم على أسواق البلاد[2].

أما في النصف الأخير من عصر الأمير علي بن يوسف فقد تضعضعت التجارة نتيجة لظهور الثورة الموحدية، إلى جانب الحروب مع نصارى الشمال، حيث أثر ذلك بشكل بالغ على في ميزانية الدولة ويمكن إرجاع سبب ذلك دون شك إلى النفقات العسكرية التي أجبر عليها النظام المرابطي وما رافق ذلك من كثرة الضرائب فتأثرت الأسواق التجارية بسبب الضرائب التي فرضت على الأهالي من أجل مواجهة الأعباء العديدة التي وقعت على كاهل حكام المرابطين[3]، حيث رأى الأمير علي ابن يوسف أن يُدخل - من جديد - رسوماً على الأسواق[4]، فنتجت عن ذلك أزمة مالية عانت منها الدولة، ولا ريب أن هذه الأزمة اشتدت مع قيام دولة الموحدين[5]، وبذلك اضطربت التجارة الداخلية في عصر الأمير علي بن يوسف، بسبب الضرائب التي فرضت وأشتد في جمعها حتى أخذت من البائع والمشتري معاً[6]، واتسم تحصيل هذه الضرائب بشيء من الظلم والتعدي[7].

وخلاصة القول إن التجارة الداخلية ازدهرت في بداية الدولة المرابطية ثم ما

---

[1] السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، 2/ 13.

[2] ابن عذاري المراكشي: البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 4/ 46.

[3] المصدر نفسه، القسم الموحدي، ص 16؛ ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، ص 31؛ كمال أبو مصطفى: محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس، مركز الإسكندرية (الإسكندرية،2003م) ص197

[4] العروي، عبد الله: تاريخ المغرب محاولة في التركيب، ترجمة ذوقان قرقوط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت،1977م) ص 167.

[5] جمال طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، ص 222.

[6] ابن عبدون: رسالة في آداب الحسبة، ص31، 32.

[7] السقطي، المالقي أبو عبد الله محمد بن أبي محمد: كتاب في آداب الحسبة، نشر ليفي بروفنسال، دون نشر (باريس،1931م)، ص10، 16؛ عزالدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص 267 .

لبثت أن تعثرت، فكثرة الضرائب وانعدام الأمن مع استمرار الحروب، كل ذلك أضعف قوة الدولة فأثر على النشاط التجاري في أواخر أيامها.

1. الطرق التجارية الداخلية:

ضمَّت بلاد المغرب الأقصى شبكة واسعة من الطرق والمسالك الداخلية التي أسهمت بدورها في نشاط الحركة التجارية في الداخل، منها الطرق البرية والنهرية، وهي كالآتي:

أ. الطرق البرية:

. الطرق بين مراكش ومدن المغرب الأقصى:

1- ارتبطت مدينة مراكش بطريق مع مدينة فاس ويستغرق هذا الطريق للوصول إلى فاس عشرة أيام[1]، فمدينة مراكش صارت مركزاً للتجارة بين مدن الشمال ومدن الجنوب[2].

2 - طريق مراكش وسلا وتقدر مسافة هذا الطريق حوالي تسع مراحل- تقاس المرحلة بخمس وعشرين ميلاً أو أربعين كيلو متراً - ثم يستمر الطريق إلى قرية تونين الواقعة بالقرب من مدينة مراكش وسلا[3]، ويستمر الطريق إلى أن يصل قرية أم الربيع بحوالي مرحلتين، ثم إلى قرية مكول[*] وصولاً إلى مدينة سلا بمرحلتين[4] .

3- طريق مراكش وأغمات وتقدر مسافة هذا الطريق بحوالي ثلاثة[**]فراسخ[5] وصاحب كتاب الاستبصار يقدر مسافته بمرحلة[6].

---

[1] أبو الفداء: تقويم البلدان، ص 123.

[2] عبد العزيز بن عبد الله: تاريخ المغرب، دون نشر (الدار البيضاء، بدون تاريخ) 1/ 110.

[3] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص70 .

[*] مكول: بلد مشهور بتامسنا وهي حصن كبير عامر بالمغاربة "ولها أسواق نافقة ويجلب إليها جميع السلع والمتاجر وبها زروع ومواشي وأغنام"= ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار،1/ 64.

[4] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص70، 71، 72.

[**] الفرسخ: يقدر بالميل بثلاثة أميال، وبالذراع اثني عشر ذراعاً= ياقوت: معجم البلدان، 1/ 35،36؛ الوزير، أبوعبد الله:الحلل السندسية في الأخبار الأندلسية، مطبعة الدولة التونسية (تونس،1287م) ص110.

[5] أبو الفداء: تقويم البلدان، ص 129؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، 1/ 225.

[6] مجهول: الاستبصار في عجائب الأخبار، ص 233.

4- طريق مراكش ونول لمطة وتقدر مسافته بنحو ستة أيام[1].

- الطرق بين فاس ومدن المغرب الأقصى:

1- طريق فاس مع مدينة سلا وهو يقدر بحوالي أربعين [*]ميلاً[2].

2- طريق فاس وسجلماسة مسافته ثلاث عشرة مرحلة[3] .

3- طريق فاس وصفروي[**] وتقدر مسافته بمرحلة[4].

4- طريق فاس وسبته وتبلغ مسافة هذا الطريق عشرة أيام[5].

5- طريق فاس وطنجة وتقدر مسافته بحوالي أربع مراحل[6].

6- طريق فاس وأغمات، وتبلغ مسافته حوالي ثماني عشرة مرحلة[7].

7- طريق فاس والسوس، وتقدر مسافته بنحو ثلاثين مرحلة[8].

- الطرق بين سجلماسة ومدن المغرب الأقصى:

1- طريق سجلماسة مع مدينة درعة وتقدر مسافته بنحو ثلاث مراحل[9]، ويقدر عند مؤرخ مجهول بخمسة أيام[10].

---

[1] الزهري: كتاب الجغرافية، ص137 .

[*] الميل: يطلق في اللغة على عدة معان، منها الميل الذي يكتحل به، ومنها القطعة من الأرض بين الجبلين، ومنها الميل أي البصر، ويقدر عند المالكية 3500 ذراع، وعند الحنفية 4000 ذراع = علي محمد: المكاييل والموازين الشرعية، ص 35 .

[2] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص75 .

[3] ابن حوقل: صورة الأرض، ص 91؛ ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، 1/ 70.

[**] صفروي: مدينة صغيرة بالمغرب الأقصى متحضرة بها أسواق قليلة وأكثر أهلها فلاحون= ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، 1/ 70 .

[4] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 146.

[5] ياقوت الحموي: معجم البلدان، 231/4 .

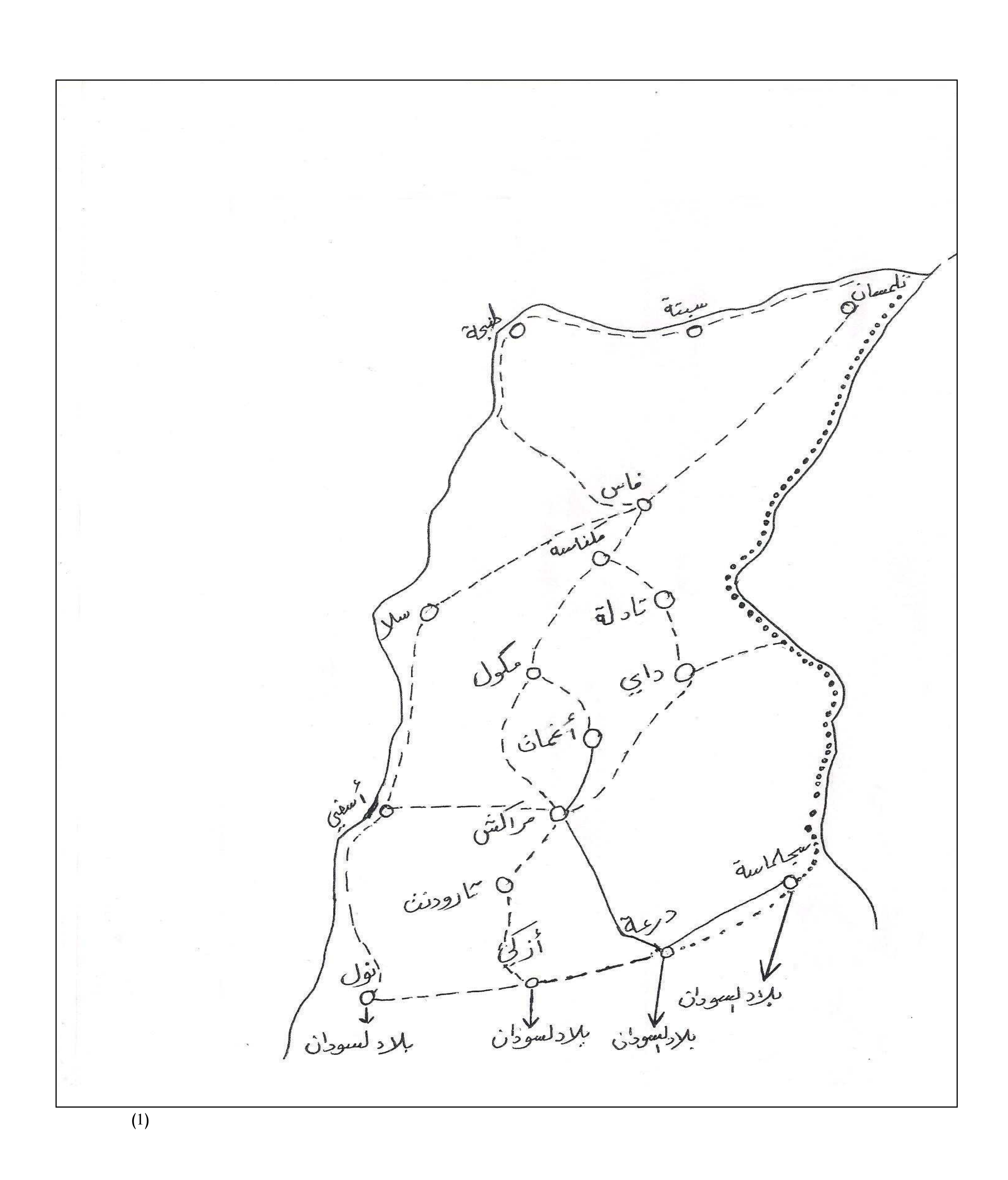
[6] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 109، 111،110.

[7] المصدر نفسه، ص 155،154 .

[8] الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمود: مسالك الممالك، دون نشر(ليدن،1927م) ص 146 .

[9] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص61؛ ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، 56/1

[10] مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص201 .



(1)

- أهم الطرق التجارية الداخلية.
- - - الطرق الأكثر استعمالا.
____ الطرق الكثيرة الاستعمال.
.... الطرق القليلة الاستعمال. [1]

[1] عزالدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص 306، 308.

2- طريق سجلماسة ومدينة أغمات وريكة يقدر بنحو ثمان مراحل[1].

3- طريق سجلماسة والسوس، وتبلغ اثنتي عشرة مرحلة[2].

- الطرق بين أغمات ومدن المغرب الأقصى:

1- طريق أغمات والسوس، "ويبدأ هذا الطريق من أغمات وريكة إلى مدينة نفيس، وتقطع هذه المسافة بمرحلة ثم إلى مدينة أفيفن مرحلة، وهي بطحاء كثيرة المياه، وبعد ذلك يصل الطريق إلى مدينة تاقررت مرحلة ومنها إلى جبل درن ومن هذا الجبل يصل الطريق إلى بلاد السوس"[3].

2- طريق أغمات مع مدينة درعة، وتبلغ مسافته "ست مراحل"[4].

أما بالنسبة لاتصال باقي المدن كمراكش وفاس وسجلماسة مع مدينة أغمات فقد سبق الحديث عنها.

وهذه الشبكة من الطرق البرية الداخلية في المغرب الأقصى كان يستخدمها أهل البلاد، إذ كان لا بد من عمل هذه الطرق والمسالك الداخلية من أجل التبادل التجاري بين مدنهم لتصريف الزائد عن الحاجة من المنتجات والسلع إلى حيث الحاجة إليها في هذه المدن.

ب . الطرق النهرية:

عرف سكان المغرب الأقصى استخدام الأنهار بوصفها طرقاً تجارية لنقل بعض بضائعهم فقام أهل مدينة فاس باستخدام الأنهار للوصول إلى المدن الأخرى، لاسيما وأن هذه المدينة بها نهر، وهو أحد فروع نهر وادي سبو، ففي هذا النهر كانت"تسير بعض القوارب والمراكب بالتجارة"[5]، ويتضح اهتمام المرابطين بالأنهار في القنطرة التي بناها الأمير علي بن يوسف على نهر وادي تانسيفت، وهي "قنطرة

---

[1] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 152، 153؛ ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، 56/1 .

[2] ابن حوقل: صورة الأرض، ص 92 .

[3] البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص 160 .

[4] الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 46 .

[5] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص160؛ الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص 79.

عجيبة البناء"[1] جلب إليها الصُنَّاع من الأندلس وجملة من أهل المعرفة بالبناء فشيدوها وأتقنوها حتى كملت غير أنها لم تلبث إلا أعواماً يسيرة حتى حطَّمها السيل ورمى بها في البحر[2].

2- المراكز التجارية الداخلية:

أ. مراكش:

كانت عاصمة المرابطين هي مدينة أغمات التي كانت مدينة مزدهرة، وعندما بنيت مدينة مراكش أصبحت هي حاضرة للدولة المرابطية بدلا من مدينة أغمات[3]، بل أصبحت مركزاً للتجارة وحظيت باهتمام التجار وأتتها التجارة من كل مكان[4]، وقد اتخذ المرابطون مدينة مراكش دار ملكهم لقربها من جبال المصامدة وصحراء لمتونة[5]، وكانت هذه الأرض ملكاً لأهل أغمات من المصامدة[6]، حيث كانت أرض مراكش ملكاً لعجوز مصمودية[7]، وقد كانت المدينة قبل بنائها مكاناً مهجور مخوف؛ تقع في سهل فسيح ليس فيه إلا مرتفعان في الشمال الغربي، وبدون شك أن بناء المدينة كان حدثاً ضخما فيه تعبيرا عن شخصية الجنوب بالمغرب الأقصى، فاختيار موقع المدينة يبين مدى تعلق المرابطون بالصحراء في حين أن فاس ليست إلا عاصمة المغرب الأقصى المغربي، وتقع المدينة على وادي تانسيفت الجاري في جهة الشمال[8].

---

[1] ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، ص1/ 62.

[2] الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص127.

[3] حسن، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلامي السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، 1997م) 4/ 595.

[4] عبدالعزيز بن عبد الله: تاريخ المغرب،1/ 110.

[5] المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 444.

[6] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص 67؛ ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ،1/ 60.

[7] ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن الشيال: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر(بيروت، 1970م)113/7؛ شبانة، محمد كمال: الدويلات الإسلامية في المغرب، دار العالم العربي ط1 (القاهرة، 2008م) ص43.

[8] ياقوت الحموي: معجم البلدان، 5/ 94 ؛ محمد شعيرة: المرابطون تاريخهم السياسي، ص66، 67.

وقد اختلف المؤرخون[*] في السنة التي بنيت فيها هذه المدينة، ولكن على الأرجح أنها بنيت في عام 454هـ/ 1062م ونمت واتسعت وأصبحت من أهم مدن المغرب الأقصى فكثرت فيها الأسواق[1]، التي امتلأت بالبضائع[2].

ب . فاس:

وكانت أجل المدن قبل أن تختط مراكش[3]، وقاعدة بلاد المغرب[4]، ومركزاً تجارياً مهماً "فهي قطب ومدار لمدن المغرب الأقصى"[5] ويرجع ذلك إلى ما تميزت به من موقع في قلب البلاد مع توفر المحاصيل الزراعية، والصناعات المختلفة بها، مما جعل أسواقها حافلة بأنواع البضائع المختلفة، التي كانت تسّد حاجة سكان المدينة[6]، وكانت القوافل تأتي إلى فاس وتجلب معها كل غريب من الثياب والأمتعة[7]، وفي المقابل تخرج هذه القوافل منها محملة بالبضائع متجهة إلى المدن المغربية الأخرى كمدينة سجلماسة ومكناسة ومراكش[8]، وقد كتب الزهري عن فاس ومكانتها التجارية فوصف نهرها والعيون المائية التي كانت فيها وأوديتها وجبالها مما يدلل على أنها مركز زراعي أيضاً، أما كونها مركزاً تجارياً فذكر أنها "يجلب إليها

---

[*] اتفق بعض المؤرخين على أن بناء المدينة كان عام 454هـ/ 1062 م ومنهم ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص138؛ ابن الخطيب: أعمال الإعلام، 3/ 234؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 6/ 245، كما ذكر مؤرخ آخر أنه شرع في بنائها عام 470هـ/ 1077م، الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص67، ويشير مؤرخ آخر على أنها بُنيت عام 462هـ/ 1069م = ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 4/ 20، ومن الواضح أن بنائها ينسب إلى الأمير يوسف بن تاشفين وتاريخ البناء هو 454هـ/1063م، والمرجح أن الأمير يوسف بن تاشفين كان مشرفا على عملية البناء= سالم، السيد عبدالعزيز :المغرب الكبير، الدار القومية للطباعة والنشر (الإسكندرية،1966م) ص702.

[1] القشاط، محمد سعيد: أعلام من الصحراء، دار الملتقى للطباعة (بدون مدينة، 1997م) ص 211.

[2] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص 78.

[3] ياقوت الحموي: معجم البلدان، 4/ 230.

[4] مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 180.

[5] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص 79.

[6] حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 271.

[7] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص 79.

[8] روجية، لوتورنو: فاس في عصر بني مرين، ترجمة نقولا زيادة، دون نشر (بيروت،1967م) ص 138.

من جميع الأقاليم كل شيء حسن من المتاع والسلع الغالية الأثمان"[1] .

ج . مكناسة:

وهي مدينة بينها وبين مراكش أربع عشرة مرحلة نحو الشرق[2]، وكانت أسواقها عامرة بالتجارات المختلفة[3]، وفي المدينة أنشأ المرابطون حصن يسمى تاجررت[4]، غير أن ازدهار هذه المدينة كان في عصر الموحدين حسب ما أشار إليه ابن غازي في كتابه الروض الهتون[5].

د . داي:

كانت مدينة داي محطة لتجار القوافل القادمين من فاس وسجلماسة وغيرها من المدن المغربية[6]، فهي تعد من المراكز التجارية في المغرب الأقصى بما حظيت به من نشاط في تجاراتها وأسواقها.

ه . أغمات:

اتخذ المرابطون مدينة أغمات عاصمتهم الأولى بعد أن استولى عليها عبد الله ابن ياسين[7] وهي مدينة كثيرة الخيرات والتجارة[8] وقد أشار الإدريسي إلى ثراء تجارها قائلاً "وأهلها تجار مياسير يدخلون إلى بلاد السودان بأعداد الجمال الحاملة لقناطير الأموال من أنواع النحاس والأكسية والثياب والعمائم والمآزر وصنوف النظم من الزجاج والأصداف والأحجار والعطر وآلات الحديد المصنوع"[9] فهذه المدينة

---

(1) كتاب الجغرافية، ص 114.

(2) ياقوت الحموي: معجم البلدان، 5/ 18.

(3) الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، ص 77.

(4) ابن غازي: الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، ص 59.

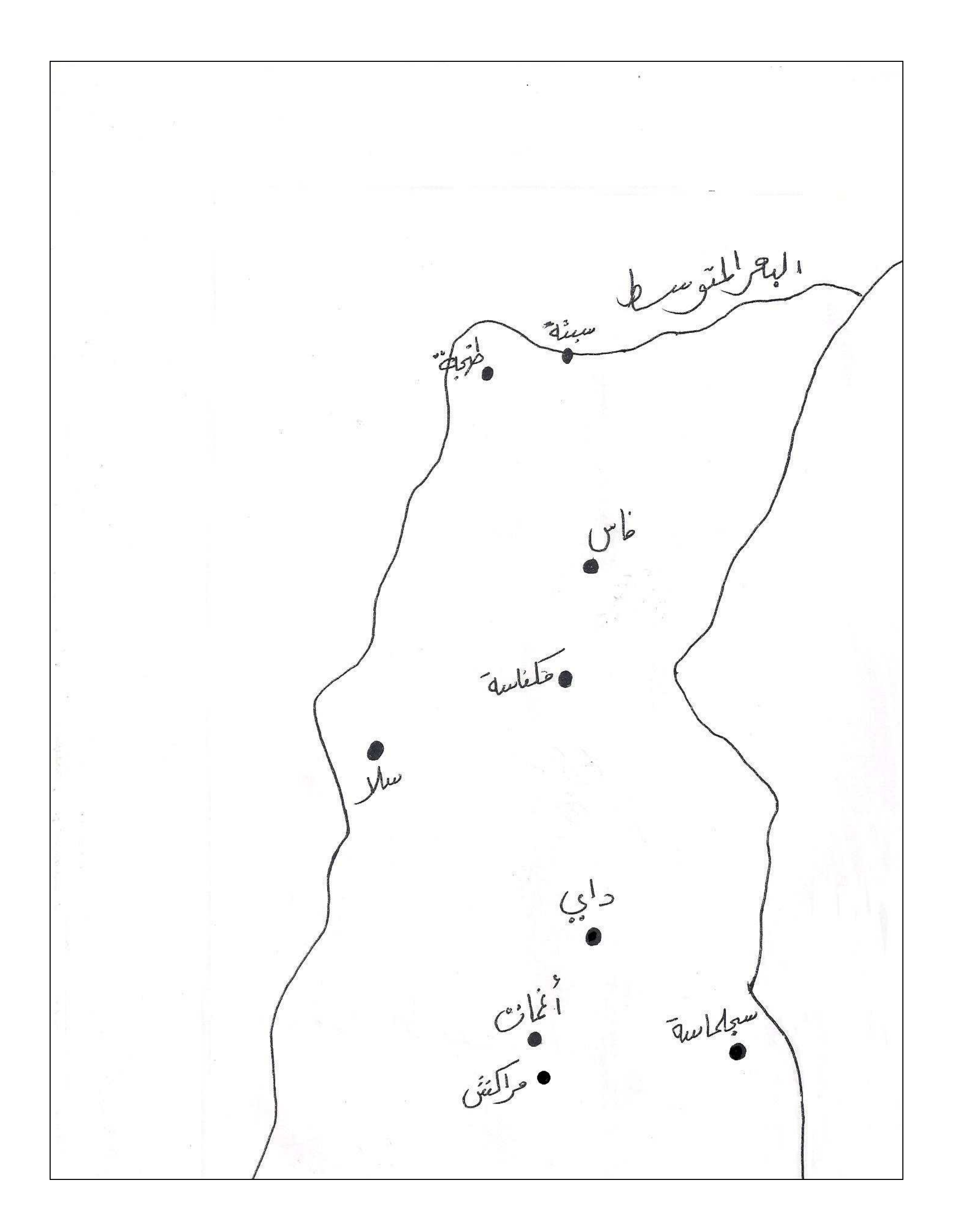
(5) الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، ص 76، 77، 78، 79، 80.

(6) الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص 75؛ مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 206.

(7) مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص23.

(8) البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 153؛ مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 207.

(9) المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص66؛ ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار،1/ 60.



- أهم المراكز التجارية. **- إعداد الباحث**

كانت مركزاً تجارياً مهماً لتجمع التجار المتجهين بتجارتهم للصحراء[1].

و . سجلماسة:

وهي مدينة سهلية[2]، كانت بداية نشأتها سوقاً يجتمع فيه المغاربة فنمت حتى أصبحت مدينة يقصدها التجار[3]، وأصبحت مقصد الوارد والصادر[4]، وكانت هذه المدينة تصدر بعض المحاصيل التي تمتاز بزراعتها إلى مدن المغرب الأقصى[5] وأهل هذه المدينة من أغنى الناس وأكثرهم مالاً، وهي على الطريق المؤدية إلى مدينة غانة، وذلك يعطيها أهمية تجارية مع بلاد السودان[6]، وقد كانت بسجلماسة الأسواق الكثيرة حتى أنه خصصت أيام معينة لهذه الأسواق[7].

3. الأسواق:

إن تعدد الأسواق في مدينة ما يعني أنها تتمتع بنشاط تجاري، وكلما تعددت الأسواق أزداد العرض والتبادل فيها، ودل ذلك على النشاط في حياة الجماعات[8].

ففي عصر المرابطين كثرت الأسواق واختلفت مسمياتها، فقد كان في مدينة مراكش سوق للدخان والصابون والمغازل[9]، وفي مدينة فاس سوق للثياب والقراقين- وهم باعة الأقراق وهي الأخفاف أو الصنادل - وسوق البقالين، فابن القطّان يشير في كتابه إلى حريق حدث في مدينة فاس وصف فيه هذه الأسواق قائلاً : " وفيها - أي عام533هـ/1138م - وقع الحريق في سوق مدينة فاس واحترق من رأس عقبة

---

(1) حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 272.

(2) الدمشقي: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص 38.

(3) البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 149.

(4) ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، 56/1.

(5) الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص61 ؛ ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، 1/ 56 .

(6) ياقوت الحموي: معجم البلدان، 192/3 .

(7) مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص206 .

(8) نقولا، زيادة: الحسبة والمحتسب في الإسلام، المطبعة الكاثوليكية (بيروت، 1952م) ص 249.

(9) الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص 70.

الخرازين واحترق سوق الثياب والقراقين، وغير ذلك من الأسواق إلا البقالون"[1] هذا إلى جانب أن الأسواق في المغرب الأقصى كان لها أيام معينة تقام فيها منها أسواق تقام يوم الأحد[2] وأسواق تقام يوم الثلاثاء[3]، وأسواق تقام يوم الخميس[4] والجمعة[5]، وهي على النحو الآتي:

أ . سوق يوم الأحد:

تنعقد هذه الأسواق في مدينة "أغمات وريكه" فكان يجلب إليها أنواع السلع، وقد أشار البكري إلى هذه الأسواق فقال:" سوق أغمات وريكه يقوم يوم الأحد بضروب السلع وأصناف المتاجر يذبح فيها أكثر من مائة ثور، وألف شاة"[6].

ومثل هذا السوق كان يقام في مدينة مكناسة في الجانب الغربي من أبراج صور تاجرارت الذي بناه المرابطون، حيث كان هناك برج مبني بالحجر والجير يسمى برج ليلة، وفي هذه الأرض عقد سوق يسمى سوق الغبار وهو يقام يوم الأحد، حتى أن أول هجوم شنه الموحدون على المرابطين في تلك الأرض كان بسوق الغبار يوم الأحد، وكان هذا السوق يقام بالقرب من قصر يسمى "ترزجين" ويسمى أيضاً بالسور القديم أو بالسوق القديم، وقد أشار ابن غازي إلى ذلك قائلاً: "وكان أهل القصر وأهل الحوائر يجتمعون إلى تلك السوق كل يوم أحد فبينما هم يوم أحد قد اجتمعوا وكملوا بالسوق المذكورة وهي بأرض مرتفعة إذ أشرفوا على خيل مقبلة إليهم في زي المرابطين" وكان هؤلاء الفرسان من جند الموحدين الذين قاموا بقتل كل من كان بهذا السوق"[7].

---

[1] ابن القطان، أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي (بيروت، 1990م) ص 268.

[2] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 153.

[3] المصدر نفسه، ص 107.

[4] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص 78.

[5] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 108، 152.

[6] المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 153.

[7] الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، ص 60، 61.

ب . سوق يوم الثلاثاء:

وهي سوق بني مغراوة بمنطقة غمارة[1].

ج . سوق يوم الخميس:

أقيم في قصر أبي موسى، وهو في جهة الشمال من مدينة مكناسة، فقبائل بني مكناس كانت تجتمع في هذا السوق، حيث يجلب إليه أنواع البضائع، ويقصده الناس من قريب وبعيد[2].

د . أسواق يوم الجمعة:

أقيمت مثل هذه الأسواق في مدينة درعة وهي تعتبر من الأسواق المؤقتة، وقد وصف البكري، هذا السوق فقال:"على وادي درعة سوق في كل يوم من أيام الجمعة في مواضع مختلفة منه معلومة ربما كان في اليوم الواحد سوقان وذلك لبعد مسافته وكثرة الناس عليه طول عمارته المتصلة سبعة أيام"[3]، وأشار صاحب كتاب الروض المعطار إلى هذا السوق أيضاً[4]، كذلك كان هناك سوق آخر يقام يوم الجمعة في قرية نصر بن جرو وهي قريبة من مدينة سبتة[5]، ومثل هذه الأسواق هي أسواق مؤقتة تقام حسب الأيام ولذلك سميت هذه الأسواق باسم اليوم الذي تقام فيه.

أما عن الأسواق الكبرى التي تقام داخل المدن والتي كانت دائمة الحركة التجارية فقد أقيمت في مدينة مراكش التي أصبحت أهم مدن المغرب الأقصى[6]، ويبدو أن أسواقها كانت منظمة، كل سوق له اسمه الذي يدل عليه في عصر المرابطين[7]، وكان تجارها يقومون بتصدير كميات وفيرة من بضائعها وسلعها من

---

(1) البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 107.

(2) الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص 78.

(3) المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 152.

(4) الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 235.

(5) البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 108.

(6) مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص210.

(7) الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص70؛ ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ،1/ 62.

زيت وسكر إلى مدن المغرب الأقصى ولاسيما مدينة فاس[1] التي كانت أسواقها مختلفة جداً وسلعها نافقة[2]، حيث احتوت مدينة فاس على أسواق كثيرة جلبت إليها الثياب والبضائع والأمتعة، فضلاً عن أن أهلها يظهر عليهم الثراء من تجاراتهم[3]، ومع اكتفاء سكان المدينة من السلع الأساسية المتوفرة في مدينتهم، فإن الأسواق كانت تمتلىء بأنواع البضائع التي تأتي بها القوافل القادمة من مدن المغرب المختلفة[4]، إلى جانب امتهان أهل فاس لبعض الأعمال داخل مدينتهم كعمل الجزارة، فكان منهم من عرف بحرفة الجزارة وهو أبو جبل يعلي المتوفى عام 503هـ/ 1109م الذي كان جزاراً بمدينة فاس" وكان يتورع في البيع والشراء فلا يشتري الغنم إلا من قوم يعرف طيب مكسبهم، وكان لا يخرج إلى دكانه، إلا وقد ذبح صبيانه الغنم وأعدوها للبيع فيتخطفها المبتاعون"[5] وفي مدينة داي الصغيرة تكثر التجارات والأسواق أيضاً فالقوافل تذهب منها وتأتي إليها[6].

أما عن مدينة مكناسة فقد أشار الإدريسي إلى أسواقها قائلاً:"وبلاد مكناسة منها التي تعرف ببني زياد وهي مدينة عامرة لها أسواق عامرة وحمامات وديار حسنة، ولم يكن في أيام الملثم -المرابطون- بعد تاقررت أعمر قطراً من بني زياد"[7]، وتعتبر مدينة أغمات أيضاً من أهم المدن التي تقام فيها الأسواق، فالمعروف عن أهل أغمات أنهم "تجار مياسير"حتى أن قوافلهم تتجه بتجاراتها إلى بلاد السودان[8]، كما لعبت سجلماسة دوراً مهماً في تجارة المغرب الأقصى، فقد قامت بها الأسواق

---

[1] الزهري: كتاب الجغرافية، ص116.

[2] ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، 1/ 60.

[3] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص77.

[4] الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص334.

[5] ابن القاضي: جذوة الاقتباس، 2/ 260؛ ابن عيشون، أبو عبد الله محمد الشراط: الروض العاطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، تحقيق زهراء النظام، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية (الرباط، 1997م) ص 291.

[6] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 154.

[7] المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص 77.

[8] ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، 1/ 60.

وهي مقصد " للوارد والصادر" كما أنها تعتمد على محاصيل زراعية وافرة[1]، أما الأسواق في مدينة سلا فكانت نافقة وتجارتها رائجة لاسيما أنها كانت ملتقى للطرق السهلية والجبلية في المغرب الأقصى[2]، كما أن مراكب إشبيلية وسائر المدن الساحلية تحط عليها بمختلف البضائع[3]، وفي مدينة تادلا حصن بناه الملثمون تكثر فيه الأسواق أيضاً[4]، وهناك أيضاً "قلعة مهدي وهي حصن فوق جبل شامخ ولها أسواق وعمارات متصلة"، إلى جانب الأسواق في حصن مدينة مغيلة خاصة وأن لها طريق يربطها بمدينة فاس[5]، إضافة إلى الأسواق في مدينة نفيس ومدن السوس[6]، وفي مدينة صفروي التي تبعد عن فاس حوالي مرحلة غير أن أسواقها قليلة[7]، أما مكول وهي قرية "أسواقها نافقة يجلب إليها المجلوبات من السلع والمتاجر- أي البضائع -"[8]

هكذا كانت الحركة التجارية في مدن المغرب الأقصى، فالحركة التجارية كانت نشطة ويتضح ذلك من خلال الأسواق الكثيرة والمتنوعة الموجودة في مدنه .

4 . **الفنادق**[*]:

إن وجود التجار من مختلف البلاد وبقائهم لفترات طويلة استدعى وجود عدد من الفنادق في مختلف مدن المغرب الأقصى من أجل إيوائهم وحفاظاً على بضائعهم، ومن أجل ذلك قام الأمير يوسف بن تاشفين ببناء الفنادق في مدينة فاس

---

[1] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص 60.

[2] المصدر نفسه، ص 73.

[3] ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ،1/ 65.

[4] مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار ، ص 200.

[5] ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ، 1/ 71 .

[6] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 160، 162.

[7] ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ، 1/ 70.

[8] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص 72.

[*] الفنادق: تتألف الفنادق أو الفندق عادة من صحن مستطيل أو مربع الشكل يتوسطه حوض لسقي الدواب، وتدور بالصحن ممرات تطل عليه، وتتوزع وراء هذه الممرات مخازن لحفظ السلع المراد بيعها بالجملة واصطبلات لإقامة الدواب، ويشغل الطابق العلوي من الفندق غرف مخصصة لمبيت النزلاء = كمال أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص307.

عام 462هـ/ 1069م[1]، حيث يقوم التجار العاملون على الأسواق على تجميع السلع الثقيلة التي تتميز بكبر الحجم والتي يؤثر نقلها داخل المدن، وتركيزها في الأطراف وفي المناطق القريبة من أبواب المدينة، فلم تكن جميع البضائع ترسل إلى السوق المركزية مباشرة، بل كانت تخزن في الفنادق، وقد ساعدت هذه الفنادق على رواج التجارة، وذلك بقدوم التجار إلى مدن المغرب الأقصى فقد كان التجار يأمنون على أنفسهم وبضائعهم في هذه الفنادق لان حركة التجارة داخل الأسواق تتطلب اتخاذ فنادق للتجار[2].

5. صاحب السوق:

وهذه الوظيفة تشبه وظيفة المحتسب[*] التي يعتبر صاحبها المنظم الحقيقي للحياة الاقتصادية عامة في المدينة وللحياة التجارية والصناعية على وجه الخصوص، حيث كان في المغرب الأقصى في عصر المرابطين من يقوم بمراقبة الأسواق، فكان كل من يتولى هذه الوظيفة يسمى "بصاحب السوق"[3]، علماً بأن الأساس الذي قامت عليه دولة المرابطين ينص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والرجوع إلى الكتاب والسنة[4]، لذلك كان من أهم واجبات صاحب السوق الإشراف على الأسواق والمشتغلين فيها، فهو يراقب أنواع البضائع والسلع التي يتاجر بها أهل المغرب[5]، كما كان صاحب السوق يقوم بوظائف أخرى إضافة إلى رقابته على الأسواق، حيث كان ينظر إلى الآبار التي يستفيد منها التجار والعامة[6].

---

[1] ابن القاضي: جذوة الاقتباس،1/ 50.

[2] جمال طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، ص226.

[*] الحسبة: وهي وظيفة دينية؛ يقوم متوليها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض القائم بأمور المسلمين، يعين لذلك من يرى أنه أهلا لهذه الوظيفة؛ فيتعين فرضه عليه يحكم الولاية، وإن كان غير ذلك من فروض الكفاية، وهو يقاسم القاضي في سلطته= ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون،1/ 280، 281؛ شلبي، أبو زيد: تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، مكتبة وهبة(القاهرة، 1964) ص 114.

[3] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص 168؛ كمال أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي ، ص 309 .

[4] أبن أبي دينار: كتاب المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، ص 102،101.

[5] الونشريسي: المعيار المغرب والجامع المغرب،6/ 415.

[6] ابن عبدون: رسالة في آداب الحسبة، 75.

ثانيا: التجارة الخارجية:

كان من نتائج نشاط الحركة التجارية داخل مدن المغرب الأقصى أن أصبحت البلاد مقصد التجار والقوافل من قريب وبعيد، يأتون محملين بالبضائع المختلفة ويعودون منها وقد امتلأت قوافلهم بمنتجات البلاد، فكان لذلك أثر في دفع الحركة التجارية الخارجية(1)، حيث ارتبط المغرب الأقصى بعلاقات تجارية مع المغرب الأدنى، وذلك نتيجة للعلاقات السياسية بين أمراء البلدين(2)، أما المغرب الأوسط فقد ساد العلاقات بين المرابطين والحماديين(*)، توتر واضح مما كان له مردود على الأوضاع التجارية(3)، ولكن هذا لم يؤثر في الصلات التجارية الأخرى مثل الاتصال التجاري المستمر مع بلاد السودان(4)، خاصة الاتصال بمدنية زويلة(**)، التي أثرت في تجارة البلاد الخارجية، حيث كانت تكثر فيها الأسواق وأهلها لهم معاملات تجارية جيدة(5)، كما أن اتصال البلاد تجارياً، بمدينة أودغست(***) في بلاد السودان كان له أثر في نشاط التجارة الخارجية بين البلدين حيث كانت هذه المدينة حافلة بالأسواق وبضاعتها، وكانت تصدر بضائعها إلى جميع الجهات ولاسيّما المغرب الأقصى(6).

---

(1) حسن محمود: قيام دولة المرابطين، ص 401.

(2) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم الشيباني: الكامل في التاريخ، دار صادر(بيروت، 1966م)10/ 611؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر،308/6.

(*) دولة بني حماد: هي شعبة من دولة آل زيري التي انقسمت دولتين في أواخر القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي هما الدولة الزيزية في أفريقيا، والدولة الحمادية في المغرب الأوسط نسبة إلى حماد بن بلكين بن زيزي الذي استقل بحكمها عام 387 هـ/997 م = ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 6/ 227.

(3) ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 6/ 227.

(4) الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص 66 .

(**) زويلة: وهي مدينة قديمة في الصحراء بالقرب من بلاد كانم من السودان ومنها يدخل إلى بلاد السودان، وفي تعريف آخر أنها تقع مقابل مدينة أجدابيا بين السودان وإفريقية، وتقع بالقرب من مدينة برقة في ليبيا وهي أول حدود بلاد السودان= الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص295،296؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، 3/ 160.

(5) الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 96.

(***) أودغست: تقع جنوب تامدلت بينها وبين سجلماسة مسيرة شهرين، وهي تقع بين جبلين في قلب البر جنوبي سجلماسة= ياقوت الحموي: معجم البلدان، 1/ 278.

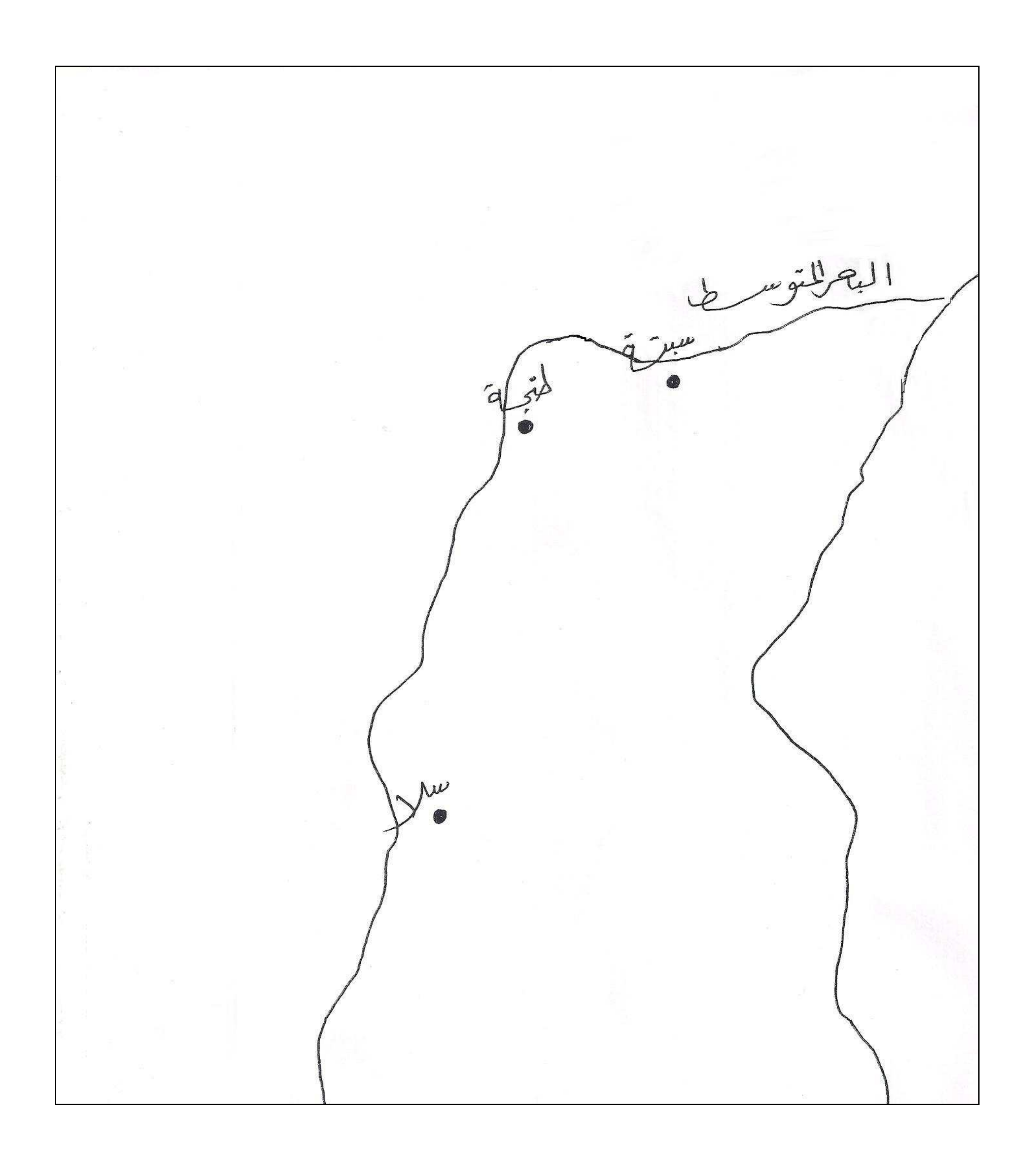
(6)مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 215، 216.

ومن العلاقات التجارية الخارجية للمغرب الأقصى تجارته مع الأندلس لاسيما أن المرابطين أخضعوا المغرب والأندلس لحكومة واحدة وتمكّنوا من إقرار الأمن والنظام وحماية طرق القوافل في كلا البلدين[1].

أما التجارة مع مصر فلم تكن بأحسن حال، ذلك أن العلاقات السياسية كانت متوترة بين الدولة المرابطية والدولة الفاطمية في مصر لأن المرابطين اعترفوا بالخلافة العباسية السنية التي كانت على عداء مع الفاطميين[2]، فكان لذلك أثر على التجارة مع بلاد المشرق، التي كانت تسلك طريقاً يبدأ من المغرب الأقصى ويمر بمصر مقر الدولة الفاطمية (دولة العبيديين) ثم إلى مكة[3]، ويستمر الطريق إلى أن يصل [*]البصرة[4]، كما واجهت التجارة مع بلاد البحر المتوسط صعاباً كثيرة، لأن علاقة المرابطين ببلاد البحر كانت مضطربة، فالحروب الطاحنة مع نصارى إسبانيا جعلت التجارة معهم لا تزدهر إلا في أيام الهدنة التي كانت كثيراً ما تخرق[5]، وقد اتخذت التجارة مع بلاد المغرب الأدنى وبلاد السودان والأندلس طرقاً لمباشرة التجارة مع المغرب الأقصى، وهي كالآتي:

1. الطرق بين المغرب الأقصى والمغرب الأدنى:

-إعداد الباحث



- أهم الموانى.

- سبته.
- طنجة.
- سلا.

-إعداد الباحث

(المتوسط) بينها وبين مدينة سبتة ثلاثون ميلاً من ناحية البر[1] وطولها من جهة الغرب ثمانون درجة، وعرضها خمس وثلاثون درجة ونصف من جهة الجنوب، وهي على ساحل المغرب مقابل الجزيرة الخضراء في الأندلس[2]، وهذا الميناء يعتبر من أهم الموانئ في المغرب الأقصى، ولهذه المدينة نهر كبير تدخل فيه السفن وهو يصب في البحر[3].

وهذه الموانىء شجعت العديد من السفن المحملة بالبضائع على الرسو بها مما نتج عنه نشاط للحركة التجارية في بلاد المغرب الأقصى[4].

ثالثاً: الصادرات والواردات:

شهدت أسواق البلاد نشاطا في البيع والشراء، وعلى اكتفاء السكان بالسلع الأساسية المتوفرة في المدن فإن الأسواق كانت تمتلىء بأنواع البضائع التي تأتي بها القوافل القادمة من مدن المغرب وبلاد السودان والأندلس، ونظرا لسياسة المرابطين وإخضاعهم لأقاليم المغرب الأقصى المختلفة في ظل حكومة واحدة صارت البلاد ممراً لتجارة الصحراء، ولعب الأسطول المرابطي دوراً كبيراً في تأمين المواني المغربية، وحماية الطرق البحرية في البحر المتوسط فضلا عن عمليات الجهاد التي قام بها في مياه الأندلس الأمر الذي سهل حركة النقل بين المغرب والأندلس[5].

أ ـ الصادرات:

حضيت بلاد المغرب الأقصى بثرائها الكبير في الإنتاج الزراعي والصناعي والمعدني الذي كان يفيض عن حاجات أهلها، فكانت تتولى تصدير العديد من ذلك، وكان على رأس تلك الصادرات القطن والكمون والكراويا والحناء والقمح والشعير وقصب السكر الذي كانت تصدره إلى المغرب الأدنى[6]، وكذلك صدر العسل

---

[1] الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 396.

[2] ياقوت الحموي: معجم البلدان، 4/ 43.

[3] مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 139.

[4] حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 279.

[5] جمال طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، ص 234، 236، 237؛ عزالدين موسى: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، دار الشروق(بيروت،1983م)ص64،63.

[6] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص 61، 62.

الموجود في السوس الأدنى[1]، كما صدر أيضاً حيوان الفنك الذي كان موجود في الصحراء المغربية[2]، وأيضاً المعادن كالنحاس المصبوغ[3] .

وكذلك هو الحال مع بلاد السودان، حيث صدر القمح والتمر والزبيب إلى مدينة أودغست[4] إلى جانب القطن الذي ينسجون منه ملابسهم[5]، كما حمل إليها الخرز والصدف والأكسية وثياب الصوف والعمائم والأصداف والأحجار والعطر[6].

كما صدر المغرب الأقصى المعادن التي كان من أهمها معدن النحاس أو النحاس المصبوغ الذي كان يصدره إلى بلاد السودان[7]، وهو ما أشار إليه الإدريسي عند وصفه للقوافل الخارجة من أغمات والمتجهة إلى بلاد السودان"حاملة قناطير الأموال من النحاس الأحمر والملون"[8] إضافة إلى الملح الذي يستبدلونه بوزنه ذهباً[9].

وكان للتبادل التجاري المغربي الأندلسي في الوحدة السياسية - التي جمعت بين البلدين في عصر المرابطين - أثره الفعال في نشاط الاقتصاد المغربي وتوسيع موارده ومصادره[10]، فقد كان المغرب الأقصى يصدر إلى الأندلس ما تجود به أرضه حيث صدر إليه معدن النحاس الذي اشتهرت به مدينة داي والسوس الأقصى، وكان من ضمن الصادرات أيضاً السكر السوسي، الذي جادت به منطقة

---

[1] ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص 84؛ البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 162 .

[2] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص171 .

[3] الزهري: كتاب الجغرافية، ص117 .

[4] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 158 .

[5] الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 236 .

[6] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص66؛ الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 236 .

[7] مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 181 .

[8] المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 66.

[9] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص 171، 174 .

[10] عادل عبد العزيز: الجذور الأندلسية في الثقافة المغربية ، ص 194 .

السوس[1]، إلى جانب الحبوب المغربية مثل القمح والشعير الذي كان تجار إشبيلية يتجهزون به من ميناء سلا[2]، كما صدرت إليها التمور من سجلماسة[3]، ونتيجة لرواج تجارة الرقيق بين المغرب الأقصى وبلاد السودان فقد كان الرقيق من ضمن ما صدره تجار المغرب الأقصى إلى بلاد الأندلس[4]، كما جلب التجار أيضاً من المغرب الأقصى إلى الأندلس أنياب الفيلة (العاج) والجلود ودرق اللمط الذي عرفت به مدينة لمطة[5] .

وربما ساعد على هذه المبادلات التجارية أن المسافة التي تفصل بين القطرين لا تتجاوز خمسة عشر كيلو متراً في بعض نواحيها وبذلك كان المضيق الذي يفصل بينهما له أهمية كبرى، حتى أصبح تاريخ المغرب الأقصى والأندلس يكاد يتمم بعضه بعضاً ولذلك أطلق عليه اسم العدوتين[6].

ب- الواردات:

من الواردات من المغرب الأدنى إلى بلاد المغرب الأقصى سروج الخيل والصوف[7]والأغنام والماشية[8]، والفستق الذي جلب من قفصة في المغرب الأدنى إلى سائر بلاد المغرب ولاسيما سجلماسة[9]، وجلب أيضاً التين[10]، والأكسية الحسنة[11].

---

(1) الزهري: كتاب الجغرافية، ص117، 118؛ مجهول:الاستبصار في عجائب الأمصار، ص212،213،214.

(2) الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص 73 .

(3) ابن حوقل: صورة الأرض، ص 91 .

(4) ابن عذاري المراكشي: البيان المغُرب في أخبار الأندلس والمغرب، 23/4 .

(5) الزهري: كتاب الجغرافية، ص 117، 118 .

(6) حسن محمود: قيام دولة المرابطين ، ص ص19 .

(7) الزهري: كتاب الجغرافية، ص 114،113.

(8) مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 76.

(9) البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص47، مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 153.

(10) ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ الأخبار، 1/ 91.

(11) المصدر نفسه،1/ 122.

أما الواردات من بلاد السودان للمغرب الأقصى فتمثلت في معدن الذهب، حيث كان السلعة التي اشتهرت بها غانة وكان يوجد في المناطق الجنوبية منها[1]، وكان الذهب يستخدم في دور السكة، وتضرب منه الدنانير التي يستخدمها التجار في التجارات والبضائع وأكثر من يشتري الذهب هم "أهل وأرقلان[*]، وأهل المغرب الأقصى"[2]، وقد تحدث بوفيل عن طرق التعامل التي تتم بين تجار الذهب في بلاد السودان وتجار المغرب الأقصى، " حيث يقول: كان إذا ما وصل التجار شاطىء النهر ضربوا الطبل الكبير يدعون به الوطنيين الذين يعيشون في كهوف تحت الأرض، وكانوا يرفضون الخروج من هذه الكهوف، التي كانت هي الأنفاق التي يستخرجون منها الذهب في حضور التجار الأجانب، ولذا كان هؤلاء يعرضون تجارتهم على شكل أكوام على ضفة النهر، ثم يتراجعون بعيداً عن الأنظار، وحينئذ يخرج الوطنيون ويضعون أكواماً من الذهب على جانب كل كوم من البضاعة ثم ينسحبون، وإذا ما رضى التجار بما وضع هؤلاء من ذهب أخذوه وتراجعوا وضربوا طبولهم ليعلنوا انتهاء السوق"[3]، ويبدو أن هذه الطريقة كانت معروفة منذ وقت قديم وتسمى بالطريقة الصامتة[4]، فكان التجار يجلبون الذهب من مدينة [**]غيارة[5]، وكذلك من مدينة كوغة[***] التي تعتبر أكثر مدن بلاد السودان ذهباً[6]، فمعدن

---

[1] شلبي، أحمد: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، دار النهضة المصرية(القاهرة، 1969م)16/ 111.

[*] أرقلان: تقع في الصحراء بالقرب من إفريقية = مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 224.

[2] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص8.

[3] بوفيل: الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى، ترجمة زاهر رياض، مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة، 1968م) ص 110.

[4] حسن، حسن إبراهيم: انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، دار النهضة المصرية(القاهرة، 1964م) ص98.

[**] غيارة: مدينة من مدن بلاد السودان بينها وبين غانة عشرين يوما= البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 176.

[5] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 176.

[***] كوغة: مدينة بينها بين غانة من بلاد السودان خمسة عشر يوماً على ضفة النيل= الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص504 .

[6] مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 222.

الذهب كان من أهم السلع القادمة من بلاد السودان.

ومن الواردات أيضاً العاج (أنياب الفيلة) وخشب الأبانوس والجلود[1] والعنبر والطيب الذي جلب من أودغست[2]، ولم تقتصر الواردات من بلاد السودان على هذه البضائع فقط، بل كان من بين الواردات "الرقيق" الذي اعتبر من أهم السلع التي تصدرها بلاد السودان[3]، حتى إنه يوجد سوق لها في مدينة فاس بقصبة المرابطين[4]، حيث كان أهل السودان في البلاد المجاورة لبلدة لمم (وهي كالقرية الجامعة لا سور لها) يتحايلون على أهل هذه البلدة ويخرجونهم إلى بلادهم ويبيعونهم إلى التجار الذين يبيعونهم في كل عام لتجار المغرب الأقصى أو يسبونهم عن طريق الإغارة[5]، ويتضح ذلك في عبارة أشار إليها الإدريسي قائلاً: "وهم يغيرون على بلاد لمم - أي أهل بلاد السودان- يسبونهم ويأتون بهم ويبيعونهم من تجار غانة"[6] وكانت هذه التجارة حرفة جميع السودانيين العادية من المحيط الأطلسي حتى البحر الأحمر[7] أما عن أسعار الرقيق في بلاد السودان فكانت زهيدة مما مكنّ التجار من شراء الأعداد الكثيرة منهم[8]، فيشترون مثلا السودانيات اللاتي يحسن الطبخ بمائة مثقال[9]، ونتيجة لانتشار الرقيق فقد شاركوا في الحياة السياسية والحياة الاجتماعية في المغرب، فكانوا حرساً لبعض الحكام، وبعضهم استخدم في الأعمال المنزلية[10].

كما كانت الأندلس تصدر إلى المغرب الأقصى كثيراً من البضائع المختلفة في

---

(1) الزهري: كتاب الجغرافية، ص 118.

(2) مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 216.

(3) الزهري: كتاب الجغرافية، ص 119.

(4) مارمول: أفريقيا، 2/ 154.

(5) الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص6 ،7 ،9.

(6) المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص 9.

(7) بوفيل: الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا، ص 111.

(8) أياس، أحمد: الطرق التجارية عبر الصحراء، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآداب (القاهرة، 1977م) ص 153، 154.

(9) البكري: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص 158.

(10) أحمد أياس: الطرق التجارية عبر الصحراء، ص 153، 154.

مقدمتها الزيت الذي كان له أهمية كبرى في بلاد حوض البحر المتوسط، فقد صدر الفائض منه إلى بلاد المغرب الأقصى[1]، وهو ما يسمى بالزيت الإشبيلي الذي كانت السفن تحمله إلى مدينة سلا[2]، وكان من ضمن الواردات إلى المغرب "الكاغد" الذي اختصت بصناعته مدينة شاطبة(*)، حيث كان للكاغد سوق نافقة في المغرب[3]، ويتجهز التجار من شاطبة أيضاً بأنواع الأمتعة إلى المغرب وبلاد السودان وغانة[4].

أما حصن قيشاطة(**) فيجهز منه الأخشاب التي كان المغرب الأقصى في حاجة مستمرة إلى هذا النوع المختلف الصناعات[5]، كما صدرت بعض المصنوعات الخشبية كالقصاع والخوابي والأطباق إلى المغرب الأقصى[6].

وكان القطن رغم وفرته في بلاد المغرب الأقصى يصدر إليه من الأندلس[7]، إضافة إلى الأسلحة التي استوردها الأمير يوسف بن تاشفين[8] هذا إلى جانب الزئبق[9].

يتضح مما سبق أن التجارة في عصر المرابطين حضيت بنصيب وافر، فقد كان لامتداد رقعة الدولة عظيم الأثر في ازدهار النشاط التجاري الذي أدى إلى فتح منافذ متعددة لتسويق المنتجات الزراعية والصناعية حتى نشطت حركة الصادر

---

[1] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص 178؛ الزهري: كتاب الجغرافية، ص 89.

[2] الزهري: كتاب الجغرافية، ص 187؛ ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، 2 / 66.

(*) شاطبة: مدينة في شرقي الأندلس في الشرق من قرطبة، وهي مدينة قديمة كبيرة، يعمل بها الكاغد الجيد= ياقوت الحموي: معجم البلدان، 3/ 309.

[3] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص 192 .

[4] الزهري: كتاب الجغرافية، ص 114 .

(**) حصن قيشاطة: مدينة بالأندلس من أعمال جيان= ياقوت الحموي: معجم البلدان، 4/ 422.

[5] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص 203 .

[6] الحميري: صفة جزيرة الأندلس" منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار"، تحقيق ليفي بروفنسال، دارالجبل(بيروت،1988م) ص165 .

[7] المصدر نفسه، ص 21 .

[8] مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص 37 .

[9] المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 363 .

والوارد ونمت التجارة الداخلية والخارجية[1].

ويشير البكري إلى الأسعار في هذا العصر بأنها كانت رخيصة فمثلا في مدينة أغمات يباع التفاح بربع درهم[2]، وحبة الإجاص بربع درهم[3]، وكذلك قصب السكر بربع درهم[4] .

ولكن على الرغم من هذا فإن البلاد تعرضت في بعض السنوات خلال هذا العصر لغلاء في الأسعار ولبعض المجاعات، وذلك إما نتيجة عوامل طبيعية أو للتأثر بالأحداث السياسية المضطربة التي كانت تحدث بين آونة وأخرى، وتلك الأحداث التي كان لها أثرها في إعاقة النشاط التجاري في أسواق البلاد أو في الحياة الاقتصادية بصفة عامة، حيث تعرضت أسواق بعض البلاد للحريق مثل الحريق الذي التهمت نيرانه أسواق مدينة فاس[5].

رابعاً: النظام المالي:

يقصد بالنظام المالي موارد الدولة وأوجه النفقات المختلفة التي ازدادت باتساعها عبر العصور[6]، وقد كان للنظام المالي المحكم الذي أنتجه المرابطون أثره في تدعيم الاقتصاد، فالنظام المالي وما اشتمل عليه من إدارة مالية حازمة وسياسة مالية حكيمة تتعلق بتنمية الموارد المالية للدولة وموازنة ذلك بالنفقات المختلفة كانت من أهم العوامل التي ساعدت على الازدهار الاقتصادي للبلاد، فمن الطبيعي أن تنظيم علاقة السكان بولاة الأمر خاصة من الناحية المالية، ومعرفة كل حقوقهم وواجباتهم يبعث الثقة والطمأنينة في النفوس وبالتالي يدفعهم للعمل والإنتاج[7].

فالسياسة المالية لكل دولة تعمل على تحقيق التوازن بين مواردها ومصارفها وقد سارت الدولة الإسلامية على هذه السياسة منذ نشأتها، فأنشأت بيتا للمال يقوم

---

[1] حمدي حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس، ص 349 .

[2] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 153 .

[3] المصدر نفسه، ص155 .

[4] المصدر نفسه، ص 162 .

[5] ابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، ص268 .

[6] علي الشطشاط: دارسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص 109

[7] حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، 184 .

على صيانته وحفظه والتصرف فيه للمصالح العامة للمسلمين[1]، وعلى أية حال فإن في عصر الأمير يوسف بن تاشفين تدفقت الأموال على بيت المال، وكثرت الخيرات وعم اليسر أيام حكمه، وهناك رواية تشير إلى أنه وجد في بيت المال عند وفاته "ثلاثة عشر ألف ربع من الورق وخمسة آلاف وأربعين ربعا من دنانير الذهب المطبوع"[2].

ويمكن تحديد أهم الموارد المالية في عصر المرابطين فيما يلي :

1- الإدارة المالية:

. الضرائب والزكاة:

اصطبغت الدولة المرابطية منذ قيامها بالصبغة الدينية في مجال سياسة الضريبة المالية[3]، فشاع عن المرابطين إلغاء المكوس وإسقاط الضرائب والمغارم المحدثة، وأخذ ما أوجبه الكتاب والسنة، فطهر بيت المال من الضرائب غير الشرعية واكتفوا بالأعشار[*] والزكاة[4]، فعندما أخضع الفقيه عبدالله بن ياسين قبيلة مسوفة وأذعنوا له بالطاعة أمرهم بالعشر، والزكاة و"اتخذ لذلك بيت مال يجمع فيه ما يرفع من ذلك"[5]، وربما هذا ما دعى المؤرخين إلى القول إن المرابطين لم يفرضوا أي ضريبة حاشا الزكاة والعشر[6] إلا أن هذا القول لا ينطبق إلا على عصر الأمير

---

[1] علي الشطشاط: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص 109 .

[2] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص137 .

[3] السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، 2/ 54 .

[*] العُشر: ضريبة على الأراضي، مقدارها عشر غلتها مالاً أو عيناً، وتدفع من الأراضي التي أسلم أهلها من العرب أو العجم دون حرب، وبقيت بأيديهم، وعلى الأرضي التي استولى المسلمون وقسمها الخليفة عليهم وعلى الأراضي الموات(البور) التي أحياها المسلمون= علي الشطشاط: دارسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص 112 .

[4] ابن القاضي: جذوة الاقتباس، 2 / 545 .

[5] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 616؛ ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،4/ 13.

[6] ابن أبي زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص 137؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، 2/ 545.

يوسف بن تاشفين، الذي لم يفرض سوى الضرائب الشرعية[1]، فجميع الضرائب المفروضة والمبتدعة وصفت باللاشرعية وأبطلت فيما عدا الزكاة التي حدّدت، فلا ينبغي للدولة أن تعيش شرعياً إلا من عائدات الجزية ومن الخراج على أهل الذمة وخمس[*]، غنيمة الحرب، فهذا الإصلاح الضريبي الذي صار دائماً أول فعل للسادة الجدد في كل مدينة يتم احتلالها، كان لها دعاية حسنة[2].

ومن المعروف أن الضريبة من مصادر بيت المال، وهي من الضرائب المفروضة على رؤوس أهل الكتاب[3]، إلا أنها بمعنى آخر وهي الجزية[4].

وقد أورد ابن أبي زرع نصاً عن أنواع الضرائب في عصر الأمير يوسف ابن تاشفين فقال " لم يوجد في بلد من بلاده، ولا عمل من أعماله على طول أيامه رسم ولا مكسي ولا معونة ولا خراج في بادية ولا في حاضرة إلا ما أمر الله تعالى، وأوجبه حكم الكتاب والسنة من الزكاة والأعشار وجزية أهل الذمة، وأخماس غنائم المشركين"[5].

ويبدو أن الضرائب والجزية التي فرضت على أهل الذمة كانت ثقيلة[6]، ففي عام464 هـ/ 1071م فرض على اليهود ضريبة بلغت مائة ألف دينار أو أكثر[7].

أما في عصر الأمير علي بن يوسف فقد كثرت الضرائب على الناس مع

---

[1] ابن الخطيب: كتاب أعمال الإعلام،3/ 234؛ الحبيب الجنحاني: السياسة المالية لدولة المرابطين، مجلة المؤرخ العربي، العدد3 (بغداد، 1968م) ص 15.

[*] الأخماس والغنائم: الخمس هو خمس غنائم الحرب، أما الغنيمة ما غنم من أموال المشركين من الأراضي = ياقوت الحموي: معجم البلدان، 42/1.

[2] عبدالله العروي: تاريخ المغرب، ص166، 167.

[3] الصالح، صبحي: النظم الإسلامية وتطورها، دون نشر(بيروت، 1980م) ص 263.

[4] الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دون نشر(بدون مدينة، 1960م) ص144.

[5] الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص 137؛ عنان، محمد عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس"عصر المرابطين والموحدين"، الهيئة المصرية للكتاب (القاهرة ، 2001م) 4/ 420.

[6] مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص25.

[7] ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 4/ 23.

ظهور دولة الموحدين، حيث اشتعلت الحروب في البلاد، وازدادت اللوازم على الرعايا بالمغرب والأندلس معاً، يضاف إلى ذلك أن النصارى عندما علموا بضعف الإمارة بالمغرب وانشغالها بحرب الكافرين بدأوا يوجهون الضربات لبلاد الأندلس[1].

كل هذه الأحداث استدعت فرض الضرائب الثقيلة على الأهالي[2]، على الرغم من تأكيد المرابطون على جمعها وفق الشريعة الإسلامية[3]، ومن ضمن الضرائب التي فرضت ضريبة سميت بالقبالة وهي تفرض على كل شيء يباع[4]، ومعناها أن يجعل الشخص قبيلاً، أي كفيلاً بتحصيل الخراج وأخذه لنفسه مقابل قدر معلوم يدفعه فيستفيد السلطان تعجيل المال، ويستفيد المتقبل الفرق بين ما دفعه وما حصله[5]، فهذه الضريبة فرضت على المزارعين، وقد حدَّد ابن عبدون طرق جبايتها وحدد بعض المقاييس المعقولة تجنباً لإرهاق الفلاحين[6]، أما داخل الأسواق فقد فرضت على جميع الصنائع والسلع[7]، وقد أشار الإدريسي إلى هذه الضريبة فقال: "كان أكثر الصنع بمدينة مراكش ففرضت عليهم القبالة في سوق الدخان والصابون والمغازل"[8].

ومنذ عصر الأمير علي بن يوسف فرضت القبالات على كل شيء يباع في المغرب والأندلس[9]، فكان "أكثر الصنع بمدينة مراكش متقبلة عليهم مال لازم"[10].

ورغم ثقل هذه الضريبة فقد شطط المتقبلون في جمعها وربما يرجع ذلك إلى

---

[1] ابن عذراي المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، القسم الموحدي، ص 16.

[2] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص 70 .

[3] حسين مؤنس: نصوص سياسية عن فترة الانتقال عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين، مكتبة الثقافة الدينية(القاهرة، 2000م) ص20.

[4] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص 70 .

[5] الريس، محمد ضياء: الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، دارالأنصار (القاهرة، 1977م) ص 261.

[6] رسالة في آداب الحسبة، ص 6، 7 .

[7] الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 541 .

[8] المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص 70.

[9] ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 4/ 23؛ ابن عبدون: رسالة في آداب الحسبة، ص 30.

[10] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص 70 .

عدم تخصيص راتب ثابت لهم[1]

كما فرضت ضريبة أخرى عرفت باسم "التعتيب"، وهي تفرض على العامة لإقامة الأسوار، حيث فرض الأمير على بن يوسف على أهل فاس أن يرمموا أسوار المدينة على نفقتهم، وذلك في عام 530هـ/ 1135م، وأن يدفعوا عشرين ألف دينار معونة للجيش[2]، كما عرفت في عصر المرابطين ضريبة أخرى وهي ضريبة المرور على الأنهار وتعرف بضريبة "المكري" فعندما أراد المهدي بن تومرت[*] وأصحابه المرور عبر نهر أم الربيع طلب منهم هذه الضريبة من أجل المرور[3].

أما عن الزكاة فقد اهتم بها المرابطون باعتبارها من أركان الإسلام الخمس ففرضت على كل مسلم، وكانوا يؤدون ما يفرضه الدين من الزكاة[4].

2- الدواوين[**] المالية:

لم تكن الدواوين المالية في المغرب إلا نتاجاً لتراث بلاد الأندلس، حيث اتخذها المرابطون أساساً في دولتهم فحرص ولاة الأمر منهم على تنظيم الشؤون المالية[5]، فقد قام الأمير يوسف بن تاشفين ببناء قصبة صغيرة لخزن الأموال

---

[1] ابن عبدون: رسالة في آداب الحسبة، ص5، 6 .

[2] ابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، ص250.

[*] أبو عبدالله بن عبدالله بن تومرت: صاحب دعوة عبد المؤمن بن علي بالمغرب، ينتسب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وهو من جبل السوس في أقصى بلاد المغرب و نشاء هناك ثم رحل إلى المشرق طالبا للعلم، وتعلم الحديث وأصول الفقه والدين = ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،5/ 45، 46 .

[3] البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص26.

[4] حسن محمود: قيام دولة المرابطين، ص 403.

[**] الدواوين: يقال أن أصل هذه التسمية فارسي، وهي تعني السجل أو الدفتر، وأطلق اسم الديوان من باب المجاز على المكان الذي يحفظ فيه الديوان، وتعتبر من الوظائف الضرورية للملك، وهي القيام على أعمال الجبايات وحفظ حقوق الدولة وإحصاء العساكر وتقدير أرزاقهم ولم يكن على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعهد أبي بكر الصديق ديوان لإحصاء الأموال وضبط العطاء، فلما كان عصر عمر بن الخطاب كثر المال، واتسعت البلاد، وكثر الناس، فدونت الدواوين لوجود الحاجة ماسة إليها = ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون،1/ 302؛ علي الشطشاط: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص81، 82 .

[5] السامرائي: عبد الحميد حسين: تاريخ حضارة المغرب والأندلس في عهد المرابطين والموحدين، دار شموع الثقافة (الزاوية،2002م) ص 303.

والسلاح[1]، وأشار إلى هذه الدواوين ابن عذاري بقوله:"فدوَّن يوسف عام464هـ /1071م الدواوين ورتّب الأجناد وأطاعته البلاد"[2]، وأهم هذه الدواوين، هي:

أ. ديوان مراقبة الدخل والخرج :

وهو ينظم ويشرف على الدواوين المالية ويراقب حساباتها ويشرف على وضعية أعمالها، ويطلق على صاحب هذا الديوان "صاحب الأعمال" وهو يأتي بعد رتبة الوزير في الأهمية[3].

ب. ديوان الإشراف:

وهو ديوان الرقابة العامة، ويحل هذا الديوان محل ديوان مراقبة الدخل والخرج، حيث يشرف على الأمور المالية، وله مراكز في مختلف مدن المغرب والأندلس ومركزه في العاصمة[4]، ويسمي المشتغلون بهذا الديوان "بالكُتَّاب" وفي إمارة الأمير علي بن يوسف شغل الروم هذه الوظيفة، كما اشتغلوا في جباية الأموال، فكان بذلك أول من استخدم الروم في هذه الوظيفة[5]، وكان هؤلاء المشتغلون يقومون بتدوين النواحي المالية المختلفة والعمال الذين يقومون بجبايتها[6]، ويعتمد هذه الديوان على بعض الأعوان الذين يديرون العمل فيه وهم:

. صاحب الأشغال: (مسؤول الشؤون المالية):

استعمل اصطلاح صاحب الأشغال في المغرب، وكان لا يرأسها إلا المقتدر الكفء، وهو بمثابة وزير وكان لا يحمل اسم وزير، وهو في الحقيقة يضطلع بعبء المال، وكان ذو نفوذ واسع، وهو يقوم باستخراج الأموال وجمعها وضبطها وكذلك

---

[1] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص138؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس،2/ 546؛ ابن خلدون: العبر و ديوان المبتداء والخبر، 245/6؛ نقولا زيادة : مدن عربية، منشورات دار الطليعة (بيروت،1965م) ص9.

[2] البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 23/4.

[3] عبد الحميد السامرائي: تاريخ حضارة المغرب والأندلس، ص 304.

[4] المرجع نفسه، ص573.

[5] مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص 84، 85.

[6] حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص186.

مراقبة العمال والولاة، وكان أبو عبد الله بن عائشة من المشتغلين بهذا المنصب إذ كان كاتباً للأمير علي بن يوسف الذي قدمه على حسابات المغرب[1].

. **صاحب ديوان الأعمال المخزنية:** وهو الذي يراقب إيرادات الدولة ويراقب العمل والمشرفين ويشرف على الدخل والمنصرف[2].

. **متولي المجابي:** وهو الذي يقوم بأعمال الجباية وعدد هؤلاء المشتغلين بهذه الوظيفة يتحدد بما يقتضيه الحال[3].

. **المتقبل:** عندما فرضت ضريبة القبالة[4]، كان لا بد لها من شخص يقوم بجمعها وأطلق عليه اسم المتقبل، فهو الذي يتعامل مع التجار ويحدد مقدار الضرائب المفروضة على بضائعهم ويكون تحت مراقبة القاضي[5].

3 . الغنائم:

بعد انتهاء المعركة كان الأمير المرابطي هو القائم والمشرف على توزيع الغنائم على الجند بعد أخذ الخمس منها[6]، حيث كانت الغنائم من المصادر المهمة لبيت مال المرابطين[7]، ففي بداية دولتهم، وحينما أحرزوا النصر على أمراء سجلماسة واستولى الفقيه عبد الله بن ياسين على دوابهم وأسلحتهم وأموالهم مع الإبل التي كان غنمها من درعة، قام بإخراج الخمس من ذلك كله وفرّقه على فقهاء سجلماسة ودرعة وصلحائها بعد أن دخلوا في طاعته فهم الذين استنجدوا به في بداية الأمر، وقسَّم الأربعة أخماس على المرابطين[8]، وذلك كان في عام 440هـ/

---

(1) ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب، 2/ 314، عبد الحميد السامرائي: تاريخ حضارة المغرب والأندلس، ص306،307.

(2) حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 187.

(3) عبد الحميد السامرائي: تاريخ حضارة المغرب والأندلس، ص312.

(4) الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص70.

(5) ابن عبدون: رسالة في آداب الحسبة، ص30.

(6) ابن عذاري المراكشي : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 13/4.

(7) كمال أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص371.

(8) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص128؛ السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، 13/2.

1045م [1].

ومن الغنائم أيضا ما غنمه المرابطون في الأندلس عندما حققوا النصر على عظيم الجلالقة أذفونش بن فرذلند في معركة الزلاقة عام 479هـ/1086م، حيث كانت غنائمهم وفيرة[2]، وكذلك عندما قضى الأمير يوسف بن تاشفين على ملوك الطوائف استحوذ المرابطون على أموال ومغانم كثيرة[3]، وغنم المرابطون الأعلاف والحلي والجواهر وأحجار الياقوت وقصب الزمرد وآنية الذهب والفضة والأنماط والكلل والستائر وأوطئة الديباج عندما استولى الأمير يوسف بن تاشفين على مدينة غرناطة في الأندلس[4]، كل ذلك كان من ضمن الغنائم التي كانت توزع على المرابطين، وبذلك كان للغنائم إسهام كبير في تحسين المستوى المعيشِ للمقاتلين[5].

4- النفقات:

- نفقات الجيش:

كانت القيادة العليا لجيش المرابطين بيد أمير المسلمين، أما فرق الجيش المختلفة كان يتولى قيادتها قواد من الأسر الحاكمة كي يضمن أمير المسلمين ولاءهم وإخلاصهم له[6]، فالنفقات العسكرية سواء على الجيش أو الأسطول كانت تمثل الجزء الأكبر من أوجه الإنفاق في العصر المرابطي[7].

وبطبيعة الحال أنفق المرابطون الأموال الطائلة على شراء الأسلحة والمعدات اللازمة للجيش والأسطول؛ وذلك ما فعله الأمير يوسف بن تاشفين عندما بعث إلى الأندلس بأموال كثيرة اشترى بها ما يلزمه من أنواع الأسلحة فاستكثر من شراء

---

[1] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 168؛ ابن عذاري المراكشي: البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 13/4.

[2] الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 288، 289، 290، 291.

[3] حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 204.

[4] ابن بلقين، عبد الله: مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيري بغرناطة المسماة بكتاب التبيان، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف (القاهرة، 2008م) ص132.

[5]عبد الحميد السامرائي: تاريخ حضارة المغرب والأندلس، ص 313.

[6] حسن محمود: قيام دولة المرابطين، ص 384.

[7] كمال أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص275.

الأسلحة ليدعم بها قواته[1]، كما استلزم تأمين السواحل المغربية والأندلسية من خطر الفرنجة والنصارى الأسبان والقراصنة الكثير من النفقات لبناء السفن والأساطيل الحربية، وتجهيزها بكل ما يلزمها من العدد والآلات[2]، وفي الوقت نفسه إقامة جسر بين المغرب والأندلس، ومن هنا صار للأسطول المرابطي شأن كبير مما استلزم معه كثير من النفقات من تشييد السفن وتجهيزها[3].

. نفقات الجند:

يشمل الجيش المرابطي الجند غير النظاميين، وهؤلاء لم يكن لهم رواتب ثابتة تصرف من ديوان الجيش بل اتبعوا ما يصرف باسم الإقطاع العسكري، فقد كان لكل جندي أرضه التي يزرعها[4]، أما بالنسبة للجند النظاميين، فخصص لهم مبلغ من المال عطاء لهم وربما وصل راتب الجندي على ما يزيد عن خمسة دنانير في الشهر[5].

والمرجح أن عطاء الجند كان يخرج بانتظام كل شهر خلال عصر الأمير يوسف بن تاشفين لاستقرار الدولة على أيامه، ولم تكن عطاءات المقاتلين متساوية، فقد كانوا يختلفون حسب مراتبهم ومناطقهم لأن الأمير يوسف تاشفين أوصى على عطاء الجند بقدر منازلهم وإعطائهم بمقدار مراتبهم[6]، وكان هذا العطاء في بعض الأحيان خاضعاً للإيقاف كما حدث في عصر الأمير علي بن يوسف عندما منع دفع العطاء في الحروب لأجناده حتى رجع أكثرهم يجرون دوابهم[7]، وكان ذلك وقت ظهور الدولة الموحدية التي أربكت الدولة حتى تطلب الأمر إيقاف توزيع العطاء فكان لذلك أثره السيىء على الجند، فمن المعروف أن لتوفير الأعطية للجند أثراً قوياً

---

[1] مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص37.

[2] أبو الفضل، محمد أحمد: تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب (الإسكندرية، 1981م) ص49.

[3] حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 210.

[4] حمدي حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب الأندلس، ص302.

[5] مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص59.

[6] المصدر نفسه، ص26.

[7] ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 102/4.

في رفع همم الجند وشحذ الرغبة في الجهاد[1].

. نفقات البناء:

اهتم المرابطون بالبناء في جميع أنحاء الدولة وأنفقوا الكثير من الأموال على مبانيهم المتعددة، فالأمير يوسف بن تاشفين عندما أراد بناء مدينة مراكش عام 454هـ/ 1062م اشترى أرضها بجملة من الأموال[2] "قيل أنها بلغت السبعين ألف درهم"[3] وفي عام 520هـ/ 1126م قام الأمير علي بن يوسف ببناء سور[*] حول مدينة مراكش بمشورة الفقيه الوليد بن رشد[**] انفق على هذا السور نحو سبعين ألف دينار[4]، وعندما ضاق جامع القرويين في- مدينة فاس- بالمصلين مما جعلهم يؤدون الصلاة في الأسواق، والشوارع المحيطة بالجامع قام الأمير علي بن يوسف بشراء الأملاك التي كانت بقبلة الجامع بالأموال التي جمعت، وكانت حوالي ما يزيد عن ثمانين ألف دينار، وقد اكتمل البناء عام 528هـ/ 1134م[5]، وجملة ما أنفق على هذه الزيادة نحو الستين ألف دينار[6]، أما منبر الجامع فقد انفق عليه عند صناعته "ثلاثة ألاف دينار وثمانمائة دينار وسبعة أعشارا دينار فضة"[7]، أما بناؤه

---

[1] عبد الحميد السامرائي: تاريخ حضارة المغرب والأندلس، ص216.

[2] ابن القاضي: جذوة الاقتباس، 2/ 546؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، 7/ 124.

[3] ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، 1/ 446 .

[*] كانت مراكش بدون سور وقد شرع الأمير علي بن يوسف في بنائه بإشارة من الفقيه أبي الوليد بن رشد الذي استقدمه من قرطبة لعقد البيعة لابنه تاشفين فقال له الفقيه لا يحل لك سكنى هذه المدينة دون سور؛ ينظر= مجهول: تاريخ البربر المعروف بمفاخر البربر، ص 58.

[**] ابن رشد: هو محمد بن أحمد بن أحمد قاضي الجماعة بقرطبة كان فقيهاً، عالماً حافظاً للفقه توفى عام (520هـ/ 1126م) = ينظر ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك، كتاب الصلة، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة، 2008م) 2/ 576.

[4] ابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، ص 151؛ السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، 25/2.

[5] ابن القاضي: جذوة الاقتباس، 1/ 68، 69؛ الجزنائي: زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ص57.

[6] مجهول: تاريخ البربر المعروف بمفاخر البربر، ص 58؛ السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ،2/ 25 .

[7] الجزنائي: زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ص42.

لمنبر مسجد الكتبية بمراكش[1] وقنطرة تانسيفت[2] لم تشر المصادر إلى قيمة الإنفاق عليها.

- نفقات متنوعة:

يضاف إلى نفقات الجيش والجند والبناء نفقات أخرى، منها ما قام به الأمير يوسف بن تاشفين عندما قضى على حكم دول الطوائف بالأندلس، حيث أرسل أمراءها إلى المغرب الأقصى وجعلهم تحت رعايته، وبدأ ينفق عليهم الأنعام والأموال[3]، ويروي ابن خلكان قصة للأمير يوسف بن تاشفين ملخصها أنه أعطى مبلغاً لرجل ليتاجر به وبلغ هذا المبلغ ألف دينار[4]، كما كان الأمير علي بن يوسف محباً للفقهاء والعلماء وكان يغدق "عليهم الأرزاق من بيت المال " [5].

5- السكة:

تعتبر السكة الواجهة الحقيقية لأي نظام اقتصادي، إذ تتوقف قيمة هذه السكة، وقوتها الشرائية على مدى الاستقرار الاقتصادي للدولة[6]، وتعد السكة أو العملة من أهم مظاهر هيمنة الدولة على الأسواق والتجارة بصفة عامة، لذلك عمل المرابطون منذ قيام دولتهم على ضرب العملات ليسري بها التعامل في أرجاء دولتهم[7]، وقد اتخذ المرابطون عملة نقدية من الذهب والفضة، تعامل بها السكان في أنحاء الدولة، وأنشئت لذلك الدور لسك النقود وانتشرت هذه الدور بمراكش، وهي التي بناها الأمير يوسف بن تاشفين عام 454هـ/ 1062م[8]، وقد كانت دور العملة

---

[1] جوميث، مورينو: الفن الإسلامي في أسبانيا، ترجمة لطفي عبد البديع وآخر، دون نشر (القاهرة، 1968م) ص 349، 350 .

[2] ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار،1/ 62.

[3] ابن بلقين: مذكرات الأمير عبد الله ، ص161، 171 .

[4] ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 125/7؛ الصفدي: كتاب الوافي بالوفيات، 29/ 77.

[5] ابن القاضي: جذوة الاقتباس، 2/ 545.

[6] الحريري، محمد عيسى: تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم (الكويت، 1985م) ص 297.

[7] جمال طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، ص 227.

[8] ابن عذاري المراكشي: البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 4/ 22.

الذهبية في مراكش وسجلماسة وأغمات وسبته ونول لمطة وسلا، أما الدور التي ضربت فيها العملة أو السكة الفضية فكانت في مدينة مكناسة وسبته وطنجة وسلا وسجلماسة وفاس[1]، وكان صدور أول عملة لدولة المرابطين باسم الأمير أبي بكر ابن عمر عام 464هـ/ 1071م أصدرها الأمير يوسف بن تاشفين فكان ذلك أول دينار من الذهب لدولة المرابطين[2]، وضرب هذا الدينار بدار السكة بسجلماسة[3] وعندما آلت أمور البلاد للأمير يوسف بن تاشفين أصدر السكة باسمه في عام 473هـ/1086م[4]، وبذلك كانت هذه العملة الرئيسة لدولة المرابطين وأصبح الدينار الذهبي عماد الاقتصاد في الدولة، وظلت هذه العملة مستخدمة لعدة قرون حتى سقوط دولة المرابطين[5]، وقد حمل الدينار المرابطي كتابات منها أسماء أمراء دولة المرابطين ولَقَبُ الخليفة العباسي وآيات قرآنية[6]، حيث حملت العملة المرابطية شهادة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ثم لَقَبَ الأمير مثل الأمير(يوسف بن تاشفين) ونقش في الدائرة قول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[7].

أما الوجه الثاني للعملة فقد نقش عليه اسم الخليفة العباسي (الإمام عبد الله العباسي أمير المؤمنين) وفي الدائرة (البسملة وموضع السك وتاريخ ضرب

---

[1] علوي، حسن حافظي: جوانب من تاريخ المرابطين من خلال النقود، مجلة المناهل، العدد56 (الرباط، 1997م) ص 367.

[2] ابن عذاري المراكشي : البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 21/4، 22.

[3] سليمان، أحمد السعيد: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، دون نشر (القاهرة، 1969م) ص50.

[4] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص137، 138.

[5] لويس، أرشيبالد: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، 1960م) ص 387.

[6] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص137، 138؛ ابن أبي دينار: كتاب المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس، ص105.

[7] سورة آل عمران، الآية 84.

العملة)[1]، أما الدرهم المرابطي فقد سك من الفضة وهو نادراً ما يحمل موضع سكه وتاريخ الضرب[2].

وقد اهتم المرابطون بدور السك، واختاروا أصحابها من المعروفين بالأمانة إذ يجب أن يكون صاحبها"عالماً أميناً وله بالصناعة علم ومعرفة" فكان الناظر هو المسؤول وله السلطة العليا على الموظفين في دار السكة[3]، ومعه أيضاً صاحب الأشغال الذي يجب أن تكون لديه دراية بأنواع النقود[4]، إضافة إلى الفتاح وهو الرجل الذي يصنع الرسم الذي ستسك عليه العملة ويكتب نصها عليها[5]، وتضم دار السكة أيضاً السكاكين الذين يقومون بعملية سك النقود[6]، كما ضمت الشهود الذين يقومون بالشهادة خوفاً من وقوع المناكر بين الدافع والصانع[7]، وأخيراً حارس دار السكة حيث جعل لدار السكة حارسان أحدهما يتولى الحراسة ليلاً والآخر يتولاها نهاراً، وكان يجب أن يكون العاملون بدار السكة ذوي خبرة بسك النقود، كما يجب أن يكونوا ذوي خدمة ومهارة ومعرفة وتجربة لدقة العمل وخطورته، لأن السكاك إذا أخطأ في تشجير الذهب وأنزله من فرن الطبخ وهو ناقص العيار جاء عليه في إعادته خسارة ونقص، وإن غفل وتناهى في التشجير فوق حده كان فيه النقص الكثير، وكذلك الفضة[8].

ومن كل هذا يتضح مدى اهتمام المرابطون بسك العملة، فهي تعد من أهم مظاهر هيمنة الدولة على الأسواق والتجارة بصفة عامة، لذلك عمل المرابطون

---

[1] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص 137،138؛ ابن عذاري المراكشي: البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 4/ 22، 23، 24، 25، 26؛ الزركلي، خير الدين: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء والعرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين (بيروت، 2002م) 8/ 222.

[2] حسن علوي: جوانب من تاريخ المرابطين، ص362، 363.

[3] الحكيم، أبو الحسن علي بن يوسف: الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تحقيق حسين مؤنس، منشورات معهد الدراسات الإسلامية (مدريد، 1960م) ص50، 52، 53.

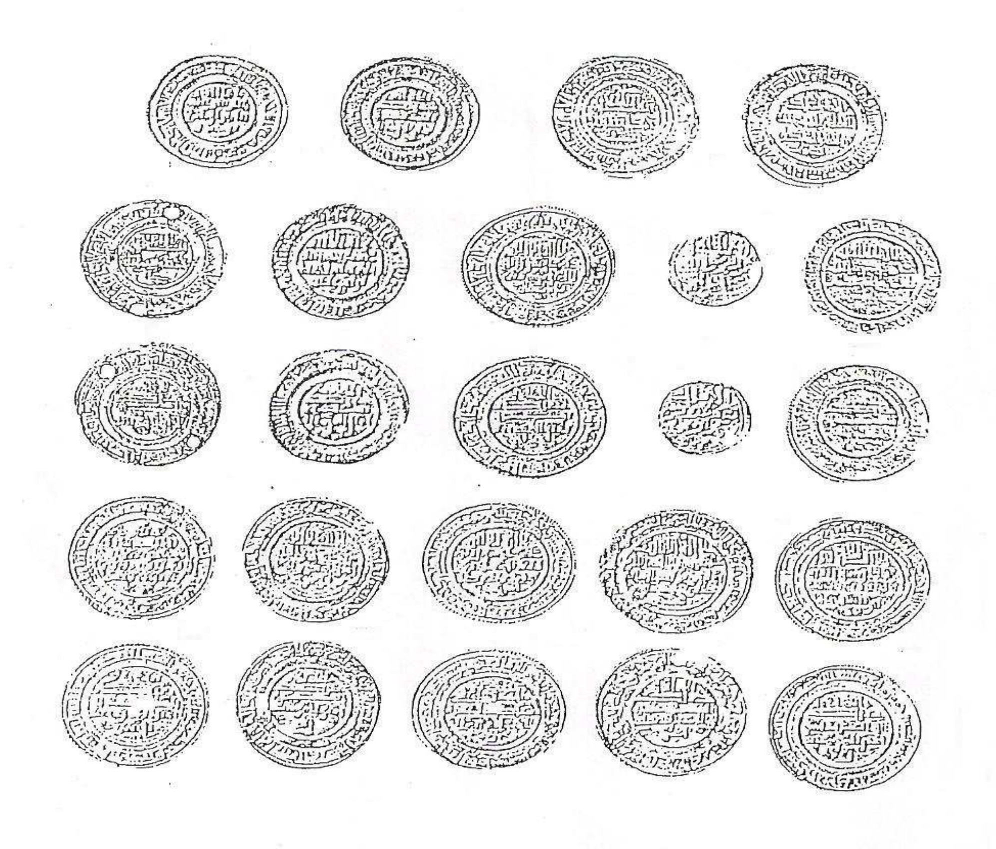
[4] المصدر نفسه، ص79.

[5] المصدر نفسه، ص55.

[6] المصدر نفسه، ص36.

[7] المصدر نفسه، ص53.

[8] المصدر نفسه، ص34؛ عصمت دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص237.

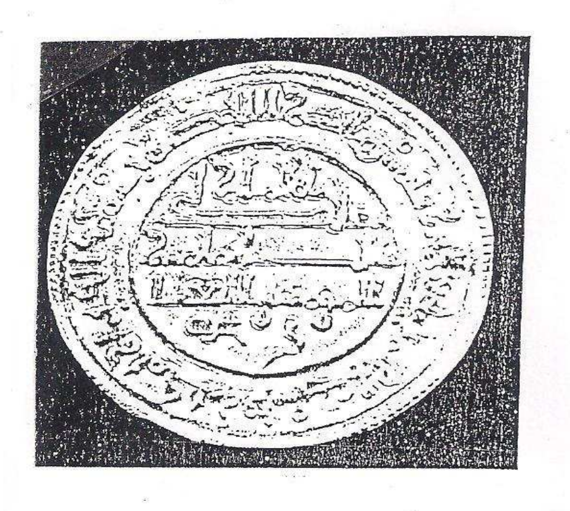


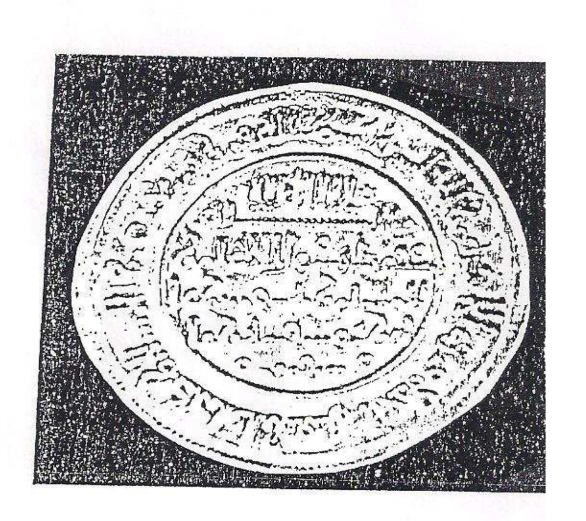
بعض العملات المرابطية المضروبة في مدينة فاس

540/500هـ - 1145/1106م[1]

---

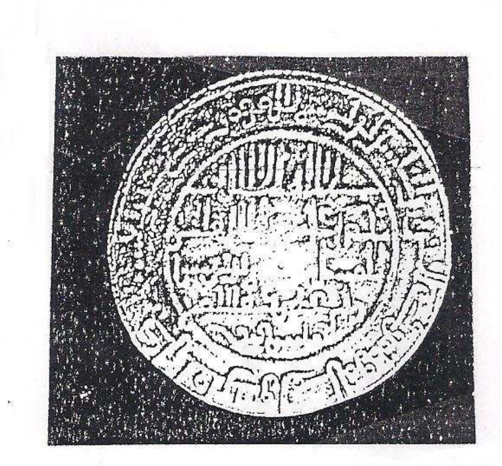
[1] جمال طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، ص229.





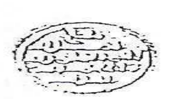
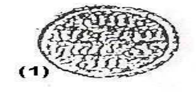
- دينار ذهبي ضرب بفاس عام 528هـ/1133م للأمير علي بن يوسف[1]

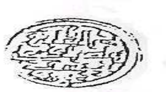
[1] عفيفي، باسم صلاح: المسكوكات الإسلامية، شركة الخليج العربي للنفط (بنغازي، 1996م) ص 108.




- دينار ضرب بفاس عام 534هـ/ 1139م للأمير علي بن يوسف[1]

[1] باسم عفيفي: المسكوكات الإسلامية، ص110.



(1)



(2)

- قيراط فضة للأمير علي بن يوسف : يحمل (لا إله إلا الله محمد رسول الله/ علي أمير المسلمين/ الأمير سير)[1]

- قيراط فضة للأمير تاشفين بن علي: يحمل (لا اله إلا الله محمد رسول الله/ الأمير تاشفين/ أمير المسلمين وناصر الدين علي بن يوسف)[2]

---

[1] باسم عفيفي: المسكوكات الإسلامية، ص 109.

[2] المرجع نفسه والصفحة.

منذ قيام دولتهم على ضرب العملات ليسري بها التعامل في أرجاء دولتهم، لأن العملة تبين مدى التقدم الذي ينعم به الشعب، ومدى رواج التجارة أو تدهورها[1].

6- المكاييل والموازين:

إن استعمالنا للمكاييل والموازين في حياتنا هو اقتصاد تطبيقي عملي لمعرفة العمليات المتداخلة بين الموازين وتحدد وزنه ثم تقدير المبلغ المالي لقيمته، ولهذا فإن عملية الوزن والكيل هي أداة تحليلية اقتصادية[2].

ومن الطبيعي أن يظهر في المغرب الأقصى في عصر المرابطين أو غيره أنواع عديدة من المكاييل منها الأوقية[*] والقنطار[**] والرطل[***] والدرهم[****]، وهذه من أدوات الوزن[3].

أما عن الأدوات التي تستعمل في الكيل منها [*****]المد والأوقية[4] والمثقال[5]

---

[1] جمال طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، ص227 .

[2] الحليسي، نواف بن صالح: النهج الاقتصادي في المكاييل والموازين لنبي الله شعيب عليه السلام، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع(بيروت،1991م) ص34.

[*] الأوقية: وهي من أشهر الموازين التي كانت سائدة في الجزيرة العربية ومقدارها على إجماع العلماء أربعين درهما مثلاً مقدار الأثيني عشر أوقية ونصف خمسمائة درهما= علي جمعة: المكاييل والأوزان الشرعية، ص20.

[**] القنطار: اسم لمعيار، كما هو الرطل والربع، ويقال لما بلغ ذلك الوزن هذا القنطار أي يعادل القنطار، وقيل القنطار العقدة الكبيرة من المال، ومقداره ألف ومائتان أوقية= علي جمعة: المكاييل والأوزان الشرعية، ص 24.

[***] الرطل: معيار يوزن به، وهو مكيال أيضاً، ومقداره عند الجمهور يساوي128درهم وأربعة أسباع= علي جمعة: المكاييل والأوزان الشرعية ، 29.

[****] الدرهم: في اللغة اسم لما ضرب من الفضة وهو وحدة نقدية من مسكوكات الفضة معلومة الوزن وأصل الدرهم كلمة أعجمية عربت عن اليونانية، وهي كلمة دراخما، ومقدارها عند الحنفية 125, 3، وعند الجمهور 975 ,2= علي جمعة: المكاييل والأوزان الشرعية، ص 19.

[3] جمال طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، ص 234.

[*****] المد: هو رطلان أو رطل وثلث أو ملئ كفي الإنسان المعتدل أذا ملأهما ومد يده بهما، و به سمى مداً = محمد، ضياء الدين: الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، دار المعارف (القاهرة، 1969م) ص329.

[4] ابن عذاري المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، 38/4.

[5] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص167.

[*]والقفيز[1]، وهذا إن دل على شيىء فإنما يدل على تعدد المكاييل والموازين في هذا العصر، فالبكري يشير إلى هذه الوحدات قائلاً: "كان المد خمسة وعشرين مداً بمد النبي ﷺ، ورطلهم مثل رطل نكور اثنان وعشرون أوقية والأوقية خمسة عشر درهماً، وقنطارهم من جميع الأشياء بهذا الرطل والدرهم بها عدة قراريط كل قيراط خمسة أثمان درهم"[2]، وقد خصصت هذه الوحدات لقياس المأكولات فمثلاً خصصت الأوقية للزيت والعسل واللبن والزبيب[3]، والقنطار خصص للزيت وأيضاً للحم فقنطار الزيت عند أهل المغرب الأقصى قنطاران واللحم خمسة أرطال[4]، وكذلك القفيز الذي كان عدداً أقداحة أربعون قدحاً فقد خصص لكيل القمح[5].

وهذا التعدد في المكاييل والموازيين أدى إلى انتشار الغش في الكيل والوزن وحرصاً على تلافي التلاعب في أدوات القياس فقد أشار ابن عبدون إلى أن المكاييل يجب أن تكون أجنابها مرتفعة أزيد من شبر، فإن القصير الجنب يقدر فيه على السرقة والخديعة[6]، ونبه على أن تصنع كفات الموازين من الحديد أو النحاس لأنها أسلم من الزيادة والنقصان[7] .

ومن كل هذا يتبين أن الاستقرار السياسي الذي شهدته البلاد في عصر المرابطين كان له أثره في تنشيط الحياة الاقتصادية مما لا يدع مجالا للشك من أن هذا العصر كان عصر إزدهار في الاقتصاديات المغربية، فالرخاء عم المدن المغربية و لاسيما مدينة مراكش وأغمات وغيرها .

---

[*] القفيز: من المكاييل التي تفاوت الناس في تقديرها؛ لاختلاف الاصطلاح فيها، وهو يقدر عند المالكية بثمان وأربعون صاعاً، وعند الشافعية اثني عشرة صاعاً= جمعة علي: المكاييل والأوزان الشرعية، ص 39.

[1] السقطي: رسالة في آداب الحسبة، ص28، 29.

[2] المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص89.

[3] المصدر نفسه، ص117 .

[4] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص69.

[5] السقطي: رسالة في آداب الحسبة، ص28، 29.

[6] رسالة في آداب الحسبة، ص 37، 39.

[7] ابن عبد الرؤوف، أحمد: رسالة في آداب الحسبة والمحتسب، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، نشرها ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي (القاهرة، 1955م) ص106.

الفصل الرابع
مظاهر الحياة الاجتماعية

أولاً: الأسرة.

ثانياً: المجالس.

ثالثاً:الاحتفالات.

رابعاً: وسائل التسلية.

خامساً: الطعام والشراب.

سادساً: الملابس.

الأسرة هي نواة المجتمع ومن مجموع الأسرة تتكون القبائل التي يصبح لها رؤساء أو شيوخ يتولون أمر الرعية، وتكون بذلك القبائل التي كانت غالباً ما تسعى من أجل بناء الدولة، وهذا النهج هو الذي سار عليه الفقيه عبد الله بن ياسين عندما قام بدعوة بعض القبائل لشد أزره أو من أجل إقامة دولة إسلامية حيث مر الفقيه عبد الله بن ياسين في بداية دعوته ببعض القبائل وتحاور مع شيوخها[1]، وهو ما فعله الأمير يوسف بن تاشفين أيضاً عندما وحد المغرب الأقصى، فقد أرسل إلى شيوخ القبائل من زناتة والمصامدة وغمارة وسائر قبائل المغاربة فقدموا إليه لمبايعته والوقوف معه، فكان لهذه القبائل دور كبير في بناء الدولة[2].

أولا: الأسرة:

للأسرة دور كبير في بناء المجتمع والدولة، ومهما كان الأمر فإن الأسرة عادة ما تتكون من الزوج والزوجة وأبنائهما، وطبقاً للشريعة الإسلامية يجوز للرجل أن يتزوج بأكثر من امرأة واحدة، على أن لا يتجاوز العدد أربع زوجات، وكل هذا كان متبع عند قدوم المرابطين للمغرب الأقصى، أما في الآونة التي سبقت مجيء المرابطين للمغرب الأقصى كان بعض الرؤساء من قبيلة جدالة ولمتونة يتزوجون بأكثر من العدد الشرعي[3]، حيث كانوا" يتزوجون بأكثر من أربع حرائر" وذلك لوجود بعض الديانات التي تبيح أن يتزوج الرجل من النساء ما شاء، وقد تبلغ الزوجات أربع وأربعين أحياناً[4]، وعندما لاحظ الفقيه عبد الله بن ياسين ذلك أرشد الأهالي إلى أحكام الدين[5]، وبين لهم أن "هذا ليس من السنة وإنما سنة الإسلام أن يجمع الرجل بين أربع نسوة حرائر وله سعة فيما شاء من ملك اليمين"[6].

وسادت في العصر المرابطي بعض الأعراف المرتبطة بالزواج كالزواج من

---

(1) ابن عذاري المراكشي: البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 10/4.

(2) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص142.

(3) حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص406.

(4) السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، 7/2.

(5) ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، 431/1.

(6) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص 124؛ السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، 7/2.

الأقارب[1]، مثل زواج ابن العم من ابنة عمه، فأم الأمير يوسف بن تاشفين فاطمة بنت سير تزوجت من ابن عمها[2]، وكذلك تزوج أبو بكر يحيى بن أبي يحيى بن تاشفين من ابنة عمه أخت الأمير علي بن يوسف المعروفة باسم فُنّو[3] وتزوج والي فاس يحيى بن علي المعروف بابن الصحراوي من امرأة من قومه[4].

غير أن الأمير يوسف بن تاشفين تخطى هذه القاعدة ولم يلتزم بها فقد تزوج من زينب النفزاوية وهي لا تمت له بصلة قرابة وقد عقد الأمير يوسف بن تاشفين عليها القران عام 463هـ/ 1071م[5]، وكانت زينب قبل الزواج من الأمير يوسف بن تاشفين زوجاً للأمير أبي بكر بن عمر قبل ذهابه إلى الصحراء، حيث طلّقها أبو بكر، وقال عند فراقه لها: "يا زينب إني ذاهب إلى الصحراء وأنت امرأة جميلة بضة لا طاقة لها على حرارتها وإني مطلقك، فإذا انقضت عدتك فانكحي ابن عمي يوسف بن تاشفين فهو خليفتي على بلاد المغرب"[6].

هكذا أصبحت زينب النفزاوية زوجاً للأمير يوسف بن تاشفين (بعلها الرابع[*] والأخير) وقد تمكّنت أخيراً من أن تحرز ما كانت تتمناه من المجد، حيث كانت تقول لا يتزوجني إلا من يحكم المغرب كله[7].

ولم تكن السيدة زينب النفزاوية وحدها زوجة الأمير يوسف بن تاشفين، ذلك أنه تزوج من امرأة رومية أنجب منها ابنه علي[8]، كما تزوج الأمير علي بن يوسف

---

[1] الونشريسي: المعيار المغرب والجامع المغرب، 161/3، 162، 347.

[2] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص 136.

[3] ابن الأبار: كتاب الحلة السيراء، دار المعارف (القاهرة، 1985م) 212/2؛ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 413/1.

[4] ابن الأبار: كتاب الحلة السيراء، 236/2.

[5] ابن عذاري المراكشي: البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 20/4، 22.

[6] السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، 21/2.

[*] كانت زينب قبل الأمير يوسف زوجاً ليوسف بن علي بن وطاس شيخ وريكة، ولما تغلب بنو يفرن على وريكة وملكوا أغمات تزوج لقوط بن يرسف المغري أمير مدينة أغمات من زينب، وعندما استولى المرابطون على أغمات تزوجها بعده أبو بكر بن عمر = ابن خلدون، العبر وديوان المبتداء والخبر، 244/6.

[7] محمد زنيبر: المغرب في العصر الوسيط، ص84، 85.

[8] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص157.

امرأة رومية أيضاً وأنجب منها ابنه تاشفين آخر الأمراء المرابطين[1].

وبهذا الزواج يلاحظ أن الأمراء المرابطين قد تجاوزوا التقاليد القائمة على الزواج من أفراد القبائل وأبناء العمومة، إلى ما هو أبعد منه.

وكان للزواج شروط من الواجب توفرها في الزوج أو الزوجة مثلاً أن تكون المرأة غنية وهذا سبب يتيح الزواج من المرأة المطلقة الغنية كزواج الأمير يوسف ابن تاشفين من السيدة زينب النفزاوية، حيث إنها تزوجت ثلاث مرات قبل الأمير يوسف ابن تاشفين وقد كانت امرأة غنية[2]، ويبدو أيضاً أن الجمال من ضمن الشروط لاختيار الزوجة فبعض الرجال لا يقترن بأي امرأة، فكانوا يبحثون عن جمال المرأة ويجعلونه شرطاً أساسياً، حيث تذكر بعض المصادر أن الفقيه عبد الله بن ياسين، كان لا يسمع بامرأة حسناء إلا وخطبها"[3]، ولكن لا يمكن الأخذ بمثل هذه الرواية فهذا لايتفق مع الدين الإسلامي، ولا مع ورع وزهد الفقيه عبدالله بن ياسين لاسيما انه عندما جاء إلى المغرب الأقصى ارشد الناس ووعضهم كثيرا في أمور الدين، ومن ثم كيف له أن يفعل ذلك وهو مشغول بالجهاد وتطهيرها مما حل بها من البدع .

ومن ضمن الشروط أيضاً شرط آخر يتعلق بالفتاة المغربية وهو حريتها في اختيار من يتقدم لخطبتها وإذا وافقت الفتاة يتم الاتفاق على ما يتعلق بأمور الزواج من العقد والهدية وغير ذلك[4].

وتتضح من نوازل النكاح التي أوردها الونشريسي في كتابه، العديد من الحقائق والإشارات المتعلقة بالزواج والحياة الأسرية في المجتمع المغربي، حيث تقوم الخاطبة بدور مهم في عقد الزيجات وتتولى التمهيد بين أهل العروسين، ثم يذهب أهل الزوج إلى منزل العروس للتحدث مع أهلها والاتفاق معهم على كل ما يتعلق

---

[1] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص165.

[2] ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 22/4.

[3] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص169؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص132؛ ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 16/4.

[4] الونشريسي: المعيار المغرب والجامع المغرب، 247/3.

بالزواج من صداق[*] وهدايا وما إلى ذلك[1].

ولا يختلف صداق الزوجة عن الوضع السائد في عصرنا الآن مثل الصداق المعجل ويسمى بالنقد وأيضاً الصداق المؤجل أي المؤخر[2]، ومن الملاحظ أن الآباء كانوا يغالون في شروطهم فيطلب مع صداق ابنته بعض الهدايا مثل الكبش والثور[3]، كما يلاحظ أن الصداق المعجل الذي يدفع بدنانير قبل الزفاف لا تقبضه الزوجة أو وليها كله نقداً، وإنما يقوم الزوج بشراء كسوة وحلي ذهب ويخبرهم بقيمتها، ويحسب ذلك من الصداق النقد المعجل المفروض أن يدفع قبل الزفاف[4].

ويأتي ضمن كتب النوازل بعض المعلومات حول بعض العادات المغربية المتعلقة بالزواج، منها: أن يتفق والد الزوجة مع الزوج على أن يكتب في عقد الزواج صداقاً قدره مائتي دينار، ثم يرد والد الزوجة للعريس بعد ذلك مائة وخمسين ديناراً بمعنى أن الصداق الحقيقي الذي دفع لا يعدو خمسين ديناراً، والواضح أن المقصود من ذلك التفاخر والسمعة، أما في بعض القرى فإنهم لا يسمون صداقاهم ولا يشهدون عليها وقت العقد لكن عند الابتناء، وإن الصداق له مقدار لا يزيد عنه ولا ينقص وكان المؤجل لا يدفع إلا بعد موت أو فراق[5].

كما جاء في كتب النوازل أيضاً أنه بعد الاتفاق بين الأطراف يتم الإشهار في المدينة أو القرية أن فلاناً قد تزوج قريبته فلانة أو بنت فلان ويقوم الأقرباء والأصحاب بالتهنئة[6].

---

[*] يذكر أن عبد الله بن ياسين لا يتجاوز في الصداق أربعة مثاقيل= ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 16/4.

[1] الونشريسي: المعيار المغرب والجامع المغرب، 3/ 100، 116، 239، 406؛ كمال أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوي المعيار المغرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب (الإسكندرية، 1996م) ص11.

[2] الونشريسي: المعيار المغرب والجامع المغرب، 3/ 121، 153،161.

[3] المصدر نفسه، 46/3.

[4] كمال أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية، ص12.

[5] الونشريسي: المعيار المغرب والجامع المغرب، 160/3، 248، 299، 305.

[6] المصدر نفسه،3 /247.

وكان من الأعراف الجارية أثناء فترة الخطوبة أن يهادي العريس عروسه أو خطيبته في الأعياد والمناسبات هدية لا تعدو حناء وصابون وفاكهة[1]، أو ذهب وثوبين من الحرير وعقد جوهر وقطيفتين وخفان وجوربين[2].

وفي كثير من الأحيان يختلف بلد عن الآخر في تقديم الهدية للزوجة مثال ذلك أن يتقدم الخاطب بهدية لخطيبته وتكون مختلفة عن عرف البلد الذي تسكن فيه الزوجة، فالواجب عليه أن يهديها ما هو متعارف عليه في ذلك البلد، وله أن يقدم هديته المتعارف عليها في بلده إذا اشترط ذلك عليه[3].

وبعد انتهاء فترة الخطوبة يتم عقد القران في أحد المساجد على يد القاضي أو صاحب الأنكحة - وهوالمأذون -[4]، وهو ما ذكره التادلي "أن عامة أهل البلدان يعقدون أنكحتهم بالمسجد"[5]، وكان الذي يتولى عقد القران القاضي كما سبق الذكر وذلك في المدن أما في القرى فكان إمام المسجد هو من يتولى عقد القران دون إذن من القاضي لبعد المسافة بين المدينة والقرية[6].

وبعد عقد القران تبدأ أسرة العروس في إعداد الجهاز، حيث كان كثير من الآباء في المغرب يَهِبُونَ بناتهم منذ الصغر بعض الهبات والعطايا لتجهيزها عند زواجها[7].

وكان الزوج يقوم بإرسال هدية من لحم إلى بيت والد العروس لكي يعدوا طعاماً يأكل منه أقارب العروسين ليلة الزفاف، كما يرسل ببعض المال لتستعين به العروس في شراء ما يلزمها قبل الزفاف وتتمثل هذه المشتريات في بعض الطيب

---

(1) الونشريسي: المعيار المغرب والجامع المغرب،96/3؛ كمال أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية، ص13.

(2) الونشريسي: المعيار المغرب والجامع المغرب، 246/1، 407.

(3) المصدر نفسه، 47/2.

(4) كمال أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية، ص13.

(5) التشوف إلى رجال التصوف، ص80.

(6) الونشريسي: المعيار المغرب والجامع المغرب، 97/3، 198.

(7) المصدر نفسه، 246/6؛ كمال أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية، ص14.

والحناء والأصباغ أو الحلي الذي تتزين به العروس ليلة الزفاف، ولم يكن ذلك حقاً من حقوق الزوجة ولكنه كان من العادات الجارية بين أهل المغرب عامة[1].

ويذكر الونشريسي أن والد الزوجة كان يشترط أحياناً على زوج ابنته أن تكون هدية ابنته قبل الزفاف عبارة عن ثوبين أو كبش وثور، وكانت هذه الهدية تعتبر ملكاً للزوجة ولها الحق في أخذها وتسمى بهدية العروس[2].

وكان الطعام الذي يعد في بيت العروس يأكل منه أقارب العروسين ليلة الزفاف ويرسل منه بعد ذلك إلى بيت الزوج وهم بذلك يرون أن ذلك يبعث السرور في نفس الزوجة[3].

وكانت العروس تحرص على تجميل وتزيين نفسها ليلة الزفاف والماشطة تتولى مهمة تجميلها نظير أجر معين من المال، ومن وسائل تجميل العروس دهان جسدها ووجهها ببعض الطيوب والأصباغ التي تظهر جمالها[4].

واعتبرت الحلي من أهم ما يجب أن تتزين به النساء لاسيما في ليلة زفافهن، وكانت أيضاً من أهم الهدايا التي تسعد العروس، وذلك رغبة منها في التزيين وإعجاب الآخرين، وكان الذهب بلا شك أجود هذه الأنواع وأكثرها قيمة لاسيما أن الذهب كان أهم السلع التي كانت تجلب من بلاد السودان إلى المغرب الأقصى[5]، وقد تحلت به النساء الميسورات الحال وتشير النصوص إلى امتلاك بعض النساء لكثير من الحلي، ففي العصر المرابطي على سبيل المثال كانت زينب النفزاوية زوج الأمير يوسف بن تاشفين تمتلك كثيراً من الذهب والجواهر والياقوت[6].

ومما لا شك فيه أن أنواع الزينة قد اختلفت من إمرأة لأخرى ومن إقليم لآخر،

---

[1] الونشريسي: المعيار المغرب والجامع المغرب، 3 / 129، 130، 156.

[2] المصدر نفسه، 43/3، 46، 47.

[3] المصدر نفسه، 129/2.

[4] المصدر نفسه، 278/3، 11 / 145؛ كمال أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية، ص16.

[5] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص176؛ الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص8.

[6] ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 18/4.

وذلك تبعاً لتفاوت مستويات المعيشة، فقد تحلت نساء الأعيان بالذهب والفضة وبعض الأحجار الكريمة فيما تحلت نساء العامة بالنحاس والفضة[1].

وفي ليلة الزفاف تحضر النساء إلى بيت العروس في أجمل زينة بملابسهن الجديدة، كما يحضر هذه الليلة الرجال والصبيان[2] وكان العادة أن يستقدموا المغنيات وضاربات الدفوف وتطلق الزغاريد في ليلة العرس[3].

وتشير بعض المصادر إلى الطريقة التي كانت تزف بها الزوجة إلى بيت زوجها حيث كان من المتعارف عليه أن تزف لبعلها وهي راكبة على سرج وأمامها اللهو والمحتفلين بالعرس[4].

ويبدو أنه كان يتم تقديم هدية من الزوج إلى زوجته ليلة الزفاف، وعلى الأرجح أنها كانت من الذهب، فأبو الفضل المعروف بالنحوي المتوفى عام 513هـ/1119م، عندما تزوج بابنة عمه أهداها سلكاً من الذهب وكان ذلك من أجل إفراح العروس[5].

وهكذا تستمر مظاهر الاحتفال بالزواج سبعة أيام ويطلق على اليوم الأخير "سابع العرس"[6]، وبعد انتهاء العرس ومراسمه تأتي مرحلة الاستعداد لاستقبال المولود التي كان كثيراً ما يدفع فيها الطموح لمعرفة ما إذا كان الجنين ذكراً أم أنثى، وقد شاعت هذه الظاهرة في العصر المرابطي للاطمئنان على المولود القادم[7].

وعندما يولد الطفل كان يستقبل هذا الخبر بالفرح والزغاريد تعبيراً عن قدوم المولود[8].

هكذا كان يتم بداية تكوين الأسرة في المغرب الأقصى خلال عصر المرابطين

---

[1] جمال طه: الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى، ص310.

[2] المرجع نفسه، ص310 ، 311.

[3] البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص29؛ الونشريسي: المعيار المغرب والجامع المغرب،3 /251.

[4] البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص20.

[5] التادلي: التشوف إلى رجال التصوف، ص78.

[6] الونشريسي: المعيار المغرب والجامع المغرب، 207/4.

[7] السقطي: كتاب في آداب الحسبة، ص52، 53.

[8] البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص29.

،وقد رزق الأمير يوسف بن تاشفين من الأولاد أبناؤه تميم و أبوبكر والمعز وإبراهيم وعلي ومن الإناث كوته ورقية[1]، فكان للأمير يوسف من الأولاد خمسة أولاد، كان بكرهم أبو ظاهر تميم الذي كان والياً على سبتة، وعلي ولي العهد[2]، وهذا يعني أن الأمير يوسف رزق بسبعة أبناء[3]، وكان أغلب أفراد عائلته ذكوراً[4].

أما ولي العهد الأمير علي بن يوسف كان له من الأولاد "تاشفين المولى من بعده و أبوبكر ويدعى بيكور و أبو حفص عمر الكبير و إبراهيم وإسحاق وتميم وداود وعمر الصغير وهو أصغرهم سنا، وأمه روميه تُسمَّى رياض الحسن"[5]، أما الأمير تاشفين[*] بن علي بن يوسف كان له من الأولاد ابنه إبراهيم[6].

وبدون تعميم يتراوح معدل الأطفال ما بين ثلاثة إلى ثمانية أطفال داخل كل أسرة، إلاَّ أن العائلات الأخرى الضاربة في البوادي ضَّمت دون شك عدداً كبيراً من الأطفال، وهذا يتفق مع عدد أسرة الأمير يوسف بن تاشفين[7] وابنه الأمير علي ولكن تبقى هذه الأمور إلاهيه لا يمكن الجزم بها والحكم فيها ولا تقديرها[8].

وخلاصة القول إن الأسر تشكل وحدة اجتماعية وهي القاعدة الأولى للقبيلة وهي مؤلفة من أب وزوجة أو عدة زوجات وأبناء حتى ترتفع إلى مستوى العشيرة

---

(1) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص138.

(2) مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص24.

(3) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص138.

(4) مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص 24.

(5) المصدر نفسه، ص84 .

(*) تاشفين بن على بن يوسف يكنا أبا المعز وقيل أبا عمر أمه أم ولد رومية اسمها ضوء الصباح بويع في الثامن سنة 537ه/1142م، وكانت بينه وبين الموحدين حروب كثيرا كان للموحدين فيها الغلبة وتبدد عسكره، ولم يكن له جواز للأندلس في مدته بسبب اشتغاله بحروب الموحدين، إلا انه جاز إليها لما ولاهُ أبوه عليها= مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص 121، 122؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، 170/1 .

(6) ابن القاضي: جذوة الاقتباس،170/1.

(7) مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص24.

(8) ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،4/ 97؛ مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص84.

المشتملة على عدد من الأسر المنتمية إلى جد واحد ثم ترقى إلى مرتبة البطن الذي يجمع عشائر شتى عن طريق المصاهرة أو الجوار إلى أن تنتهي بالقبيلة التي يجمع أفرادها الدم والنسب، ولذلك كانت الأسرة هي الخلية الأولى التي شكلت قاعدة التنظيم القبلي، ولما كانت الأسرة هي النواة الأولى للقبيلة فقد كانت مكانة الفرد في القبيلة مرتبطة بما تصل إليه القبيلة من مكانة في السلطة فأعطت بذلك مكانة في الهرم السياسي، ولذلك كان يحيى المسوفي مقدماً عند الأمير يوسف بن تاشفين لمكانته في قومه[1].

وكانت القبيلة تنسب إلى جد واحد ويعتبر هذا الجد هو المؤسس للأسرة التي كونت هذه القبيلة وهي ترجع إليه في النسب[2]، بل إن بعض القبائل المغربية يرجع نسبها إلى امرأة مثل قبيلة لمطة وجزولة وهكسورة، وهم أخوة صنهاجة والأم التي تجمعهم هي "تصكي العرجاء بنت زحيك بن ماذغيس"[3]، وقد حرصت القبيلة على ضبط نسبها وأصبحت رابطة الدم هي الرابطة بين أفخاذ القبيلة وبين الأفراد أنفسهم، مثال ذلك قبيلة جدالة ولمتونة فهم يجمعهم أب واحد، في حين كانت هناك قبائل في هذا العنصر ليس لهم أب واحد وأم واحدة مثل قبائل برغواطة[4]، ومهما كان الأمر فإن الخلية الأولى التي شكلت القبيلة تتمثل في الأسرة التي تتكون من مجموعة أفراده.

ثانياً: المجالس:

شهد المغرب الأقصى كثيرا من المجالس المتنوعة التي كان يعقدها الخلفاء، كما شهد مجالس الوعظ التي انتشرت في الأماكن العامة إلى جانب ذلك تلك المجالس العامة التي كان يعقدها علية القوم وغيرهم وفي مقدمة هذه المجالس[5]:

---

[1] ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 252/6، 253.

[2] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص119.

[3] ابن خلدون: العبر وديوان المبتداء والخبر، 70/6.

[4] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص130.

[5] حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 414 .

1- مجالس الخلفاء:

نظراً لسياسة المرابطين اللينة تجاه أعيان البلاد وحرصهم على كسب ودهم، فقد كانت المجالس تعقد في البلاط المرابطي، إذ سبق الحديث أن الأمير يوسف ابن تاشفين كان محباً للفقهاء والعلماء مقرباً لهم يستمع لرأيهم ويشاورهم في مجالسه في كل الأمور[1]، ذلك أن أمراء المرابطين حرصوا على عقد الجلسات التي كانوا يشهدونها بأنفسهم، ويشاركون فيها بالحوار والمناقشة[2]، إضافة إلى حضور الشعراء لاسيما من كان منهم يصور الخصائص التي اتسم بها المرابطون، حيث كانوا يتغنون بأمجادهم وانتصاراتهم[3].

ولكن أغلب الحديث في مثل هذه المجالس كان ينصب على مشاكل تهم الدولة بالدرجة الأولى، فمثلاً الأندلس كانت تحتل مكان الصدارة في المشكلات التي واجهت ولاة الأمر من المرابطين، وذلك تخوفاً من كل لحظة يقوم بها الأعداء بالهجوم على أرض الأندلس ومحاولة الاستيلاء عليها، ومن هنا كانت التدابير والمشاورات حول المعارك في الأندلس[4]، وحتى الخطة التي نفذت للقضاء على ملوك الطوائف جرت مباحثاتها والمشاورة عليها في هذه المجالس، وكان ذلك في عصر الأمير يوسف بن تاشفين[5].

وعلى أي حال كان الشعراء يمدحون المرابطين بالورع والتقوى والشجاعة والجهاد في سبيل الله ويتحللون من المقدمات التقليدية، غزلية وغيرها، ويدخلون مباشرة في المدح، والمهم في الأمر أن الأمراء المرابطين - وخاصة الأمير يوسف ابن تاشفين- لم يكن يحب المدح، وهو قول صحيح والدليل عليه أنه لم يتخذ شعراء

---

(1) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص137.

(2) حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص414.

(3) الطربولي، محمد عويد: الأعمى التطيلي شاعر عصر المرابطين، مكتبة الثقافة الدينية(القاهرة، 2005م) ص24، 25؛ الجراري، عباس: تطور الأدب الأندلسي في عهد المرابطين، مجلة المناهل، السنة السادسة، العدد16 (الرباط، 1979م) ص42.

(4) حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص416.

(5) ابن الخطيب: كتاب أعمال الإعلام، 250/3.

في مجالسه ولم يكن له مجلس رسمي للشعر، ولكن ذلك لم يحل دون مواكبة الشعراء لتحركات الأمير والإشادة بانتصاراته، يقول ابن عذاري المراكشي متحدثاً عن يوسف "وقد امتدحه الشعراء في حركاته وغزواته وصدوره وورده فأجزل لهم العطاء"[1]

وتعتبر مدة حكم الأمير علي بن يوسف شاهداً على إقامة المجالس في بلاطه، ولو كانت بمؤثرات أندلسية، حيث لم تؤثر الأندلس في مدينة مراكش من عدة نواحي فقط، وإنما قصد مراكش عدد كبير من الأندلسيين ليقيموا في عاصمة الأمير وكانوا من أعيان الكُتَّاب، وعلى هذا تغير البلاط الملثمي الصغير ليوسف بن تاشفين دفعة واحدة، ولا شك أن الأندلسيين كانت كلمتهم مسموعة عند السلطان فيما يشيرون عليه[2]، وكان يحضر عند الأمير علي بن يوسف القضاة والفقهاء والأدباء والشعراء وكان الشعراء يمتدحونه[3].

2- مجالس وعظ:

ومثل هذه المجالس كانت تعقد - على الأغلب - في المساجد ولاسيما جامع القرويين بفاس، حيث استمر عقد المجالس في هذا الجامع ولم تتوقف حتى عندما قام المرابطون بإجراء أعمال الإصلاح والزيادة فيه[4].

وكان جامع الأندلس أيضاً من المساجد المعروفة التي يلقي فيها الشيوخ دروسهم، فكثيراً ما عقدت به حلقات علمية، كان يقوم بها مجموعة من العلماء يدرسون العلم في مواضع منه، وكانوا أهل شورى ممن يقتدى بهم، ويقصدهم النَّاس من أقطار البلاد فمنهم المدرس والمجود للقرآن والطالب لما يشاء من فنون العلم في مجالس شتى، ومن العلماء الذين ألقوا دروسهم بجامع الأندلس الشيخ الفقيه أبو الفضل يوسف بن محمد المتوفى عام 513هـ/ 1119م[5].

وكذلك مسجد الحوراء الذي - قصده للإقراء به - أبو بكر محمد بن عبد الله

---

[1] ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 47/4.

[2] مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص69

[3] ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،4 / 48.

[4] جمال طه: مدينة فاس في عصر دولتي المرابطين والموحدين، ص 274.

[5] الجزنائي: زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ص94.

بن مغاور اللخمي المتوفى عام 553هـ/ 1158م[1].

3- مجالس عامة:

كان يعقد هذه المجالس الأمراء وأكابر رجال الدولة في قصورهم ويحضرها الأدباء والشعراء، وكان ذلك نتيجة للاحتكاك المباشر بين المغرب الأقصى والأندلس في عصر المرابطين، وإقبال العلماء والشعراء الأندلسيين على المغرب الأقصى والالتفاف حول الأمراء في المدن المغربية كمراكش وفاس وتلمسان وسائر المدن الأخرى، ولاسيما أن الولاة كانوا يتنقلون بين مدن المغرب ومدن الأندلس وما يصاحب النقل من انتقال حاشية الأمير معه[2]، ففي العاصمة مراكش كانت تعقد بعض المجالس الأدبية منها مجلس زوجة سير بن أبي بكر وهي حواء بنت تاشفين الذي كان يحضره الكُتَّاب والشعراء، وكانت هذه السيدة تحاضرهم فيه، وممن كان يحضر هذه المجالس الأدباء والشعراء[3]، لاسيما أنه قد برز في العصر المرابطي العديد من الشعراء، مثل الشاعر محمد أبو بكر بن الصائغ المتوفى عام 533 هـ/ 1138م[4] ومحمد بن سيرين بن أبي الخصال الغافقي المتوفى عام 540هـ /1145م، وقد سكن هذا مدينة فاس، وكان من أهل المعارف وإماماً في الكتابة والنظم[5]، وهؤلاء من برزوا من الشعراء في العصر المرابطي فلم تذكر المصادر الكثير منهم، مقارنة بما شهدته المدن المغربية من تقدم وازدهار[6].

ثالثا: الاحتفالات :-

1- الاحتفالات الدينية:

عرفت في المغرب الأقصى بعض العادات المرتبطة باحتفالات معينة في

---

[1] ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عزت العطار الحسيني، مطبعة الخانجي(القاهرة،1956م)488/2.

[2] حسن محمود: قيام دولة المرابطين، ص423.

[3] ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 57/4.

[4] ابن القاضي: جذوة الاقتباس، 256/1،257.

[5] ابن خاقان، أبو النصر الفتح بن محمد: قلائد العقيان في محاسن الأعيان، دون نشر(القاهرة، 1283هـ) ص 199؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، 257/1.

[6] جمال طه: مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين، ص288.

مناسبات مختلفة منها الاحتفالات الدينية[1]، فقد كان الأهالي يحتفلون بقدوم شهر رمضان، حيث شغل الناس برؤية هلاله، فكانوا يصعدون فوق أسطح الدور للتمكن من رؤيته[2]، وقد كان لذلك الشهر مكانة خاصة لديهم، حيث يحتفل به الشعب في كل مكان بإقامة الأذكار وقراءة القرآن وتأدية الصلاة في المساجد[3].

وفي بلاد المغرب كانت الطريقة في إعلام الناس برؤية الهلال، أنه عندما يرى أهل قرية ما الهلال فإنهم يقومون بإيقاد النار من قريتهم التي شوهد فيها الهلال، وذلك من أجل إعلام القرى المجاورة برؤية الهلال والاستعداد لمباشرة الصيام[4]، وعندئذٍ يكون الصيام، وكان الناس يقومون بما عليهم من عبادة فمن بينهم من يقوم بختم القرآن في رمضان[5]، وعند قدوم موعد السحور ينفخ المسحر البوق لإعلام الناس به[6].

وفي ليلة السابع والعشرين من رمضان، وهي ليلة القدر، كان الناس يقومون بختم القرآن والإكثار من العبادة في المساجد وأقرب دليل على ذلك أن الأمير تاشفين ابن علي رغم محاصرة الجيوش الموحدية له في وهران[*] فإنه أصر على الذهاب إلى رباطٍ للمتعبدين في هذه الليلة عام 539هـ/1142م من أجل حضور ختم القرآن الكريم[7].

وكانت الخيام في هذه الليلة تنتشر حول المساجد وتزدان الأسواق والمتاجر وترفع المغارم ويقوم أهل الخير بإقامة الولائم الكبيرة، حيث كانت توزع اللحوم والسمن

---

[1] جمال طه: مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين، ص175.

[2] ابن عيشون: الروض العاطر الأنفاس، ص212.

[3] حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص419.

[4] الونشريسي: المعيار المغرب والجامع المغرب، 410/1، 411؛ 149/10 جمال طه: الحياة الاجتماعية في المغرب الأقصى، 341.

[5] التادلي: التشوف إلى رجال التصوف، ص28.

[6] الونشريسي: المعيار المغرب والجامع المغرب، 466/2.

[*] وهران: مدينة بالمغرب على ساحل البحر تأسست عام 199هـ/814م، بناها جماعة من الأندلسيين البحريين بسبب مرسها، تبعد عن تلمسان مسيرة ليلة = الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 612؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان،5 / 385 .

[7] ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 125/4

والحلوى[1]، وعند قدوم عيد الفطر المبارك يخبر أهالي البلاد بذلك ويكون آخر أيام الصيام[2]، ويستقبل الناس العيد بالفرح، ويرتدون الثياب الجديدة ويؤدون صلاة العيد كما هو معروف في العالم الإسلامي[3].

كما كان الناس في المغرب الأقصى يحتفلون بعيد الأضحى وكانت الاستعدادات تتم مسبقاً فيقوم الأهالي بشراء الأضحية التي لم يتخل عن شرائها حتى الفقراء، ويعد عدم التضحية أمراً مقبحاً من قبل الجيران والأهل والمعارف[4].

وقد كان شراء الأضحية يمثل عبئاً على بعض الأسر المغربية الفقيرة، وكان شراؤها مدعاة لإثارة النزاعات الأسرية وأقرب مثال على ذلك نزاع وقع بين امرأة وزوجها في الطريق بسبب عدم قدرة الزوج على شرائه للأضحية مما جعل عبد الله التاودي يشتري أضحية ويهديها إياهم[5].

وقد جرت الاحتفالات بهذا العيد على عادة الإسلام من الوقوف يوم عرفات والصلاة في الصباح الأول ليوم العيد.

ومن الاحتفالات الدينية أيضا الاحتفال بمواكب الحجاج ذلك أنه في عام 503هـ/ 1109م انطلق موكب من الحجاج من وادي سبو بالقرب من مدينة فاس قاصداً مكة[6].

كما اقترن بالاحتفالات الدينية المناسبات التي يمتزج فيها الحزن بالمشاعر الدينية، حيث توضح بعض المصادر بهذا الخصوص أن الناس كانوا يخرجون للمشاركة في الجنائز مثل جنازة أحد المتصوفين وهو ابن العريف، الذي توفى

---

[1] ابن الخطيب: نفاظة الجراب في غلالة الاغتراب، تحقيق أحمد مختار العبادي، دون نشر(القاهرة، 1967م) ص122؛ حمدي حسين: مدينة سلا في العصر الإسلامي، ص79.

[2] ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، 277/2.

[3] الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة: بغية الملتمس في رجال أهل الأندلس، مطبعة روخس (بدون تاريخ، 1884م) ص86.

[4] جمال طه: الحياة الاجتماعية في المغرب الأقصى، ص345.

[5] ابن عيشون: الروض العاطر الأنفاس، ص273.

[6] ابن القاضي: جذوة الاقتباس، 560/2.

بمراكش عام 536هـ/ 1141م، فحين مات خرج الناس بجنازته كونه أحد الصالحين كما يقولون[1].

2- الاحتفالات العسكرية:

عندما كان المرابطون يعدون العدة للخروج من أجل الجهاد كانوا يقومون باستعراض الجيوش، فكان الناس يخرجون لمشاهدة العروض العسكرية، حيث يخرج ولي الأمر على رأس جنوده إلى المعارك فيشاهد مظاهر الفرح والابتهاج التي كانت تعم سكان المغرب الأقصى[2].

ومن هذه المواكب العسكرية والاستعراضات تلك التي قامت في عصر الأمير يوسف بن تاشفين عندما قام باستعراض جيشه خلال جوازه للأندلس عام 479هـ/ 1086م[3]، فقد قام باستعراض جيشه قبيلة بعد قبيلة والجيش كان في كامل التنظيم[4].

وفي حالة النصر في المعارك أيضاً كانت الفرحة تعم البلاد ويخرج الناس للاحتفال بهذا النصر، كالنصر الذي حققه المرابطون في معركة الزلاقة المشهورة عام 479هـ /1086م، فقد احتفل به الناس احتفالاً كبيراً، وعمت الفرحة بلاد إفريقية والمغرب والأندلس بهذا النصر[5].

ومن جملة ما حدث في هذه المناسبة التي عمت فرحتها جميع ربوع المغرب أن قام الناس بعتق العبيد ودق الطبول[6]، وظلت هذه الاحتفالات العسكرية في العصر المرابطي حتى عصر تاشفين بن علي حفيد يوسف بن تاشفين، حيث قام الأخير باستعراض جنوده في مدينة تلمسان عام538م/ 1143م أمام مرأى الناس[7].

---

[1] التادلي: التشوف إلى رجال التصوف، ص97

[2] حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص421.

[3] الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص289.

[4] الصفدي: كتاب الوافي بالوفيات، 75/28.

[5] السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، 49/2.

[6] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص149.

[7] مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص 131؛ عبد العزيز بن عبد الله: تاريخ المغرب، 110/1.

أما عن كيفية الاحتفال العسكري فهو يكون باستعراض الجنود بما فيهم من مواكب الجيش وألويته والسلاح والعتاد[1]، وما يصاحب هذه المواكب من رفع الرايات والأعلام مع دق الطبول الضخمة التي تصدر أصواتاً عاليةً، فكانت علامة مميزة من علامات الجيوش المرابطية[2].

رابعا: وسائل التسلية:-

. الموسيقى :

منذ قيام دولة المرابطين كان الأساس الذي قامت عليه هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لذلك قام المرابطون بمحاربة الظواهر التي لا تتفق مع الدين الإسلامي، فعندما استطاع الفقيه عبد الله بن ياسين الاستيلاء على مدينة سجلماسة غيَّر ما وجد بها من المنكرات فقطع آلات الطرب وكسر المزامير وأحرق الديار التي تباع بها الخمور[3]، ولكن يبدو أن ما حققته دولة المرابطين من توحيد سياسي على أساس الفقه الإسلامي المالكي لم يكن له بعد اجتماعي يستجيب بصفة مرضية للغاية الدينية من مكارم الأخلاق، ويبدو أيضاً أن مظاهر الخلاعة والمجون التي كانت متفشية في مدن الأندلس سرت عدواها إلى مدن المغرب بعد وحدة العدوتين[4]، ويفهم من ذلك أن المرابطين حاولوا مكافحة انتشار أدوات الطرب كونها من المنكرات، ثم ما لبث أن مال بعض المرابطون إلى حياة الصخب والموسيقى خاصة أنه عرف عن المجتمع المغربي حبه للموسيقى لاسيما الفاسيون منهم، ودليل ذلك أن حوانيت وأزقة مدينة فاس - مثل زقاق برقالة - اشتهرت ببيع أدوات الموسيقى، وأهم هذه الأدوات الموسيقية كانت الدفوف والمزامير والعيدان والروط

---

[1] حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص421.

[2] حسن محمود : قيام دولة المرابطين، ص183.

[3] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص167، 168؛ ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 13/4؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص128؛ دويم، رمضان عبد الحليم علي: الحسبة في الأندلس خلال عصري المرابطين والموحدين، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنصورة (المنصورة، 2006م) ص47.

[4] النجار، عبد الحميد: تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت" الحركة الموحدية أوائل القرن السادس الهجري"، المعهد العالي للفكر الإسلامي (بدون مدينة، 1995م) ص48، 49.

والأربية والكيتارات وجميع آلات اللهّو التي عرفت في ذلك الوقت[1]، ولكن هذا لا يتناسب مع دولة قامت على مذهب الإمام مالك، فهذا الأمر منكر لا يعمم على المرابطين كافة، وإذا أخذ به قد يكون حدث في أواخر أيامها لأن هذه الدولة ما قامت إلا من أجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ونتيجة لدخول المؤثرات الأندلسية إلى بلاد المغرب الأقصى كان بعض من الأمراء يسمعون الشعر والطرب وكانوا يقبلون على سماع الموسيقى لاسيما أن الأدوات الموسيقية كانت متوفرة بأنواعها في المدن المغربية[2]، وربما هذا ما جعل ابن تومرت ينقم على المرابطين وأخذ على عاتقه تكسير آلات الطرب المعروضة في متاجر فاس[3].

ومما يدل على ميل بعض أمراء المرابطين للطرب والموسيقى أن الأمير علي ابن يوسف أمر بعزل عبد الحق بن معيشة الغرناطي قاضي فاس، لأنه لم يدن طلبة المهدي بن تومرت على ما أحدثوه من فوضى عندما اشتكى إليه التجار المغترمون فلعل ذلك يدل على أن الأمراء المرابطين لا يرونَ في المتاجرة بالآلات الموسيقى ما يمس بالأخلاق العامة[4].

كذلك عاش أهالي المغرب الأقصى على وتيرة الرفاهية والمتعة التي كان يحياها أبناء الأندلس[5]، ومما لا ريب فيه أن بعض أمراء الدولة المرابطية المقيمين في الأندلس خاصة، تأثروا بالبيئة الأندلسية فسلكوا إلى حد ما مسلك الطوائف الذين

---

[1] البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص24؛ الزهري: كتاب الجغرافية، ص112.

[2] البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص 24؛ محمود، منى حسن أحمد: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في مراكش خلال عهدي المرابطين والموحدين، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة (القاهرة، 1975م) ص16،23.

[3] البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص24؛ عبد الجليل، عبد العزيز: مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية، عالم المعرفة (الكويت، 1978م) ص33.

[4] عبد العزيز عبد الجليل: مدخل إلى تاريخ الموسيقى، ص33.

[5] حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص430.

لم يمض على رحيلهم عن الديار الأندلسية غير زمن قصير[1].

وكان من نتيجة اهتمام أهالي المغرب الأقصى بالطرب أن أخذ عدد كبير من المغنيين ينتقلون من الأندلس إلى إفريقية والمغرب ومنهم، [*]أبوالصلت[2]، الذي كان بارعاً في صنعته يجيد العزف على العود[3]، وابن باجة الأندلسي الذي بلغت شهرته الآفاق، وكان من الموسيقيين المهرة وتضافرت حوله شهادات المعاصرين لتجعل منه شخصية فذة وعبقرية موسيقية متفتحة[4]، وقد ولد بسرقسطة أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي واستقر بفاس وبها توفى وكانت وفاته عام 525هـ/ 1130م[5]، ولأنه كان متفنناً فن الموسيقى[6]، فقد كان خلال إقامته، بمدن الأندلس والمغرب يقوم بتعليم الموسيقى وتلقين الغناء حتى نعته المؤرخون بأنه "صاحب التلاحين المعروفة"[7] "وأنه كان متقناً لصناعة الموسيقى جيد اللعب بالعود"[8] وأنه فيلسوف المغرب وملك الألحان[9].

خامسا : الطعام والشراب:

اقتصر الأمراء المرابطون في مرحلة تأسيس دولتهم على الضروري من العيش،

---

[1] عبد العزيز عبد الجليل: مدخل إلى تاريخ الموسيقى، ص33؛ أبو الفضل، محمد أحمد: شرق الأندلس في العصر الإسلامي، دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية، 1996م) ص 247.

[*] أبو الصلت أمية بن عبد العزيز من أهل اشبيلية، سكن المهدية ومن أخباره أنه خرج من إشبيلية ولزم التعلم بمصر له تأليف مفيدة في الطب وكان الغالب عليه الآداب والعروض والتاريخ، توفى عام520هـ/1126م= ابن الأبار: المقتضب من كتاب تحفة القادم، تحقيق إبراهيم الأبياري، المطبعة الأميرية (القاهرة، 1956م) ص3.

[2] السيد سالم: قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة(الإسكندرية، بدون تاريخ) ص116.

[3] ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص501، 502، 503؛ العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ص581.

[4] العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ص581.

[5] ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 515، 516؛ عبدالعزيز عبد الجليل: مدخل إلى تاريخ الموسيقى، ص30.

[6] العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ص581.

[7] عبد العزيز عبد الجليل: مدخل إلى تاريخ الموسيقى، ص31.

[8] العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ص304، 305.

[9] ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب، 119/2.

حيث كان أسلوب معيشتهم يتسم بالزهد والتقشف، إذ كان الفقيه عبد الله بن ياسين يعيش على الصيد من البرية[1].

وكان الأمير يوسف بن تاشفين لا يأكل سوى خبز الشعير ولحم الإبل لا يتركها إلى غيرها طوال حياته في بوادي إفريقيا أو في حواضر الأندلس[2].

أما عن القبائل القادمة من جنوب الصحراء ولمتونة ومسوفة وغيرها من القبائل الصنهاجية فقد اتخذت من لحوم الأغنام طعاماً لها[3]، حيث كانت هذه القبائل تعيش في الصحراء على اللّحم الجاف مصبوباً عليه الشحم المذاب أو السمن وقليلاً ما يأكلون الخبز[4]، الذي يأتيهم - في بعض الأحيان - عن طريق القوافل التي تمر بهم فتهديهم الخبز والدقيق[5].

وقد كان لقبيلة لمتونة طعام يسمى أسلو يصنع عن طريق قلي الحنطة ثم دقها وعمل جريش منها ثم تمزج بالعسل والسمن ويخلط جميع ذلك على النار وهو طعام شهي وإذا تناول الإنسان منه ملء الكف ثم شرب عليه اللبن فإنه يمضي بقية يومه لم يشته طعاماً إلى الليل[6]، ومن جانب آخر فإن سكان المغرب الأقصى تفننوا في صنع كثير من ألوان الطعام فصارت موائدهم حافلة بالأنواع المختلفة من الأطعمة والحلوى والأشربة[7].

فمن الأطعمة التي عرفت في المغرب الأقصى الخبز الذي كان كثير من سكان المغرب يقبلون على تناوله ليتغذوا منه بسرعة ليباشروا أعمالهم، وكان منهم من يفضل تناوله مقليا، حيث كان السكان يخبزون في الأفران والتنانير صنوف الأخباز، وجعلوا لكل نوع من أنواع الخبز اسما يعرف به فمنها الأصفهاني والرقاق

---

[1] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص165.

[2] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص136؛ سيد بن العفاني: أطيب الكلام في ذكر خلفاء الإسلام، دار العفاني (القاهرة، 2007م) ص244.

[3] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص164.

[4] المصدر نفسه، ص164، 170؛ مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص213.

[5] مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص213، 214.

[6] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص59.

[7] حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص432.

واللبق والمشطب والمريش، وخبز الماء، والطابوني، والمغموم والمشوك والمظلوع[1].

وقد اشتهرت بعض المدن المغربية بتناول بعض الأطعمة الغريبة غير المألوفة خاصة في مدينة مراكش ومدينة تارودانت حيث يتناول سكان هذه المدن الجراد[2].

كما امتلأت المائدة المغربية بأنواع أخرى من الطعام كطعام حصحصت المعروف بمراكش وهو لحم مخلوط ببعض التوابل، وكان يوضع في قدر نظيف ويضاف إليه الملح والكزبرة اليابسة مع يسير من البصل والزيت وقليل من الماء ثم يحرك حتى يجف ومن ثم يقلى في الزيت حتى ينضج[3].

ومن الأطعمة أيضاً الثريد الكامل، وهو وجبة غليظة مرطبة للأبدان اليابسة وكثيرة الغذاء لاسيما ما كان منها ملطفاً بالخل واللحوم وما يجب من التوابل[4]، كما كان سكان المغرب الأقصى يصنعون طعاماً يسمى طعام الأمخاخ فعندما تذبح الحيوانات والطيور تجمع أمخاخها ليصنع منها هذا الطعام[5]، وعُرف أيضاً ما يسمى بثردة الأمير وهي عبارة عن عجين دقيق من الفلفل والزيت ويعمل منه أربعة رغائف رقاق وتقلى في مقلاة بزيت حتى تحمر ثم تدق جيداً، وتقلى في زيت عذب ثم يضاف إليها فستق ولوز وصنوبر مقشر وسكر قدر الكفاية[6]، كما عرف أيضاً صنف طعام يطلق عليه اسم اليهودية منها الفروج اليهودي والحجلة اليهودية، وهناك أيضاً من الأطعمة ما يسمى بالصنهاجي الملوكي[7]، وآخر يسمى حشيشة وقد وصفت بأنها ذات قيمة غذائية عالية وهي معدة من القمح المطحون الخالي من النخالة مخلوط بالماء وعند نقص الماء يعاد بحليب مرة أخرى، فإذا نضج خلط عليه

---

(1) مجهول، كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، تحقيق أوليتي ميراندا، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، المجلد 19 (مدريد، 1961م) ص87.

(2) الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص69، 70.

(3) مجهول: كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس، ص87.

(4) المصدر نفسه، ص179.

(5) المصدر نفسه، ص24.

(6) المصدر نفسه، ص99.

(7) المصدر نفسه، ص24، 35، 36، 68.

لحم قليل وصب عليه دسم من الدجاج المطبوخ[1].

ويوجد نوع آخر من الطعام يسمى التفايا وهو مكون من لحم الغنم السمين مع اللوز المقشر المدقوق المحلول بماء الورد[2].

كما كان أهل المغرب يطبخون الدجاج بالماء والملح والفلفل والبصل المدقوق ويكثرون في هذه الوصفة من إضافة الزيت[3].

إلى جانب الأطعمة السابقة طعام يسمى بالغرس المخلل وهو يتكون من لحم البقر أو الغنم ويكون هذا اللحم مقطعاً قطعاً صغيرةً، ويضاف عليها الملح والكزبرة اليابسة والكمون والزعفران وكثير من الثوم واللوز المقشر، ويضاف إليه الزيت بكثرة ثم يغمر كل ذلك بالخل ويوضع على نار هادئة، وعند نضجه يضاف إليه بيض كثير وقرفة[4]، كما صنع أهل المغرب طعام آخر يسمى اللمتونية وهو مكون من طيور الدجاج والإوز وفراخ الحمام وغيرها، ويضاف إليها الثوم واللوز والجوز وعند نضج هذه اللحوم تصب مرقتها على الرقائق المفتتة ويضاف عليها الزيت والفلفل[5].

وعرف سكان بلاد المغرب الأقصى أيضاً طهي الأسماك لاسيما أنه توفر في البلاد عدة أنواع من السمك منها البوري والشولى، فأهالي مدينة فاس ومكناسة كانوا يطبخون سمك الشولى وهو يعتبر من أجود أنواع الأسماك، حيث يقومون بطهي أصناف مختلفة منه[6].

أما عن الأطعمة التي كانت تصنع من الخضروات فلم تشير المصادر إليها بشكل واضح، عدا إشارة واحدة في كتاب التادلي عن نوع من الطعام عمل من الباذنجان، حيث كان هناك من يحب أكل الباذنجان، مثل أبو العباس أحمد ابن

---

[1] مجهول: كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس، ص193

[2] المصدر نفسه، ص86.

[3] المصدر نفسه، ص14.

[4] المصدر نفسه، ص26.

[5] المصدر نفسه، ص187.

[6] مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص184، 185.

محمد المعروف بابن العريف[*] المتوفى عام 537، 1142[1].

ولم تكن الأطعمة المغربية فقط هي السائدة في هذا العصر، فقد عرفت أطعمة بعضها منسوب إلى بلدان أخرى من خارج المغرب الأقصى[2]، منها ما يسمى بالبرمكية[3]، والدجاجة العباسية[4]والبورانية المنسوبة إلى بوران بنت الحسن ابن سهل[5]، وهذه الأنواع تنسب للدولة العباسية حسب مسمياتها[6]، ومنها أيضاً ما ينسب إلى أطعمة مصرية كالفروج المصري[7]، والمرزونة المصرية[8].

وفيما يخص الحلويات كان منها الرفيس الملوكي المصنوع من أقراص من اللوز الحلو المدقوق مضاف إليه دقيق الدرمك المعجون بالبيض المرشوش بماء الورد مع قليل من الكافور المدهون بالزبد[9]، ومن الحلويات أيضاً المري المنقع الذي له منفعة في الذكاء ويأتي بعده في الطعم المري المصنوع من عصير العنب[10] ويضاف إلى هذه الحلويات حلوى الجوزنيقات والقاهريات التي كانت تصنعها الطباخات السودانيات[11]، وبعيداً عن الأطعمة فقد عرف أهل المغرب الأقصى أنواعاً من الأشربة فقد للقبائل الصنهاجية نوع من الأشربة يصنع عن طريق نقع

---

[*] ابن العريف: كان من العباد وأهل الزهد، ومن القراء والفقهاء وأعلام المتصوفة، عاش في عصر الأمير علي ابن يوسف= التنبكتي، أحمد بابا: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة، 2004م) 60/1.

[1] التادلي: التشوف إلى رجال التصوف، ص97؛ التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، 60/1.

[2] حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص434، 435.

[3] مجهول: كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس، ص45.

[4] المصدر نفسه، ص72.

[5] المصدر نفسه، ص48.

[6] حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص435.

[7] مجهول: كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس، ص41.

[8] المصدر نفسه، ص25.

[9] المصدر نفسه، ص204، 205.

[10] المصدر نفسه، ص82.

[11] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص158.

الزبيب في الماء ثم يصفى بعد ذلك لكي يكون جاهزاً للشرب وهو حلو الطعم[1]، كما كان لقبائل المصامدة شراب الرب وهو أكثر شرابهم[2]، ويصف الإدريسي نوعاً آخر من الأشربة، بأن له تأثيرا شديدا كالخمر ذلك أنه يصنع من العنب[3]، وإلى جانب هذه الأشربة عرف أهالي المغرب شرب اللبن فالأمير يوسف بن تاشفين كان يشرب من لبن الإبل[4]، وقبائل جدالة كان شرابهم لبن النوق ومثلهم أهل مدينة نول لمطة يشربون لبن النوق[5].

. أدوات الطبخ:

- **الغربال:** كان يستخدم من أجل نظافة الدقيق وذلك بغربلته حتى ينظف[6].
- **المعجنة:** وهي التي يعجن فيها الدقيق ويخمر فيها الخبز[7].
- **الفرن والتنور:** وهو الذي يستخدم من أجل استواء الخبز وغيره[8].
- **القدر الكبير:** ويستخدم لطبخ الثرائد[9] ولإنضاج اللحوم[10].
- **المقلاة المفتوحة:** استخدمت هذه المقلاة لقلي الأسماك والبيض[11].
- **مقلاة الفخار أو الحديد:** وتستعمل لشواء اللحم من الغنم والدجاج[12].
- **الأوعية:** التي عادة ما تستعمل لحفظ الخبز والسميد[13]

---

[1] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص59.

[2] مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص211.

[3] المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص59، 62.

[4] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص136؛ كحيلة، عبادة: المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب، دون نشر (بدون مدينة، 2000م) ص104.

[5] ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، ص112.

[6] مجهول: كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس، ص193.

[7] المصدر نفسه، ص216.

[8] المصدر نفسه، ص24، 46، 63، 78.

[9] المصدر نفسه، ص99، 179، 180.

[10] المصدر نفسه ، ص32، 44، 63.

[11] المصدر نفسه، ص176، 177، 179.

[12] المصدر نفسه، ص32، 187.

[13] المصدر نفسه، ص48.

• **قلة الفخار:** وهي تستخدم في صنع نوع من حلوى الإسفنج[1].

• **الكريشة:** وهذه الأداة كانت تستخدم لصنع الكعك[2].

• **القفة:** وهي تصنع من الحلفاء أو من سعف النخيل وتستعمل من أجل صنع الجبن وحفظ بعض الأشياء[3].

• **الصحاف:** وينحصر استعمالها في تغطية القدور والآنية[4].

سادسا: الملابس:

عرف سكان المغرب الأقصى أنواعاً عديدة من الملابس ومن المرجح أنها كانت تنسج من الصوف، فالأمير يوسف بن تاشفين كان لباسه الصوف الخشن حتى إنه لم يلبس غيره قط طيلة حياته[5]، وكان يختصر في ملبسه[6]، ورغم اتساع ملكه وسلطانه الذي وصل إلى الأندلس فأنه ظل متمسكاً بها[7]، ولم يضف إلى ملابسه أي نوع من أنواع الزخارف، إنما أضاف على ملابسه لقب أمير المسلمين وناصر الدين حيث أوصى بإجراء هذين الاسمين على الألبسة في مخاطبته عن الكتب عنه وإليه والدعاء بهما على منابر دولته وإثباتهما في أعلامه ودنانيره ودراهمه، وقد نفذ هذا الأمر وجرى العمل به إلى آخر أيامه[8].

ولم يكن لباس الصوف ميزة يتميز بها الأمير يوسف بن تاشفين، بل كان هذا لباس أهالي المغرب الأقصى أيضاً، وشاركهم في ذلك القبائل التي انتقلت من الجنوب، وأقامت في المغرب الأقصى حيث كانوا يرتدون الملابس الصوفية وهي

---

[1] مجهول: كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس، ص88.

[2] المصدر نفسه، ص207.

[3] المصدر نفسه، ص84.

[4] المصدر نفسه، ص46، 99.

[5] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص136؛ عبادة كحلية: المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب، ص104.

[6] ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 46/4؛ المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص94.

[7] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص136؛ ابن الخطيب: كتاب أعمال الإعلام، 234/3.

[8] مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص31.

أكسية وعمائم صوفية، وكذلك كانت قبائل لمتونة ولمطه[1]، وقد استطاع شيوخ المرابطين أن يسيروا على هذا النهج في الملبس وقاوموا مؤثرات المال الوفير، ورغم ذلك فإن حياتهم البسيطة هذه لم تستمر طويلاً بعد وفاة الأمير يوسف بن تاشفين، إذ تغلبت عليهم الحياة الأندلسية بمتعها وبهجتها، ولم يكن من الممكن أن يقاوم المرابطون هذه المتع طويلاً، وليس من المعقول أن تظل أجيال المرابطين في حالة التقشف والاستنفار للحرب، فتغير بهم الحال بعد أن اتسعت الدولة[2]، ومثل هذا التحول كان الأمير يوسف بن تاشفين ينكره فعند احتكاك المرابطين بالأندلس كان يعترض على فكرة التنعم بالملك ويعتبر ذلك من الإسراف[3].

وأهم ما عُرِفَ من الملابس في هذا العصر:

1- اللثام:

أُطلق لفظ الملثمين على سكان المناطق الداخلية نظراً لاستخدامهم لثاماً يخفي معالم الوجه والعينين[4]، وكانوا لا يفارقونه في أي حال من الأحوال، ولا يعرف الرجل منهم صديقه أو قريبه إلا إذا ارتدا اللثام، كذلك في المعارك إذا قتل منهم القتيل وزال عنه لثامه فإنه لا يعرف من هو حتى يعاد عليه اللثام، ولذلك صار اللثام ألزم من جلودهم[5]، ومثَّل اللثام الزي المقدس لهم حتى قيل فيهم: "وهم قوم يتلثمون ولا يكشفون وجوههم وذلك سنة لهم يتوارثونها خلف عن سلف"[6]، فأخذت

---

[1] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص58، 59؛ مفتاح، يوسف حسن: المظاهر الحضارية لدولة المرابطين في المغرب والأندلس، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بنغازي (بنغازي،2008م) ص208.

[2] عصمت دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص268.

[3] المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 374/4.

[4] محمد منصور: العلاقات بين المرابطين وملوك الطوائف، ص30؛ أحمد، مقلد: موسوعة تاريخ المغرب، مكتبة مدبولي، ط1(القاهرة، 1994م) 3؛ 108/4.

[5] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص165، 170؛ أحمد العبادي: صورة من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، دار المعارف (الإسكندرية، 2000م) ص96.

[6] ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 128/4؛ الصفدي: كتاب الوافي بالوافيات، 78/28.

عادة التلثم من قبل أمراء المرابطين، وفي هذا نص للبيذق يصف فيه دخول داعية الموحدين محمد بن تومرت في بداية أمره مدينة مراكش عاصمة المرابطين حيث وجد في أحد جوامع مراكش الأمير المرابطي علي بن يوسف وأتباعه فشبههم بالجواري المنقبات ويقال إن الأمير علي لما سمع ذلك حطَّ عنه اللثام وكان ذلك يوم صلاة الجمعة[1]، ولكن هذه الرواية مشكوك في صحتها ولاسيما في الاستجابة السريعة لأمير المسلمين وخلعه اللثام، إذ أن هذه عادة متوارثة كما أن الذي أورد هذا الخبر هو البيذق تلميذ ابن تومرت عدو المرابطين[2]، ويبدو أنه استعمل المبالغة والتهويل فمن المحال أن يدور حديث بين رجل ما يزال مجهولاً وبين سلطان المغرب في بيت الله فهل يتسع السلطان لعبارات السخرية والاستهزاء به وبوزرائه على مرأى من رعيته في يوم صلاة الجمعة[3]، وهذا ما حمله ابن تومرت على رجال المرابطين بأنهم يتشبهون بالنساء فيتلثمون[4].

وكيف ما كان الأمر فهم قوم يتلثمون، ولا يكشفون وجوههم[5]، فقد كان المرابطون يرتدونه طيلة فترة حكمهم، وكان الخاصة منهم يميزون أنفسهم باللون الأسود كدليل على ولائهم للخلافة العباسية، وقد اقتصرت عادة التلثم على الرجال دون النساء[6]، وبذلك كان اللثام قاصراً على المرابطين الصنهاجيين فقط وإن كانت هناك حالات استثنائية اتخذ منها بعض العبيد اللثام للتستر وراءه في ارتكاب المعاصي أو الفجور[7].

---

(1) البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص27.

(2) حسن حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص440؛ زمامة، عبد القادر: البيذق والمهدي بن تومرت، مجلة المناهل، السنة السادسة، العدد السادس عشر (الرباط، 1979م) 206، 207.

(3) عبد الله علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، وزارة الثقافة(الجزائر، 2007م) ص59.

(4) إبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم من القرن 15/9م، دار الرشاد الحديثة (الدار البيضاء، 2000) 360/1.

(5) ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 128/4.

(6) ابن عبدون: رسالة في آداب الحسبة، ص18؛ أحمد العبادي: صورة من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، ص97، 98 .

(7) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، 234/24.

ومما يدل على تمسك المرابطين باللثام وتقديسهم له هو ارتداؤهم له ليلاً ونهاراً وأثناء الراحة أو العمل بل وهم نائمون، وحتى أثناء تناول الطعام[1]، فهو زي لهم ولمن جاء من بعدهم [2].

ونظراً لتمسك المرابطين بارتداء اللثام فإن هناك سؤالاً يطرح نفسه! لماذا اتخذ المرابطون اللثام زيهم الرسمي؟

والإجابة عن هذا السؤال ورد فيها أقوال كثيرة منها: أنهم اتخذوا اللثام بهدف تغطية الأفواه والشفاه الذابلة المتشققة من الحر والعطش وقلة الماء بدليل قول البكري:"وهم يسمون من خالف زيهم أفواه الذبان، بلغتهم أي الذابلة من العطش"[3].

وأورد ابن عذاري روايتين في سبب اتخاذهم اللثام فقال: "سبب ذلك على ما قيل أن حمير كانت تتلثم لشدة الحر والبرد، يفعله الخواص منهم، فكثر ذلك حتى صار يفعله عامتهم، وقيل كان سببه أن قوماً من أعدائهم كانوا يقصدون غفلتهم إذا غابوا عن بيوتهم فيطرقون الحي فيأخذون المال والحريم، فأشار عليهم بعض مشايخهم أن يبعثوا النساء في زي الرجال إلى ناحية ويقعدوا هم في البيوت ملثمين في زي النساء فإذا أتاهم العدو ظنوهم النساء فيخرجون عليهم ففعلوا ذلك وثاروا عليهم بالسيوف فقتلوهم فلزموا اللثام تبركاً بما حصل لهم من الظفر بالعدو"[4].

وقيل إن سبب ارتدائهم اللثام: "أن طائفة منهم خرجوا مغيرين على عدو لهم، فخلفهم العدو إلي بيوتهم، ولم يكن بها إلا الشيوخ والصبيان والنساء، فلما تحقق الشيوخ مجيء العدو لهم، أمروا النساء أن يلبسن ثياب الرجال، ويتلثمن حتى لا يعرفن، ويلبسن السلاح، ففعلن ذلك وتقدم الشيوخ والصبيان أمامهن واستدار النساء بالبيوت فلما أشرف العدو ورأى جمعاً عظيماً وظنه رجالاً قالوا هؤلاء عند حريمهم

---

[1] مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص19.

[2] المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص170؛ وجدي، محمد فريد: مادة لثم، دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة (بيروت، 1971م) 319/8.

[3] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 170 .

[4] ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 128/4؛ 129؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،7/ 129 .

يقاتلون عنهن قتال الموت، فالرأي أن نسوق النعم ونمضي فإن اتبعونا قاتلناهم خارجاً عن حريمهم" وعندما حاول العدو أن يسوق النعم من المراعي قابله رجال الحي فبقى العدو بينهم وبين النساء فقتلوا من العدو كثيراً ومن ذلك الوقت جعلوا اللثام سنة ولازموا ذلك فلا يعرف الشيخ من الشاب[1].

وهذا ما أشارت إليه مصادر أخرى إلى أن استعمال المرابطين للثام كان بهدف التنكر والخدعة في المعارك[2].

بل إن من المصادر ترى أنهم كانوا يعتبرون الفم عورة وكان يجب إخفاؤه، فكان إذا أراد الرجل أن يعدل أو يربط لثامه اختفى عن الأنظار حتى لا يراه أحد، أي أن سبب تلثمهم من شدة الحياء[3] حتى قيل فيهم بسبب ذلك:

قوم لهم درك العلى في حمير * وإن أنتم صنهاجة فهم هم

لما حووا إحراز كل فضيلة * غلب الحياء عليهم فتلثموا[4]

وتعلل بعض الدراسات الحديثة أنهم أخذوا اللثام عن زنوج إفريقيا المجاورين لهم، والذين استخدموه لإبعاد السوء من العين الشريرة[5]، ويذهب أحمد العبادي إلى أن استخدام المرابطين للثام قد يكون مظهراً من مظاهر انتسابهم لأمهاتهم واحترامهم للمرأة[6].

ومن الآراء أيضاً أن فئة من هذه القبائل اعتنقت الإسلام إلا أنهم خافوا على دينهم فتلثموا بقصد التمويه خشية أن ينزل بهم قومهم العقاب، وبدون شك لايمكن

---

[1] ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 128/4؛ اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية(بيروت، 1997م) 127/3.

[2] مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص18، 19.

[3] ابن حوقل : صورة الأرض، ص99؛ البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص170.

[4] اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، 127/3.

[5] أحمد العبادي: الصفحات الأولى من تاريخ المرابطين، مجلة كلية الآداب، العدد21 (الإسكندرية، 1967م) ص49 ؛ أحمد العبادي: صورة من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، ص96.

[6] أحمد العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص241.

الأخذ بهذا الرأي لأنه حينما يُسلم المرء ما من داعي له لأن يتثلم، فلا يُعرف إذا كان مسلم أم لا إلا إذا اظهر إسلامه وجهر به، ولا يوجد علامات تبين الإسلام تستدعيه أن يتلثم من أجل التمويه وإخفاء إسلامه تحت اللثام ولا تبدو أن هناك علاقة بين الإسلام واللثام[1].

وفي النهاية فإن ما يرجح من هذه الآراء أن سبب تلثمهم إنما هو بسبب ظروف المناخ الصحراوي الجاف في الصيف، والقارص في الشتاء، وكذلك الرياح العاتية التي تهيل الرمال معها، ولذلك فرضت هذه الظروف على سكان الصحراء أن يضيفوا هذا اللثام لحماية عيونهم وأفواههم من سفو الرمال وقد أكد ذلك البكري وهو الأقرب من ذلك العصر[2]، وعلى كل حال فإن اللثام أصبح بعد ذلك عادة اعتادها القوم وحافظوا عليها حتى أصبحت تتكرر تلقائياً إلى الحد الذي أصبح فيه هذا لزاماً على كل المرابطين.

ومن الجدير بالذكر أنه كانت هناك تعليمات على عدم ارتداء غير المرابطين للثام، حيث اشترط بألا يتلثم إلا صنهاجي أو لمتوني أو لمطي وحذَّر العبيد الذين كانوا يتلثمون على ما كان يفعل المرابطون بأن يضعوا علامة تميزهم على لثام المرابطين[3]، فاختاروا لأنفسهم لثاماً لونه أبيض[4]، فقد سبق الحديث أن بعض العبيد والحشم وغيرهم كانوا يتسترون وراء اللثام طلباً للرفعة والمكانة بين الناس[5]، وقد كانت ظاهرة اللثام غير مألوفة في المغرب الأقصى وحتى في الأندلس واحتلت حيزاً من اهتمامات الناس بالزي المرابطي، حيث كان ينظر إليه في بداية الأمر رمزاً للجهاد، وأصبحت له بعد ذلك أبعاد سياسية واجتماعية تشير إلى علو المرتبة حتى

---

[1] حماد، رابحة إبراهيم: الأوضاع السياسية للدويلات التي قامت في أعقاب انهيار دولة المرابطين في الأندلس، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية (الإسكندرية، 1995م) ص29.

[2] المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص170.

[3] ابن عبدون: رسالة في آداب الحسبة، ص28.

[4] حسن محمود: قيام دولة المرابطين، ص51.

[5] ابن عبدون : رسالة في آداب الحسبة، ص28.

أصبح من أهم ما يميز الأمراء وولاة الأمر من المرابطين[1].

وتجدر الإشارة إلى أن اللثام كان لزاماً ارتداؤه من القبائل الصنهاجية غير أن منهم من قام بإزالة هذا اللثام في نهاية دولة المرابطين، فقد قام جملة من قبيلة مسوفة وكانوا جميعهم ملثمين بإزالة اللثام، وكان ذلك عند دخول الموحدين إلى فاس وصار هؤلاء القوم في زي الموحدين[2]، بل إن من قبيلة مسوفة من أزاله بعد أن اعتزم سلوك طريق التصوف حيث اشترط عليه بألا يدخل التصوف إلا إذا أزال اللثام[3].

خلاصة القول أن اللثام من أهم ما تميز به المرابطون فهو زيهم الرسمي وهو ما اشتهرت به قبائل صنهاجة حتى سميت بصنهاجة اللثام.

ومن الملابس الأخرى التي اهتم بها المرابطون تلك التي تسمى بالغفائر القرمزية والبرانس والعمامة والأكسية وقبطية الشال وما يسمى بالأشكرلاط والخرقة، ومثل هذه الملابس أهداها الأمير يوسف بن تاشفين للأمير أبو بكر بن عمر عندما تنازل له عن الحكم، حيث أهداه الأمير يوسف بن تاشفين "مائة عمامة مقصورة، وأربع مائة من السوسي، ومائة غفارة ومائتين من البرانس منها أبيض وأكحل أي أسود ومنها ما هو أحمر وسبعمائة كساء لونها أبيض ومصبوغة، ومائتي قبطية شال مختلفة الألوان ، ومائتي جبة واثنين وخمسين جبة أشكرلاط"[4].

و من الجدير بالذكر عرض هذه الملابس والتعرف عليها وهي كالتالي:

2 . العمامة:

تعتبر العمامة من أهم ما كان يسوقه تجار مدينة أغمات في العصر المرابطي[5]، وكانت تصنع من أقمشة مختلفة أو من الشاش الموصلي وهي بيضاء

---

(1) محمد زنيبر: الخلفية الاجتماعية والثقافية لحركة المهدي بن تومرت، مجلة المناهل، العدد24(الرباط، 1987م) ص140.

(2) ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، القسم الموحدي، ص24، 25.

(3) التادلي: التشوف إلى رجال التصوف، ص 205.

(4) مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص27.

(5) الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص66.

اللون[1]، وكثيراً ما كانت تلبس من أجل أن يقي الإنسان نفسه من الحر[2]، وعرف عن قبائل لمتونة أنها قامت بصنعها من الصوف ويسمونها بالكرازي[3]، وقد خصصت للأمراء من المرابطين عمامة تسمى بالذؤابات[4]، فعندما ذهب الأمير يوسف بن تاشفين إلى الأندلس وتقابل مع المعتمد بن عباد كان الأمير المرابطي يرتدي هذه العمامة[5]، وكانت العمامة من أهم ما يلبسه الفقهاء[6]، والقبائل الصنهاجية أيضاً[7].

3 . الغفائر القرمزية:

في القديم كانت تعرف بأنها طاقية من طواقي المرأة وهي خرقة توضع على الرأس لتقي الخمار من الدهن[8]، وهي مثل الطاقية أو الشاشية وتلبس تحت القلنسوة(*)[9]، ولباس هذه الغفارة كان مقتصراً على الفئات العليا في المغرب وربما كان هذا هو السبب في أن غالبية سكان المدن المغربية لا يقبلون على صناعة هذه الغفائر باستثناء مدينة سجلماسة[10].

4 . البرانس:

وهي عبارة عن معطف مزود بقبعة، يلبس أثناء السفر ويسمى أيضاً (المنيرة)

---

[1] رينهرت دوزي: المعجم المفصل بأسماء الملابس، ص251.

[2] سحر سالم: ملابس الرجال في الأندلس في العصر الإسلامي، بحوث ندوة الأندلس الدرس والتاريخ المنعقدة في 1994/15/13م ، كلية الآداب (الإسكندرية، 1994م) ص251.

[3] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص58.

[4] ابن غازي: الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، ص61.

[5] ابن الأبار: كتاب الحلة السيراء، 86/2، 87.

[6] المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 223/1.

[7] ابن غازي: الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، ص60 ،61.

[8] رينهرت دوزي: المعجم المفصل بأسماء الملابس، ص255، 257.

(*) القلنسوة: ما يغطي الرأس من الوشي أو الغز أو الصوف أو الفراء وكانت من ألبسة الرأس، وكانت من أزياء أهل الأندلس= ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،48/4؛ سحر سالم: ملابس الرجال في الأندلس، ص254.

[9] أحمد العبادي: صورة من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، ص98.

[10] ياقوت الحموي: معجم البلدان، 192/3.

وهو مصنوع من قماش لا ينفذ الماء منه، ويستعمل المغاربة هذا النوع من المعاطف كثيراً أو يتخذونه غطاء كما أن البرانس يمتاز بجودة نسيجه وهو يستخدم في الشتاء ويستعمل أيضاً في الصيف، وذلك بأن يلبس ويجعل الشعر من الخارج[1]، وعادة ما تكون ألوانه بين الأحمر والأكحل[2].

5 . الأكسية:

وهي على هيئة معطف[3]، ومن ألوانها الأبيض أو ألوان أخرى مصبوغة[4].

6 . قبطية شال: وتعمل من نسيج رقيق يلف فوق الرأس، وهي عبارة عن قطعة طويلة من نسيج الصوف الذي يطوى ويلف عدة لفات حول الطربوش[5]، ولها عدة أنواع وألوان مختلفة[6].

7. أشكرلاط: وتسمى أيضاً بالجبة وتصنع من نوع من القماش يسمى أشكرلاط[7]، وهو عبارة عن نوع من الجلابيب من الثياب الصوفية يخاط منها الأكسية والأردية[8].

كل هذه الملابس مما كان يعرفه الأمراء المرابطون ويختصون بارتدائها وكانت ميزة تميزهم عن بقية الناس[9]، حتى إنهم كانوا يتهادون بها[10].

هذه كانت أهم ما عرف من ملابس أمراء المرابطين، أما عن ملابس عامة الناس فمن الجدير بالذكر أنهم لبسوا الأكسية الأخرى المصنوعة من القطن والكتان وقماش السفساري وهو خليط من الحرير والصوف أو الحرير والقطن، ومن ألوانه

---

(1) رينهرت دوزي: المعجم المفضل بأسماء الملابس، ص70.

(2) البكري: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص155؛ مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص27؛ رينهرت دوزي: المعجم المفضل بأسماء الملابس ، ص70.

(3) رينهرت دوزي: المعجم المفضل بأسماء الملابس، ص309، 311.

(4) مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص27.

(5) رينهرت دوزي: المعجم المفضل بأسماء الملابس، ص157، 266.

(6) مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص27.

(7) رينهرت دوزي: المعجم المفضل بأسماء الملابس، ص70، 94.

(8) مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص27.

(9) ابن غازي: الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، ص60.

(10) مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص27.

الأحمر والأخضر، وهو من أهم ما تاجر به تجار مدينة نول لمطة، وكان الزوج منه يباع بخمسين ديناراً وأقل أو أكثر[1].

كما ارتدى العامة ما يسمى بالخرقة وقد اختص بارتداء هذا النوع من الثياب فئة المتصوفة وهو نوع يلبسه الفقراء من الناس وهو عبارة عن ثياب غليظة[2]. وارتدى المتصوفة ملابس أخرى تعرف بالكساء والعباءة فالمتصوف أبو الحجاج يوسف بن موسى الكلبي الضرير المتوفى بمدينة مراكش عام 520هـ/ 1126م كان يرتدي عباءة من الصوف[3]، وتوضح المصادر أنه غالباً ما تقوم النساء بنسيج وصنع العباءات، ففي أغمات وريكة كان الصوفي أبو محمد عبد الله الخليجي المتوفى عام 504هـ/ 1116م يرتدي كساءً منسوجاً من الصوف صنعته امرأة من صوف كبش لها من ماشيتها[4].

8 . لباس المرأة:

لم تتطرق المصادر بشكل واضح إلى الملابس التي كانت ترتديها المرأة المرابطية سوى أنها كانت تضع غطاء على الرأس، وهو عبارة عن قطعة من النسيج طوله ذراع تعصب المرأة به رأسها ويلتف حتى يصبح شكله كسنم الجمل وتكون فيه زخارف بالذهب واللؤلؤ[5]، وهذا ما أورده البيذق بأن المرأة المرابطية "تضع غطاء على الرأس وتسريحة شعر كسنم الجمل"[6] مما يدل على حريتها في مظهرها[7].

9. لباس أهل الذمة:

يأتي في مقدمتها ما يسمى بالزنار، وهو حِرام يلبسه أهل الذمة من

---

(1) الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص59.

(2) رينهرت دوزي: المعجم المفضل بأسماء الملابس، ص126.

(3) التادلي: التشوف إلى رجال التصوف، ص87.

(4) المصدر نفسه، ص119.

(5) رينهرت دوزي: المعجم المفضل بأسماء الملابس، ص197؛ عصمت دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص320.

(6) البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص13، 20، 21، 22، 23.

(7) مارسيه، جورج: بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي، ترجمة محمد عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف (الإسكندرية، 1991م) ص379.

المسيحيين[1]، وكانوا يرتدون أيضاً لباساً اسمه الشكلة، وهي مكونة من قميص وبرنس وقلنسوة، لونها أكحل، ويبلغ طول القميص ذراعاً في عرض ذراع وله أكمام واسعة تصل أحياناً إلى الأقدام[2].

وقد لبس أهل الذمة العمامة والقلانس بعد أن أجاز لهم الفقهاء ذلك، ويكون ارتداؤهم لها بوضع علامات تميزهم عن باقي أهالي المغرب الأقصى[3]، ذلك أن من أهل الذمة من لبسوا ملابس مطابقة للمسلمين حتى أصبح من الصعب التمييز بين أهل الذمة والمسلمين، وهذا ما جعل الفقهاء يتشددون في منع أهل الذمة من ارتداء ملابس المسلمين[4]، وطلب منهم وضع "علامة يعرفون بها"[5].

10 . لباس القدم:

أما عن لباس القدم فإن أهل المغرب الأقصى ارتدوا النعال، وهي التي أشار ابن القطان إلى أسواقها[6]، كما أشار البيذق إلى أن هذه النعال أو ما يسمى بالأقراق كانت مما يرتديه الأهالي في المدن المغربية[7].

هكذا يتضح أن المجتمع المغربي مارس نمطاً من العادات والتقاليد تتعلق بالحياة الاجتماعية اليومية والموسمية، وما رافق ذلك من مظاهر الاحتفال والمواسم وتمسك أهل البلاد بها حتى أصبح من الصعب التخلي عنها .

---

[1] رينهرت دوزي: المعجم المفضل بأسماء الملابس، ص162.

[2] المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 383 .

[3] ابن عبدون: رسالة في آداب الحسبة، ص51؛ الونشريسي: المعيار المغرب والجامع المغرب، 255/2، 656.

[4] الجرسيفي: رسالة في آداب الحسبة، ص175.

[5] ابن عبدون: رسالة في آداب الحسبة، ص51.

[6] ابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، ص268.

[7] البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص13

الخاتمة

لقد غيرت حركة المرابطين التي انبثقت جنوب المغرب الأقصى وجه الحياة في شتى صورها سواء أكانت اقتصادية أو اجتماعية أو غير ذلك من مناحي الحياة، ذلك أن المرابطين جاؤا قبل كل شئ باسم الإسلام وأراقوا دماءهم في سبيل الدفاع عنه، واستطاعوا توحيد المغرب الأقصى بعد أن كان إمارات متفرقة تعيش في فوضى ونزاعات مستمرة، وكل هذه الصراعات تلاشت في عصر المرابطين، والحقيقة أن السياسة التي اتبعها المرابطون في المغرب الأقصى كان لها دورها في الازدهار الاقتصادي سواء من الناحية الزراعية أو الصناعية أو التجارية، فمن الناحية الزراعية جادت البلاد بالمحاصيل الزراعية، كما ظهرت بعض الصناعات التي اشتهرت بها البلاد، ومن الناحية التجارية فقد مرت البلاد بفترة مزدهرة كانت فيها الأسواق زاخرة بالبضائع والتجار القادمين من خارج البلاد .

وكان لابد لهذا الاقتصاد من مجتمع يقوم على المشاركة في حركة البلاد، حيث ضمت عناصر بشرية مختلفة من الجنسيات والأصول ألفت كل طبقات المجتمع المغربي منها القبائل البربرية التي كانت منتشرة بأعداد كثيرة في المغرب الأقصى فلا تكاد مدينة من مُدنه أو قراه تخلو من هذه العناصر، إلى جانب الفئات الأخرى التي مارست حياتها مع غيرها من فئات المجتمع المغربي، وبطبيعة الحال كان لابد أن تتكون طبقات من هذه العناصر البشرية، فقد تكونت طبقات لهذا المجتمع أولها الطبقة الحاكمة صاحبة السيادة والنفوذ الأكبر والمسيطر والأعلاها مرتبة، تليها طبقة الفقهاء الذين لايفتى في أمر من الأمور إلا بمشورتهم وحضورهم، إضافة إلى العلماء، والطبقة العامة، وأهل الذمة، كما عرف المجتمع المغربي بعض العادات والتقاليد التي مارسها في حياته اليومية، حيث كان الأهالي يقيمون الاحتفالات وكانت لهم مناسبات لذلك.

ومن خلال هذه الدراسة توصلت إلى عدد من الحقائق كان لها دور في نشاط الاقتصاد والنمو الاجتماعي، وفيما يتعلق بالجانب الاقتصادي كانت أهم النتائج هي:

- أن هناك عناصر محلية في بلاد المغرب حاربت القبائل المارقة عن الإسلام، وأرسلت جيوشها لمحاربة غانا الوثنية في السودان الغربي، وهزمت النصارى في الأندلس واستطاعت إقامة دولة وحضارة في المغرب الأقصى وأمنت للسكان الأمن والطمأنينة حتى اتجهوا إلى مباشرة أعمالهم .

- أن العوامل الطبيعية من تنوع في التضاريس والمناخ وكثرة الموارد المائية كان لها تأثير على المحاصيل الزراعية للبلاد، وساعد على إنعاش الزراعة أيضا استتباب الأمن وكذلك تخفيف الضرائب على ما كانت عليه في السابق .

- احتواء البلاد على الأنهار أتاح للأهالي الاشتغال بحرفة صيد الأسماك حتى زودوا الأسواق بأنواع مختلفة منها، وازدهرت الصناعة نتيجة لتوفر المعادن في البلاد وتوفر المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية .

- أن إلغاء المكوس وإسقاط المغارم من قبل المرابطين كان له أثره على نشاط الحركة التجارية، إضافة إلى العوامل الأخرى منها الارتباط الوثيق مع بلاد السودان والأندلس، وامتلاك البلاد لشبكة من الطرق الداخلية والخارجية، كما أن امتداد سلطان الدولة على بلاد المغرب والأندلس وبلاد السودان، وسيطرتها على مساحات واسعة من الأراضي أتاح للتّجار التنقل بحرية مما أدى إلى تبادل السلع الواردة والصادرة، ونشطت التجارة حتى اشتهرت كثير من المدن المغربية بالتجار مثل مدينة أغمات وغيرها من المدن المغربية، وكل هذا أدى إلى تعدد الأسواق داخل المدن وخارجها، وكانت الأسواق خارج المدن تقام حسب أسماء أيام الأسبوع، ولقد كانت التجارة في بداية عصر المرابطين مشجعة للتجار، ولكن ما لبثت أن تدهورت في أواخر أيامها نتيجة لزيادة الضرائب والتشدد في جمعها .

- كان المرابطون يتبعون نظاماً مالياً يعتمد على جمع الضرائب، وهذه الضرائب كانت تجمع وفقاً للشريعة الإسلامية، ونتيجة لما حل بالدولة ضعف من جراء الحروب فقد استُحدثت ضرائب جديدة كان مردودها سيء على الحياة الاقتصادية .

- تولى المرابطون الإنفاق على بعض الأعمال الخاصة بالدولة مثل الإنفاق على الجيش والجند والبناء وكان الدينار المرابطي عماد اقتصاد الدولة.

أما الجانب الاجتماعي فكانت نتائجه ما يلي :

- ضّمت بلاد المغرب الأقصى عناصر سكانية مختلفة أدى كل منها دوره في هذه البلاد، وعلى رأس هذه العناصر قبائل صنهاجة ثم الفئات الأخرى من العرب والعبيد والسودان والروم والغز، وتعددت الطبقات في المجتمع المغربي إبان هذا العصر بسبب تركيبته السكانية، وشكل الآهلين في البلاد والمجاورين بمختلف أصنافهم وطبقاتهم .

- قام النظام السياسي في دولة المرابطين على الانتماء للقبيلة وتميزها بأعلى المراكز في الدولة، وأولت الدولة المرابطية للفقهاء والعلماء والقضاة مطلق الحرية في الرأي والنفوذ وصار لهم شأن كبير وكلمة مسموعة عند أمراء الدولة، و شارك أهل الذمة لاسيما النصارى في الحياة العامة والسياسية في المجتمع المرابطي فمنهم اتخذ المرابطون الحرس الخاص، وجباة الأموال الأمر الذي لا يدع مجالاً للشك بأن دورهم لا يستهان به في الدولة .

- تمتعت المرأة المرابطية بمكانة مرموقة وكلمة نافذة فأصبحت تتدخل في شؤون الدولة، كما كان لها مطلق الحرية الخاصة كونها كانت تخرج إلى الميادين كاشفة وجهها، ومن ناحية أخرى بيَّنَت الدراسة بعض الأمور والعادات المتعلقة بالزواج كالزواج من الأقارب مثلاً .

- وتبين أيضاً من خلال الدراسة أن الأمراء المرابطين كانوا يقيمون مجالساً للحرب أو لوعض الناس أو لحضور الأدباء والشعراء، وكان في عصر دولة المرابطين بعض العادات الخاصة بالاحتفالات مثل الاحتفالات الدينية والعسكرية، وكان فن الموسيقى منتشرا في المدن المغربية رغم محاولة المرابطين مكافحة انتشار هذه الظاهرة .

- اعتاد المرابطون على الاقتصار في ملبسهم على الملابس المصنوعة من الصوف وكذلك هو حال القبائل الصنهاجية، وكانت ملابسهم تميزهم عن غيرهم من أهالي البلاد، ومن أهم ما يميز ملابس المرابطين اللثام حيث كان هذا الزي مقدسا لهم.
{وما التوفيق إلا من عند الله}

الباحث

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر

- **القرآن الكريم:** (برواية قالون عن نافع)

- **ابن الأَبَّار** ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (م: سنة 658هـ/ 1260م)

  - التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عزة العطار الحسيني، مطبعة الخانجي (القاهرة،1956م)
  - المقتضب من كتاب تحفة القادم، تحقيق إبراهيم الأبياري، المطبعة الأميرية (القاهرة،1956م)
  - إعتاب الكتاب، تحقيق صالح الأشتر، المطبعة الهاشمية (دمشق، 1961م)
  - الُحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف (القاهرة،1985م)
  - المعجم في أصحاب الإمام أبي علي الصدفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة،2008م)

- **ابن أبي أصيبعة**، موفق الدين ابن أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجى (م: سنة668هـ / 1270م)

  - عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت، بدون تاريخ)

- **ابن أبي دينار** ، أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم القيرواني(م: سنة 1110هـ/1698م)

  - كتاب المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، تحقيق محمد شمام، المكتبة العتيقة (تونس،1967م)

- **ابن أبي زرع** ، أبو الحسن على بن عبد الله الفاسي (م : سنة 726هـ / 1325م)

  - الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة (الرباط ،1972م)

- **ابن الأثير** ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (م : سنة630هـ / 1232م)
- الكامل في التاريخ، دار صادر (بيروت، 1966م)
- **ابن الأحمر** ، أبو الوليد إسماعيل بن يوسف (م : سنة 810هـ /1407م)
- بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور للطباعة (الرباط، 1972م)
- **ابن بسام** ، أبو الحسن على الشنتريني (م: سنة543هـ/1147م)
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة (بيروت، بدون تاريخ)
- **ابن بشكوال** ، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (م: سنة578 هـ/1883م)
- كتاب الصلة، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة،2008م)
- **ابن بطوطة** ، محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي (م : سنة 779هـ / 1377م)
- تحفة النُظَّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، مؤسسة الرسالة (بيروت 1405هـ)
- **ابن بلقين** ، عبد الله (كان حيا في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي)
- مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف (القاهرة،2008م)
- **ابن حزم** ، أبو محمد علي بن أحمد(م : سنة 456هـ / 1063م)
- كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل، دون نشر (القاهرة،1317هـ)
- جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف (القاهرة، بدون تاريخ)
- **ابن حوقل** ، النصيبي أبوالقاسم محمد بن علي البغدادي (380هـ/990م)
- صورة الأرض ، دون نشر (ليدن ، 1967م)
- **ابن خاقان** ، أبو نصر الفتح محمد بن عبد الله القيسي الإشبيلي(م: سنة535هـ/1134م)
- قلائد العقيان في محاسن الأعيان، د ون نشر(القاهرة،1283هـ) .

- **ابن خرداذبة** ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله(م : سنة 300هـ / 913م)
- المسالك والممالك، مطبعة برلين (ليدن، 1889هـ)
- **ابن الخطيب** ، الوزير محمد لسان الدين (م : سنة 876هـ / 1374م)
- الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي (القاهرة،1974م)
- رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة العمومية (تونس،1316هـ)
- كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام"تاريخ المغرب في العصر الوسيط "، تحقيق أحمد مختار العبَّادي وآخر، دون نشر (الدار البيضاء،1964م)
- نفاضة الجراب في غلالة الاغتراب، تحقيق أحمد مختار العبّادي، دون نشر (القاهرة، 1967م)
- **ابن خلدون** ، عبد الرحمن بن محمد (م:سنة808هـ/1405م)
- مقدمة ابن خلدون، دار الفكر(بيروت،2000م)
- العبر و ديوان المبتداء والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر(بيروت،2000م)
- **ابن خلّكان** ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر(م:سنة681هـ/1282م)
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس دار صادر (بيروت،1969م)
- **ابن دحية** ، أبو الخطاب عمر بن الشيخ الإمام أبي علي(م : سنة633هـ / 1235م)
- المطرب في أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الأبياري وآخرون، مطبعة دار الكتب المصرية (القاهرة، 1997م)
- **ابن رسته** ، أبو علي أحمد بن عمر:
- الأعلاق النفيسة ، دون نشر(ليدن، 1881م).

- **ابن سعيد** ، المغربي أبو الحسن علي بن موسى (م : سنة685 هـ/1286 م)
- المغرب في حُلي المغرب ، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف (القاهرة ،1955م) .
- كتاب الجغرافيا ، تحقيق إسماعيل العربي ، منشورات المكتب التجاري للنشر (بيروت،1970م)
- رايات المبرزين وغايات المميزين، تحقيق محمد رضوان، طلاس للدارسات والترجمة النشر (دمشق،1987م)
- **ابن صاحب الصلاة** ، عبد الملك (كان حيا عام 594هـ/1198م)
- تاريخ المَّن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الأندلس للطباعة (بيروت، 1964م).
- **ابن عبد الرؤوف** ، أحمد بن عبد الله (عاش في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي)
- رسالة في آداب الحسبة والمحتسب، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، نشرها ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية (القاهرة، 1955م)
- **ابن عبدون** ، محمد بن أحمد التيجيبي (عاش في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلاد)
- رسالة في آداب الحسبة والمحتسب، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، نشرها ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية (القاهرة، 1955م)
- **ابن عبد الملك** ، أبو عبد الله محمد بن محمد الأنصاري الأوسي(708هـ/ 1303م)
- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق محمد بن شريفة وآخر، دار الثقافة(بيروت،1973م)

- **ابن عذاري المراكشي** ، أبو العباس أحمد بن محمد (كان حيا سنة 710هـ /1312م)
- البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة (بيروت،1967م).
- البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب " قسم الموحدين "، تحقيق محمد إبراهيم الأبياري الكتاني وآخرون، دار الثقافة (الدار لبيضاء،1985م)
- **ابن عيشون** ، أبوعبد الله محمد الشراط (1159م:سنةهـ/1697م)
- الروض العاطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، تحقيق زهراء النظام، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية (الرباط، 1997م)
- **ابن غازي** ، أبوعبد الله أحمد بن أحمد بن محمد المكناسي العثماني(م:سنة919هـ/1513م)
- الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تحقيق عطا أبورية وآخرون، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة،2007م)
- **ابن فرحون** ، إبراهيم بن علي بن محمد المالكي (م : سنة 799 هـ/ 1396م)
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة، 2003م)
- **ابن الفقيه** ، أبوبكر أحمد بن محمد الهمذاني (م: سنة 290هـ 902م)
- مختصر كتاب البلدان، دون نشر (ليدن ،1302هـ)
- **ابن القاضي** ، أحمد بن يحي محمد المكناسي (م :سنة 1205هـ / 1616م)
- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام في مدينه فاس، دار المنصور للطباعة (الرباط ،1973م)
- **ابن القطّان** ، أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي(م: سنة627هـ/ 1231م)
- نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي (بيروت،1990م) .

- **ابن قنفذ** ، أبو العباس أحمد حسين القسنطيني (م: سنة 809هـ /1406م)
- أنس الفقير وعز الحقير، تحقيق محمد الفاسي وآخر، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي (الرباط ،1965م)
- كتاب الوافيات معجم زمني للصحابة وأعلام المحدثين والفقهاء والمؤلفين من سنة 11-807هـ، تحقيق عادل نويهض، دار الأفاق الجديدة (بيروت،1983م)
- **ابن الكردبوس** ، أبو مروان عبد الملك (م: نهاية القرن السادس الهجري)
- تاريخ الأندلس "قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء"،تحقيق أحمد مختار العبادي، نشر معهد الدراسات الإسلامية (مدريد،1971م)
- **ابن مقديش** ، محمود بن سعيد السفا قصي (من علماء القرن الثالث عشر الميلادي)
- نزهة الأنضار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق علي الزاوري وآخر، دار الغرب الإسلامي (بيروت، 1988م)
- **أبو الفداء** ، عماد الدين إسماعيل بن محمد (732هـ / 1331م)
- المختصر في أخبار البشر، دار الكتاب اللبناني (بيروت، بدون تاريخ)
- تقويم البلدان ، تحقيق رينوه ، دون نشر (باريس ،1840هـ)
- **الإدريسي** ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد العزيز الشريف(558هـ / 1162م)
- المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس قطعة مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق دوزي دي غويه، دون نشر(ليدن،1863هـ)
- **الأشبيلي** ، يحي بن أحمد بن العوام :
- كتاب الفلاحة، دون نشر (مدريد، 1802هـ)
- **الأصبهاني**، أبو نعيم (م: سنة 430هـ /1038م)
- كتاب الإمامة والرد على الرافضة، تحقيق علي بن محمد، مكتبة العُلوم والحكُم (المدينة المنورة، 1987م)

الإصطخري ، أبو إسحاق إبراهيم بن محمود: (توفي في النصف الأول من القرن الرابع الهجري/التاسع عشر الميلادي)

- مسالك الممالك، دون نشر (ليدن،1927م)

- **با با التنبكتي** ، أبو العباس سيد أحمد بن أحمد (1036هـ / 1627م)

- نيل الإبتهاج بتطريز الديباج ، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة،2004م)

- **الباجي** ، أبو عبد الله الشيخ محمد :

- الخلاصة النقية في تحرير أمراء إفريقية، مطبعة بيكار وشركاته (تونس،1383هـ).

- **البكري** ، أبو عبيد الله عبدالله بن عبد العزيز (م : سنة 487هـ / 1094م)

- المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي (القاهرة، بدون تاريخ)

- **البيذق** ، أبو بكر علي الصنهاجي (من أهل القرن السادس الهجري)

- أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة (الرباط ،1971م)

- **التادلي** ، أبو يعقوب يوسف بن يحي بن عيسى بن عبد الرحمن (م: سنة 627هـ/ 1229م)

- التشوّف إلى رجال التصوف ، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط1(القاهرة،2007م)

- **الجرسيفى** ، عمر بن عثمان (عاش في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي)

- رسالة في آداب الحسبة والمحتسب ، نشرها ليفي بروفنسال ،ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي (القاهرة،1955م)

- **الجز نائي** ، أبو الحسن علي (عاش في القرن الثامن الهجري /الرابع عشر الميلادي)
- زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب منصور، المطبعة الملكية (الرباط ،1967م)
- **الحسن الوزان** ، بن محمد الفاسي (م : سنة 944هـ / 1537م)
- وصف أفريقيا ، تحقيق محمد حاجي وآخر ، دار الغرب الإسلامي (بيروت، 1983م)
- **الحكيم** ، أبو الحسن علي بن يوسف (عاش في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي)
- الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة ، تحقيق حسين مؤنس منشورات معهد الدارسات الإسلامية (مدريد،1960م)
- **الحميري** ، أبوعبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (م: سنة727هـ/ 1326م)
- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، هيد لبرغ (بيروت،1984م)
- صفة جزيرة الأندلس"منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار"، تحقيق ليفي بروفنسال، دار الجبل (بيروت1988م)
- **الدمشقي** ، شمس الدين أبي عبد الله محمد (727هـ / 1326م)
- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مكتبة المثنى (بغداد ، 1928م)
- **الذهبي** ، شمس الدين محمد بن أحمد (م : سنة 748هـ / 1347م)
- سيرة أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرنأووط ، موسسة الرسالة (بيروت، 1984م)
- **الزركشي** ، أبوعبد الله بن محمد إبراهيم (عاش في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي)
- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحقيق محمد ماصور،المكتبة العتيقة (تونس ، 1966م)

- **الزهري** ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (م : سنة 556هـ / 1160م)
- كتاب الجغرافية ، تحقيق محمد حاج صادق، دون نشر(دمشق، 1968م)
- **السقطي** ، المالقي أبوعبد الله محمد بن أبي محمد(عاش في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي)
- كتاب في آداب الحسبة ،نشرها ليفي بروفنسال (باريس، 1931م)
- **السلاوي** ، الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري (م : سنة 1315هـ / 1897م)
- الاستقصاء لإخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق جعفر الناصري وآخر، دار الكتاب (الدار البيضاء،1954م)
- **السموال** ، يحيى بن عباس المغربي (م : سنة 570هـ /1174م)
- بذل المجهود في إقحام اليهود، مطبعة الفجالة الجديدة (القاهرة، بدون تاريخ)
- **الشهرستاني** ، أبوالفتح محمد بن عبد الكريم (548هـ /1153م)
- الملل والنحل ، تحقيق أبو عبد الله السعيد المندوه، مؤسسة الكتب الثقافية (بيروت، 1998م)
- **الصفدي** ، صلاح الدين أيبك (م : سنة 764هـ / 1362م)
- كتاب الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الارنؤط وآخر، دار أحياء التراث العربي (بيروت، 2000م)
- **الضبّي** ، أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة (م: سنة 599هـ / 1203م)
- بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، مطبعة روخس (بدون مدينة، 1884هـ)
- **الطبري** ، أبو جعفر محمد بن جرير(م: سنة 310هـ / 922م)
- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل، دار المعارف(القاهرة، 1979م)
- **العُمري** ، شهاب الدين أحمد بن يحي بن فضل الله (م : سنة 749هـ / 1349م)
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار " الحكماء والفلاسفة " تحقيق عامر النجار، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة ، 2009م)

- **عياض** ، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي (م: سنة 544هـ/ 1149م)
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ،تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة ، 2009م)
- **القزويني** ، زكريا محمد بن محمود (م: سنة 682هـ/ 1283م)
- آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر (بيروت ، 1969م)
- **القفطي** ، جمال الدين أبو الحسن علي بن القاضي الأشرف يوسف (م: سنة 646هـ/ 1248م)
- أخبار العلماء بتاريخ الحكماء، تحقيق ليبيرتو، دون نشر (بدون مدينة، 1903م)
- **القلقشندي** ، أبو العباس أحمد بن علي (م : سنة 820هـ / 1417م)
- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دون نشر (القاهرة ،1963م)
- **مار مول** ، كربخال (عاش في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي)
- أفريقيا، تحقيق محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف للنشر (الرباط، 1948م)
- **مالك ابن انس** ، الإمام (م : سنة 162هـ / 778م)
- الموطأ، صححه وأخرج أحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، دار أحياء الكتب العربية (بدون مدينة ، 1951م)
- **الماوردي** ، أبو الحسن علي بن محمد (م: سنة 450هـ / 1058م)
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دون نشر(بدون تاريخ ،1960م)
- **مجهول** ، (عاش في القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي)
- الاستبصار في عجائب الأمصار ، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية العامة (الدار البيضاء، 1985م)
- **مجهول** ، (عاش في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي)
- كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر المرابطين، نشر أوليتي ميرندا، معهد الدارسات الإسلامية (مدريد، 1961م)

- **مجهول** ، (عاش في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي)
- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق سهيل زكار، دار الرشاد الحديث (الدار البيضاء، 1979م)
- **مجهول** ، (مجهول الوفاة)
- تاريخ البربر المعروف بمفاخر البربر ،تحقيق محمد زينهم ، جهاد للنشر والتوزيع (القاهرة ، 1998م)
- **المراكشي** ، عبد الواحد (م : سنة 647هـ / 1249م)
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب ،تحقيق محمد سعيد العريان وآخر، دون نشر(القاهرة ،1963م)
- وثائق المرابطين والموحدين ، تحقيق حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة ،2006م)
- **المقدسي** ، شمس الدين عبد الله بن أبي بكر الحنفي (م : سنة 390 هـ/ 1000م)
- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، تحقيق دي غويه ، المكتبة الجغرافية العربية (ليدن ، 1948م) .
- **المقْري** ، أحمد بن محمد (م: سنة 1041هـ / 1631م)
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ،تحقيق إحسان عباس ، دار صادر(بيروت، 1968م)
- **المقريزي** ، تقي الدين أحمد بن علي (م : سنة 458هـ / 1441م)
- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين، تحقيق جمال الدين الشيال ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية (القاهرة، 1996م)
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق محمد زينهم وآخر، مكتبة مدبولي (القاهرة،1998م)

- **النباهي** ، أبو الحسن بن عبد الله (م : سنة 776هـ / 1374م)

- كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقيق لجنة أحياء التراث العربي، دار الأفاق الجديدة (بيروت، 1983م)

- **النويري** ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (م : سنة 733هـ / 1332م)

- نهاية الآرب في فنون الأدب، تحقيق حسين ناصر، دون نشر (القاهرة ، 1983م)

- **الوزير** ، أبو عبد الله محمد بن محمد الأندلسي (م : سنة 1149هـ / 1736م)

- الحلل السندسية في الأخبار التونسية، مطبعة الدولة التونسية (تونس، 1287هـ)

- **الونشر يسي** ، أحمد بن يحي (م: سنة 914هـ / 1508م)

- المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء أفريقيا والأندلس والمغرب، تحقيق محمد حجي ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية (الرباط،1981م)

- **اليافعي** ، أبو محمد عبدا لله بن أسعد بن علي (م: سنة 768هـ/1366م)

- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية (بيروت،1997م)

- **ياقوت الحموي** ، شهاب الدين أبي عبد الله (م :سنة 626هـ / 1229م)

- معجم البلدان ، دار صادر(بيروت، 1977م)

ثانيــــاً : المراجـــــع

- **ابن إدريس** ، **عبد الله وآخرون** :

- أعلام في المغرب والأندلس، مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر (بدون مدينة، 1982م)

- **أبو الفضل** ، **محمد أحمد** :

- تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة، 1981م)

- شرق الأندلس في العصر الإسلامي، دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية، 1996م)

- **أبو مصطفى ، كمال السيد :**

- تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين، مركز الإسكندرية للكتاب (الإسكندرية، بدون تاريخ)

- جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوي المعيار المغرب للونشريسي ، مركز الإسكندرية للكتاب (الإسكندرية ، 1996م)

- محاضرات في المغرب والأندلس، مركز الإسكندرية للكتاب (الإسكندرية، 2003م)

- **ابن عبد الله ، عبد العزيز :**

- تاريخ المغرب ، دون نشر (الدار البيضاء ، بدون تاريخ)

- مظاهر الحضارة المغربية ، دون نشر (بدون مدينة ، بدون تاريخ)

- **أمين ، أحمد :**

- ظهر الإسلام، دون نشر (بدون مدينة، بدون تاريخ)

- **الأمين ، محمد :**

- المفيد في تاريخ المغرب ، دار الكتاب (الدار البيضاء ، بدون تاريخ)

- **أرسلان ، شكيب :**

- الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، المطبعة الرحمانية (القاهرة، 1936م)

- **إسماعيل ، عثمان :**

- تاريخ شالة الإسلامية ، دار الثقافة (بيروت ، 1975م)

- **أشباخ ، يوسف :**

- تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، مطبعة لجنة الترجمة والتأليف والنشر (القاهرة،1958م)

- **بروفنسال ، ليفي** :

- الإسلام في المغرب والأندلس ، ترجمة السيد محمود عبد العزيز وآخر ، مؤسسة شباب الجامعة (الإسكندرية ، 1990م)

- مجموع رسائل موحدية من إنشاء الدولة المؤمنية، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية (الرباط، 1941م)

- **بروكلمان ، كارل** :

- تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة نبيه عاقل وأخر ، ، دار العلم للملايين (بيروت،1981م)

- **بل ، الفرد** :

- الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبدالرحمن بدوي، دار ليبيا للنشر والتوزيع (بنغازي، 1969م)

- **بوتشيش ، إبراهيم القادري** :

- تاريخ المغرب الإسلامي ، دار الطليعة للطباعة والنشر(بيروت، 1994م)

- الإسلام السري في المغرب العربي ، سيناء للنشر (القاهرة ، 1995م)

- مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين والموحدين، دار الطليعة للطباعة والنشر(بيروت، 1997م)

- **بوفيل** :

- الممالك الإسلامية في غرب إفريقية وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى، ترجمة زاهر رياض، مكتبة الأنجلو(القاهرة ، 1968م)

- **جلال ، محمد** :

- مراكش المغرب الأقصى ، مكتبة النهضة العربية (القاهرة ، بدون تاريخ)

- **جوليان ، شارل أندرية** :

- تاريخ أفريقيا الشمالية، ترجمة محمد مزالي وآخر، الدار التونسية للنشر (بدون مدينة، 1969م)

- **جوميث ، مورينو** :

- الفن الإسلامي في اسبانيا ، ترجمة لطفي عبد البديع وآخر، دون نشر (القاهرة ، 1968م)

- **الجيلاني ، عبد الرحمن بن محمد** :

- تاريخ الجزائر العام ، دار مكتبة الحياة (بيروت، 1965م)

- **حتى ، فيليب خوري** :

- تاريخ العرب، ترجمة مبروك نافع، دار العالم العربي (القاهرة، 1949م)

- **حركات، إبراهيم** :

- المغرب عبر التاريخ ، دار السلمي للتأليف والترجمة والنشر والطباعة والتوزيع (الدار البيضاء، 1965م)

- مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم في القرن 15/9م ، دار الرشاد الحديثة (الدار البيضاء، 2000م)

- **الحريري ، محمد عيسى** :

- تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم (الكويت،1985م)

- **حسن ، حسن إبراهيم** :

- انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، دار النهضة المصرية، ط1 (القاهرة ،1964م)

- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة العربية (القاهرة ،1997م)

- **حسن ، حسن علي** :

- الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين ، مكتبة الخانجي (الإسكندرية ،1980م)

- **حسين ، حمدي عبد المنعم محمد**:

- التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين ، دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية، 1997م)

- مدينة سلا في العصر الإسلامي "دراسة التاريخ السياسي والحضاري" ، مركز الإسكندرية للكتاب (الإسكندرية، 1995م)

- **الحليسي، نواف بن صالح**:

- المنهج الاقتصادي في المكاييل والموازين لنبي الله شعيب عليه السلام، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع(بيروت،1991م)

- **خطاب ، محمود شيت** :

- قادة فتح المغرب العربي ، دار الفتح للطباعة والنشر (بيروت، 1966م)

- **دندش ، عصمت عبد اللطيف** :

- دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب أفريقيا، دار الغرب الإسلامي (بيروت،1988م)

- الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر ملوك الطوائف ، دار الغرب الإسلامي (بيروت، بدون تاريخ)

- **دوزي، رينهرت** :

- المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ، ترجمة أكرم فاضل ، دون نشر (بغداد،1971م)

- المسلمون في الأندلس ، ترجمة حسن حبشي ، الهيئة المصرية للكتاب (القاهرة، بدون تاريخ)

- **روجيه ، لوتورنو** :

- فاس في عصر بني مرين ، ترجمة نقولا زيادة ، دون نشر (بيروت، 1967م)

- **الريس ، محمد ضياء الدين** :

- الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، دار الأنصار (القاهرة، 1977م)

- **الزر كلي ، خير الدين** :

- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين (بيروت، 2002م)

- **زنيبر ، محمد** :

- المغرب في العصر الوسيط ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية (الرباط، 1999م)

- **زيادة ، نقولا** :

- الحسبة والمحتسب في الإسلام، المطبعة الكاثوليكية (بيروت، 1952م)

- مدن عربية، منشورات دار الطلية (بيروت،1965م)

- **السائح ، الحسن** :

- الحضارة الإسلامية في المغرب، دار الثقافة (الدار البيضاء، بدون تاريخ)

- **سالم ، سحر السيد عبد العزيز** :

- من جديد حول براغوطة هراطقة المغرب الإسلامي، موسسة شباب الجامعة (الإسكندرية، 1993م)

- **سالم ، السيد عبد العزيز** :

- المغرب الكبير، الدار القومية (بدون مدينة، 1966م)

- وأحمد مختار العبادي ،تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة (الإسكندرية ، 1993م)

- قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة(الإسكندرية، بدون تاريخ)

- **السامرائي ، إبراهيم خليل و آخرون :**

- تاريخ المغرب العربي، دار المدار الإسلامي (بيروت،2004م)

- **السامرائي ، عبد الحميد حسين :**

- تاريخ حضارة المغرب والأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، دار شموع الثقافة (الزاوية ، 2002م)

- **سليمان ، أحمد السعيد :**

- تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، دون نشر(القاهرة 1969م)

- **السيد ، محمود :**

- تاريخ دولتي المرابطين والموحدين ، مؤسسة شباب الجامعة (الإسكندرية،2004م)

- تاريخ دول المغرب العربي، مؤسسة شباب الجامعة (الإسكندرية ، 2006م)

- **شبانة ، كمال :**

- الدويلات الإسلامية في المغرب ، دار العالم العربي، ط1 (القاهرة ، 2008م)

- **الشبيبي ، محمد رضا :**

- رحلة إلى المغرب الأقصى ، مطبعة المجمع العلمي العراقي (بغداد، 1965م)

- **الشطشاط ، علي حسين :**

- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة، 2001م)

- تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة،2001م)

- **شعيره ، محمد عبد الهادي :**

- المرابطون تاريخهم السياسي ، دار الاتحاد العربي ،ط1 (القاهرة، 1969م)

- **شلبي، أبو زيد:**

- تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، مكتبة وهبة(القاهرة، 1964)

- **الصالح ،صبحي :**

- النظم الإسلامية وتطورها، دون نشر، ط2(بيروت،1980م)

- **الطربولي ، محمد عويد :**

- الأعمى التطيلي شاعر المرابطين، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة ، 2005م)

- **طه ، جمال :**

- مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين، دار الوفاء (الإسكندرية، بدون تاريخ)

- الحياة الاجتماعية في المغرب الأقصى في العصر الإسلامي، دار الوفاء (الإسكندرية،2004م)

- **طه ، عبد الوحد ذنون :**

- دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، دار المدار الإسلامي (بيروت، 2004م)

- **العبادي ، أحمد مختار :**

- في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية (بيروت ، بدون تاريخ)

- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية، 2005م)

- صورة من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، دار المعارف(الإسكندرية، 2000م)

- **عبد الجليل ، عبد العزيز :**

- مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية ، عالم المعرفة (الكويت ، 1978م)

- **عبد الحليم ، رجب محمد :**

- دولة بني صالح في تامسنا بالمغرب الأقصى 125/455-743/106 ، دار الثقافة للنشر والتوزيع (القاهرة، بدون تاريخ)

- **عبد الحميد ، سعد زغلول :**

- تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف (الإسكندرية، 1995م)

- **عبد العزيز ، محمد عادل :**

- الجذور الأندلسية في الثقافة المغربية، دار غريب للنشر والتوزيع (القاهرة، بدون تاريخ)

- **عبد العزيز ، مرزوق محمد :**

- الفنون الزخرفية في المغرب والأندلس، دار الثقافة (بيروت ، بدون تاريخ)

- **العروي ، عبد اللّه :**

- مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي (الدار البيضاء، 1994م)

- تاريخ المغرب محاولة في التركيب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت، 1977م)

- **العفاني ، سيد بن حسين :**

- أطيب الكلام في ذكر خلفاء الإسلام، دار العفاني (القاهرة، 2007م)

- **علّام ، عبد اللّه :**

- الدعوة الموحدية بالمغرب، دار المعرفة ، ط1 (بدون مدينة، 1964م)

- الدعوة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، وزارة الثقافة (الجزائر،2007م)

- **عنان، محمد عبد اللّه :**

- دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين والموحدين ،الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة،2001م)

- **عودات ، أحمد وآخرون :**

- تاريخ المغرب والأندلس من القرن السادس الهجري حتى القرن العاشر الهجري، دار الأمل (بدون مدينة، 1989م)

- **الغناي ، أمراجع** :

- سقوط دولة الموحدين، منشورات جامعة بنغازي (بنغازي، 1975م)

- **فروخ ، عمر** :

- وثبة المغرب، دار الكتاب اللبناني (بيروت ، 1961م)

- **القرضاوي ، يوسف** :

- غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ، دون نشر (بيروت ، 1985م)

- **القشاط ، محمد سعيد** :

- أعلام من الصحراء ، دار الملتقى للطباعة (بدون مدينة ، 1997م)

- **كحيلة ، عباد** :

- المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب ، دون نشر(بدون مدينة ،2000م)

- **كريرز ، كلوس وآخرون** :

- معجم العالم الإسلامي ، ترجمة كتوزه ، المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع (بيروت ،1998م)

- **كنون، عبد الله** :

- النبوغ المغربي ، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني (بيروت ، بدون تاريخ)

- **لقبال ، موسى** :

- المغرب الإسلامي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (الجزائر ، 1981م)

- **لويس ، أرشيبالد** :

- القوى البحرية والتجارية في حوض البحر التوسط ، ترجمة أحمد محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية(القاهرة، 1960م)

- **مارسية ، جورج** :

- بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي ، ترجمة محمد عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف (الإسكندرية،1991م)

- **محمد ، ضياء الدين :**

- الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ، دار المعارف (القاهرة ، 1969م)

- **محمد ، علي جمعة:**

- المكاييل والموازين الشرعية، القدس للإعلان والنشر والتسويق (القاهرة،2001م)

- **محمود، حسن أحمد :**

- قيام دولة المرابطين ، مكتبة النهضة العربية (القاهرة ، 1957م)

- **مراد ، حسين سيد عبد الله :**

- المتصوفة في المغرب الأقصى في عصري المرابطين والموحدين ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية (القاهرة ، 1994م)

- **مكي ، محمود علي :**

- وثائق جديدة عن عصر المرابطين ، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة ، 2004م)

- **منصور ، محمد صالح :**

- العلاقات بين المرابطين وملوك الطوائف ، جامعة بنغازي (بنغازي ، 1995م)

- **موسى ، عزا لدين أحمد :**

- النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجر، دار الشروق(القاهرة، 1983م)
- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، دار الشروق (بيروت ، 1983م)

مولود، قايد:

- البربر عبر التاريخ في أسبانيا الإسلامية، دار النشر ميموني(الجزائر، 2007)

- **مؤنس ، حسين :**

- نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة، 2000م)
- معالم تاريخ المغرب والأندلس، مطابع المستقبل (القاهرة، 2004م)

- الثغر الأعلى الأندلسي، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة، 1992م)

- **النجار ، عبد المجيد :**

- تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت "الحركة الموحدية بالمغرب أوائل القرن السادس الهجري"، المعهد العالي للفكر الإسلامي (بدون مدينة، 1995م)

- **نصر الله ، سعدون عباس :**

- دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد الأمير يوسف بن تاشفين ، دار النهضة العربية (بيروت، 1958م)

- دولة الأدارسة في المغرب، دار النهضة العربية (بيروت، 1987م)

- **الهمشري ، محمد وآخرون :**

- انتشار الإسلام في أفريقيا، مكتبة العبيكان (الرياض، 1997م)

- **هويكنز :**

- النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، ترجمة أمين توفيق، الدار العربية للكتاب (تونس، بدون تاريخ)

ثالثاً: المجّلات والدَّوريّات والصُّحُف والندوات والمؤتمرات العلمية

- **إبراهيم ، صباح :**

- العناصر السكانية بمدينة فاس من خلال بيوتات فاس الكبرى، مجلة ادآب المستنصرية، العدد8 (بدون مدينة ،1984م)

- **بوتشيش ، إبراهيم :**

- الصلات التجارية بين عمان والمغرب في العصر الإسلامي، مجلة دراسات تاريخية، العدد 69، 40 (دمشق ، 1999م)

- **الجراري ، عباس :**

- تطور الأدب الأندلسي في عهد المرابطين، مجلة المناهل، السنة السادسة، العدد16 (الرباط ،1979م)

- **الجناحاني، الحبيب** :

- السياسة المالية لدولة المرابطين، مجلة المؤرخ العربي، العدد 13 (بغداد، 1980م)

- نظام ملكية الأرض في المغرب الإسلامي ، مجلة المؤرخ العربي ،العدد 23، (بغداد،1983م)

- الحياة الاقتصادية والاجتماعية في سجلماسة عاصمة بني مدرار، بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية، مجموعة البحوث التي ألقيت في ندوة الحضارة الإسلامية المنعقدة خلال المدة 20/16/ 1976م، مؤسسة شباب الجامعة (الإسكندرية، 2006م)

- **الخطابي ، محمد العربي** :

- المغرب ومكانة في العالم الإسلامي ، مجلة المناهل ، السنة السابعة ، العدد18 (الرباط ، 1980م)

- **دندش ، عصمت** :

- حول رباط عبد الله بن ياسين ، مجلة المناهل ، السنة الخامسة ، العدد11 (الرباط ، 1978م)

- **زمامة، عبد القادر** :

- البيذق والمهدي بن تومرت، مجلة المناهل،السنة السادسة، العدد السادس عشر (الرباط، 1979م)

- **زنيبر ، محمد** :

- الخلفية الاجتماعية والثقافية لحركة المهدي بن تومرت ، مجلة المناهل، العدد 24(الرباط، 1987م)

- **سالم ، سحر عبد العزيز :**

- ملابس الرجال في الأندلس في العصر الإسلامي ، بحوث ندوة الأندلس المنعقدة في 1994/15/13م، كلية الآداب (الإسكندرية،1994م)

- **الطريبق ، حسن :**

- المرابطون بالأندلس من خلال ديوان الأعمى التطيلي ، مجلة المناهل ،السنة الخامسة، العدد 11 (الرباط،1978م)

- **العبادي ،أحمد مختار :**

- الصفحات الأولى من تاريخ المرابطين، مجلة كلية الآداب، العدد21 (الإسكندرية،1967م)

- **عبد الرحيم ، رائد :**

- صورة الأمير يوسف بن تاشفين في أدب الرسائل في عهد الطوائف والمرابطين، مجلة جامعة النجاح، العدد21 (الرياض،2007م)

- **علوي ، حسن حافظي:**

- جوانب من تاريخ المرابطين من خلال النقود، مجلة المناهل، العدد56(الرباط،1997م)

- **غوني، حجوي:**

- تاريخ الأمازيغ، مجلة كان التاريخية الإلكترونية، السنة الثالثة، العدد العاشر ديسمبر 2010م. (www.historicalkan.co.nr)

- **الفاسي ، محمد :**

- أبو عمران الفاسي والعلاقات العلمية بين المغرب والأندلس ، مجلة المناهل ،السنة السابعة العدد17 (الرباط،1980م)

- **محمد ، سوادي عبو :**

- صلات تجارية بين البصرة والمغرب الإسلامي من القرن الثاني الهجري حتى أواخر القرن الرابع، مجلة المؤرخ العربي، العدد34 (بغداد،1990م)

رابعاً : الموسوعات والقواميس ودوائر المعارف

- **ابن سوده : أحمد :**

- **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس**، دار الأمير(بدون مدينة،1995م)

- **البستاني ، بطرس:**

- **كتاب دائرة المعارف**، دار المعارف (بيروت،1977م)

- **حسن ، حسن علي :**

- **موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية** " المغرب الإسلامي التاريخ السياسي والحضاري"، دار الفكر العربي (القاهرة، بدون تاريخ)

- **الزبيدي ،** محب الدين أبو الفضل محمد مرتضى الحسيني الواسطي (م: سنة1205هـ/ 1790م)

- **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق علي الطناجي، دون نشر (الكويت،1976م)

- **شلبي ، أحمد :**

- **موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**، دار النهضة العربية (القاهرة،1969م)

- **مقلد ، أحمد :**

- **موسوعة تاريخ المغرب**، مكتبة مدبولي، ط1 (القاهرة،1994م)

- **وجدي ، محمد فريد :**

- **كتاب دائرة معارف القرن العشرين**، دار المعرفة (بيروت،1971م)

- **مجموعة من المستشرقين: كتاب دائرة المعارف الإسلامية**، ترجمة محمد ثابت الفندي وآخرون، انتشارات (طهران، بدون تاريخ)

خامساً : رسائل علمية غير منشورة

- **الأحمر ، رمضان محمد رمضان :**

- الحياة الاجتماعية في مصر في عصر الدولة الفاطمية (358/ 567هـ - 969/1171م) رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بنغازي، كلية الآداب (بنغازي،2010م)

- **أياس ،أحمد :**

- الطرق التجارية عبر الصحراء، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآداب (القاهرة،1977م)

- **حماد ، رابحة إبراهيم :**

- الأوضاع السياسية التي قامت في أعقاب انهيار دولة المرابطين في الأندلس، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب جامعة الإسكندرية (الإسكندرية،1995م)

- **دويم ، رمضان عبد الحليم علي :**

- الحسبة في الأندلس خلال عصري المرابطين والموحدين، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة المنصورة (المنصورة،2006م)

- **عبد العمر ، محمد :**

- الإقطاع وأثره السياسي والاجتماعي في المغرب خلال عصري المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس، كلية الآداب (القاهرة،2007م)

- **محمود ، منى حسن أحمد :**

- الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في مراكش خلال عهدي المرابطين والموحدين، رسالة دكتورة غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة (القاهرة ، 1975م)

- **مفتاح ، يوسف حسن :**

- المظاهر الحضارية لدولة المرابطين في المغرب والأندلس، رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة بنغازي (بنغازي، 2008م